حسين علي الجبوري

كوميديا السحر

تسخير المخلوقات الخفية



كوميديا السحر
وتسخير المخلوقات الخفية

* اسم الكتاب: كوميديا السحر وتسخير المخلوقات الخفية
* التأليف: حسين علي الجبوري
* الطبعة الأولى: شركة الورّاق 2016

* تصميم الغلاف دار الورّاق

www.alwarrakbooks.com
www.facebook.com/warrakbooks
Warrak123@gmail.com
ISBN: 978- 9933-521-639

التوزيع

شركة دار الورّاق ش. م. م.
خلدة ـ طلعة مبرة الإمام الخوئي ـ
بناية الحاج موسى صالح
هاتف: 009611341927
فاكس: 009611750053

Alwarrak Publishing Ltd.
26 Eastfields Road
London W3 0AD-UK
Tel: 00442087232775
Fax: 00442087232775
Warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت ـ الحمرا ـ بناية رسامني ـ طابق أول
ص . ب: 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 009611750054
فاكس: 009611750053
e-mail:info@alfurat. com

كوميديا السحر
وتسخير المخلوقات الخفية

تأليف

حسين علي الجبوري



هوية المؤلف

حسين علي حسون جار الله الجبوري

كاتب وباحث عراقي متخصص في الدراسات والبحوث الأنثربولوجية والأساطير.

*** من مؤلفاته المطبوعة:**

- الخنّاقون ورسيس القتل الطقسي.
- في أحزان قبائل الوحش على مصرع الحسين.
- البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة.
- القبلة وتقاليد التقبيل في شرائع الحب والدين والسياسة.

*** صدر له عن شركة الوراق:**

- مهزلة العقل الديني.. يا أمة ضحكت.
- تطبير الرؤوس وتجريح الأجساد.. الجذور التاريخية لشعائر الأحزان الشيعية.

فهرس المحتويات

فهارس عامة

استهلال
القضيّة المحيّرة

قضية ارتباط الإنسان بالسحر وبالمخلوقات الخفيّة من القضايا المعاصرة المحيّرة التي نشاهدها كثيراً في القنوات المرئية، حيث تطرح للمناقشة بين جمهور مستمع ومتحدثين من مختلف الثقافات يبدون نظرهم فيها، فمنهم من يدافع بلباقة ولطف عن وجود ارتباط بين الإنسان وبين تلك المخلوقات، ومنهم من يؤكد بتعصب وعنف، ومنهم من يرفض وينكر إطلاقاً. والكلّ متسلّح بسلاح من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبوية والمرويات التاريخية يدعم بذلك وجهة نظره. إلا أنهم في نهاية المطاف لا يصلون إلى نقطة ائتلاف ولا حتى توفيق. ويبقى المشاهد في حيرة من أمره ويكل الأمر إلى الله الذي عنده علم الغيب وما يخفى.

وقد رأيت أن أدلي بدلوي بين الدلاء وأمتح مما تهيّأ لي من معارف في هذا الباب، أضعها بين يدي القارئ عسى أن أجعله على بصيرة وعلى موقف من أمرها وأمره.

المقدمة

ولقد كانت حصيلة تلك المناظرات المستمرة المتواصلة في القنوات المرئية ولادة فكرة هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارئ المولع بهذا النوع من الثقافة. وقد استدعاني ذلك إلى الخوض في المصادر والكتب المؤلفة بدراسة هذا الباب. وكان الكثير منها من دراسات العلماء المسلمين والقليل منها من دراسات المستشرقين[1].

فمن دراسات المسلمين أذكر منها مثلاً: (المقدمة) للعلّامة عبد الرحمن بن خلدون (1332 - 1406م) حيث بحث علوم السحر والطلسمات[2].

يقول ابن خلدون: وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم، وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل[3].

أما دراسات المستشرقين، وقد ذكرنا أنها قليلة ولكنها في الواقع كثيرة إذ إنّ ما تُرجم منها إلى العربية قليل، أذكر منها على سبيل المثال كتاب: (الرموز والطلاسم السحرية عند المسلمين) تأليف العالم الألماني د. هانس فينكلر. وقد ترجمه إلى العربية: محمود كبيبو وراجعه وعلق عليه: د. صباح جمال الدين. ونشرته شركة الوراق سنة 2013 لمديرها الأستاذ ماجد شبّر.

---

(1) انظر: دراسة ماكدونالد (D. B. Macdonald) القيّمة في: **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، 11/ 103، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، طبعة سنة 1933.

(2) **مقدمة ابن خلدون**، ص496، . طبع ونشر دار الكشاف، بيروت، بلا تاريخ.

(3) **المصدر السابق**، ص 497.

وقد تناول العالم الألماني المذكور بالدراسة نفسية الساحر وقدراته الخارقة في التأثير، ثم تعرّض في البند السادس إلى دراسة العلامات السحرية كالأحجبة والخواتم واسم الله الأعظم المرموز بالكتابة الصوريّة وغير ذلك، الأمر الذي استدعى المؤلف لأن يُترع الكتاب بالرسوم والصور للأحجبة والخواتم المشهورة في تراث الطلاسم الإسلامية[1].

ويبدو لنا أن المؤلف قد اطّلع على مؤلفات مصورة سابقة استخدمت هذا النمط في التأليف منها كتاب:

(Descriptions des monuments musulmans) تأليف (Reinaud) في مجلدين، وبه لوحات كثيرة بالتمائم وغيرها. طبع باريس 1828. وكتاب العالم الألماني (فون موير Von Murr) في التمائم (Beitrage Zur Arabischen Litteratur) المطبوع في (إرلانكن) سنة 1803 ص37-32. وغيرها كثير[2] ولكنها غير مترجمة إلى العربية.

وقد صار البحثُ في هذا الموضوع عندي ممتعاً بسبب ارتباط ذهني بالسحر والسحرة منذ عهد الطفولة عندما كانت الوالدة - يرحمها الله - تحدثنا وقت العشيّات عن السحر والسحرة، في إحدى الأمسيات قالت: إن أحدهم كان يجمع الناس على ناصية الشارع فيذبح أمامهم ولده الصغير بسكين ويفصل رأسه عن جسده ثم يعيده ثانية، فحدث في إحدى المرات أن كان بين الجمهور ساحر آخر استطاع أن يبطل سحر ذلك الساحر. فلما أراد أن يعيد رأس ولده إلى جسده لم يستطع، ومات الولد وحضرت الشرطة، فما كان من الساحر إلا أن أخرج من كُمّه كُبَّة خيوط وأمسك بطرفها ثم رماها في الفضاء فارتفعت ثم أخذ جثة ولده وجعلها في سَفَط حمله معه وتعلق بالخيط وغاب في الجوّ.

وقد بقيت هذه الصورة العجيبة في ذهني مرتسمة لغاية تأليفي هذا الكتاب فوجدتها مروية عن الجاحظ في حكاية الساحر عبد الله بن هلال الذي هرب من قبضة الحجّاج بسبب جريمة ارتكبها بواسطة كبّة غزل أخرجها فأعطى للحجاج طرفها وقال له:

---

(1) انظر : ص135 و 136 من الكتاب المذكور.

(2) **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، مصدر سابق، 11/ 326 و327 وفيه ما يربو على 26 كتاباً بالإنكليزية والفرنسية والألمانية.

- أمسك هذا حتى أريك عجباً قبل أن تقتلني.

ورمى الكبَّة في الهواء وتعلّق بالخيط وارتفع. فلما صار على سطح القصر قال للحجاج:

- يأمر الأمير بشيء؟ ثم ذهب[1].

وفي ذلك العهد من عمري كانت رؤية الساحر مألوفة لديّ متمثلة بشخص الشيخ (أبو گفّاية) ذي العمامة البيضاء واللحية الكثة الحمراء التي تداعب الريح شعراتها فتنوس حسب اتجاه الريح، وكان يقف بباب حانوته الواقع في شارع العباس بمدينة كربلاء المقدسة بقامته الفارعة الضّخمة، وكان يلبس دشداشة بيضاء وعليها عباءة شفيفة. وكان الناس يقصدونه لقراءة طالعهم وإخبارهم بما سيحدث لهم من خبيء المغيبات.

وكان جُلّ زبائنه من النساء اللواتي فاتهن قطار الزواج ليكتب لهن شيئاً يجعل الأزواج يتهافتون عليهن، وكان يصنع للمطلقات أحرازاً ومحرقات دخانية تجعل الزوج يسترجعهن ثانية. وكان يأخذ منهن لقاء ذلك مبالغ تجعله يعيش في بحبوحة ورخاء. وقد قال في ذلك الشاعر الشعبي المرحوم كاظم الخفاجي أهزوجةً تقول: (إن چان ما عندچ بخت روحي لبو گُفاية) وصارت الأهزوجة على لسان الأطفال فراحوا يرددونها في الشوارع.

وظلّت به هذه الحال على هذا المنوال حتى تناهت إلى أسماع زوجته إشاعة تقول إن زوجها سيتزوج عليها من إحدى زبوناته فما كان منها إلا أن عملت له سحراً مضاداً أبطلت به سحره، فغدا الفشل حليفه في كل عمل يعمله وشردت زبوناته فمات مدقعاً فقيراً سنة 1965 عن عمر ناهز الخامسة والتسعين. وقد قال فيه الشاعر المرحوم عبد الأمير البناء أبياتاً ساخرة هي:

أريـد أخشّ بـالـبريـگ واطلـع مـن البـلـبـولـه

طبّيت ببريگـي وشفت مـوسى أبـو گـفـايـه

---

(1) اقرأ تفصيل القصة في الباب الأول من الفصل السابع عشر. مادة: التقريب بين المحبين.

ويگـول انــا زيــن افتهــم   بالسِّحــر علمــي هــوايَــه

لـكـن شسـوّي مريِّـتـي   عِمْلـت عَمَـل ويّـايَـه

خلتـني ايدي لكل سِحـر   والله بـعـد مـا نـولـه[1]

يتألف كتابنا من ثلاثة عشر فصلاً وجعلنا الفصل الأوّل: (المخلوقات الخفية والزواج منها) ممهّداً للدخول في صلب الكتاب.

ولما كان الزواج بمفهومه العام قائماً على أساس (الجنس المحلّل)، فإن الزواج من المخلوقات الخفيّة يصبح قائماً على (جنس مُحرّم) ومؤداه التعاشق بين الإنس والجن، وإذا منع ذلك يصبح الاختطاف وسيلة للحصول على المعشوق أو المعشوقة وهو أحد أسباب الاختطاف. ومنه سبب آخر هو (تحسين النسل) كما في حالة (سنان ابن أبي حارثة المرّي) الذي اختطفته الجنُّ للفِحلة لأنه كان منجباً[2].

وفي حالة عمرو بن يربوع، ذكرت الأخبار أنه تزوّج من السعلاة فأولدها قومه (بني السّعلاة) الذين ظهرت في لهجتهم لُثغة السعالى وتتمثل بقلب السين تاءً في بعض الكلمات مثل قول الشاعر يهجوهم:

يــا قَبَّــح الله بني السَّعـــلاةِ   عمـروَ بن يربوع شِـرار النـات[3]

أي: شرار الناسِ

وتمضي بنا فصول الكتاب المتسعة بالأحداث والمفاجآت الغريبة من العقائد البلهاء التي آمنت بها أقوام غفيرة من الشعوب حتى نصل إلى مسألة (عبادة الشيطان) التي سيطرت على العالم القديم والحديث وتمثلت بظهور عابد الشيطان (أنطون

---

(1) ترجم له زميلنا سلمان عبد الهادي الطعمة في كتابه: **حكايات من كربلاء**، 72، ط. الأولى 2006. وكلمة: أخش عامية عراقية معناها: أدخل. ومثلها: أطب. والبريگ: الأبريق. والبلبولة: بلبلة الإبريق. **وهوايه**: عامية عراقية معناها: كثير.

(2) **التفصيل في الفصل الخامس**.

(3) **التفصيل في الفصل الثامن**.

لاڤـي) وهو يؤسس أول كنيسة لعبادة الشيطان في أمريكا ليلة 30 ابريل/ نيسان 1966 وهي ليلة الأول من مارس/ آذار، ليلة عيد القديس (والپورگا Walpurga night) حيث يعتقد أن في هذه الليلة تقوم العرافات والساحرات بالعربدة والقصف والسّكر ومراقصة الشيطان وأطلق على كنيسته اسم (الكنيسة الشيطانية The Satanic Church)[1].

وانتشرت هذه الكنائس في ولايات أمريكا ودول أوروبا ثم انداحت نحو العالم العربي وتلاقفها الشباب وتحدوا المجتمعات بالفجور العلني، وعندما حاربهم المجتمع والقانون راحوا يقيمون مناسكهم وتعبداتهم في الشقق الخاصة التي لا تستطيع الأجهزة الأمنية دخولها لكونها أملاكاً خاصة.

وسارت الأمور بين الشيطانيين العرب على هذا الديدن في البحرين وفي مصر في المراكب العائمة على النيل حيث تبادلوا فيها الزوجات واللواط والسحاق[2].

ولا يسعنا إلّا أن نختصر المسيرة الشيطانية في هذا الـمُبْتَسَر، تجنباً للإطالة حيث يفقد الموضوع عند الاختصار حلاوته فننتقل إلى العراق[3] حيث الشيطانية الجديدة تغزوه بـ(شباب الإيمو) وفيه ذبحوا من قبل الحركات الإسلامية المتشددة وقُتلوا قتلاً فظيعاً بشعاً شبيهاً بأسلوب (داعش) في القتل. ثم أفتت المراجع الدينية المهادنة بعدم قتل شباب (الإيمو) فرفع السيف عنهم، فهم الآن نجدهم في محافظات العراق يرتدون أزياء الشيطانيين وبعضهم يمارس طقوسهم ولكن دون أن يعرفوا علاقة هذه الأزياء والطقوس بالإمام الأول للشيطان الذي هو (أنطون لاڤـي).

---

(1) انظر الفصل العاشر.

(2) انظر الفصل الحادي عشر.

(3) انظر الفصل الخامس عشر.

المخلوقات الخفيّة
(محاور البحث بإيجاز)

المحور الأول: الزواج من المخلوقات الخفية

تَبْسُط قصيدة الحكم بن عمرو البهراني بشكل ماتع وباهر مسألة زواج الإنس من المخلوقات غير المنظورة كالغيلان والسعالى والجن والعفاريت وأشباهها، وهي مسألة غائرة الجذور في ميثولوجيات شعوب العالم بالعموم وبالخصوص الشعوب العربية قبل الإسلام وبعده. وقد كثر التحدث بها منذ زمن الرسول ﷺ وإلى هذا اليوم، حتى إن الناس راحوا يسألون الفقهاء عن جواز ذلك الزواج، فقال بعضهم: يجوز. وقال آخرون: إنه لا يجوز. وروي أن النبي ﷺ نهى عن ذلك.

وقد أطلق الجاحظ على زواج الإنس بالجن وبالعكس اسم (الزواج المركّب)، وما نتج عن هذا الزواج من أولاد يطلق عليهم اسم (المغرَّبين) وذلك من حديث له ﷺ عن طريق عائشة رضي الله عنها: إن فيكم مغرّبين. قالت: يا رسول الله وما المغربون؟ قال: الذين تشرك فيهم الجنّ». قال الهروي: سُمّوا مغربين لأنه دَخَل فيهم عرقٌ غريب[1].

ويبدو لنا أن هذا النوع من الزواج متعلق بمبدأ (الزواج الاغترابي) الذي يعرف عند علماء الأنثروبولوجيا باسم (Exogamy) وهو زواج كانت القبائل القديمة تمارسه وتفضله فتزوج أبناءها من قبيلة أخرى بعيدة عنها في النسب. وعكسه (الزواج الاقترابي) أو الأقاربي ويطلق عليه اسم (Endogamy) وهو الزواج من القبيلة نفسها أو

(1) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، 3/ 349، تحقيق: طاهر أحمد الزواي ومحمود الطناحي، ط. دار الفكر، بيروت.

العائلة، وكان مألوفاً بين العرب وحتى هذا اليوم، فنجد الكثير من العوائل تزوج أبناءها من بنات أقاربهم كبنت العم أو بنت الخال أو بنت العمة أو الخالة. ولكن هذا الزواج - رغم شيوعه - مذموم عند العرب ويكاد يكون منهيّاً عنه. وقد جاء في الحديث النبوي قوله ﷺ: «اغتربوا لا تُضووا». أراد تزوجوا من الغرائب من النساء لا الأقارب لأن الزواج من الأقارب ينتج نسلاً ضاوياً ضعيفاً[1].

وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن أطروحة الزواج من الجنّ مرتبطة بهذا الباب حيث تكمن في طيّاتها فكرة (الاغتراب) المحمودة وما ينتج منها من خَلَف يتميز بالذكاء والعبقرية. ونذكر أنموذجاً من هذا الخلف (بلقيس) ملكة سبأ التي طبقت شهرتها آفاق التاريخ، فإنها جاءت من زواج أبيها (الهدهاد) من إحدى الجنيّات حسبما زعموا واعتقدوا[2].

وفي الجاهلية عرف الزواج من المخلوقات الخفية، وذكر أن عمرو بن يربوع تزوّج السعلاة فأولدها القوم الذين عرفوا ببني السعلاة فهجاهم الشاعر بقوله:

يا قبّح الله بني السعلاة عمروَ بن يربوع شرار (النات)

فقال (النات) ولم يقل (الناس) وذلك جرياً على لغة السعالى حسب زعمهم[3].

المحور الثاني: الاختطاف

وهذه مسألة أخرى يقتضي حدوثها لتفعيل الأولى وهي أنهم يعتقدون أن الجنّ تستهوي إنساناً فتتخطفه للفِحْلَةِ إذا كان منجباً. ومعنى هذا أن الجنّ أنفسهم يؤمنون بمبدأ (الزواج الاغترابي) لإنتاج نسلٍ قويٍّ مركّب منهم ومن الأنس. وقد زعمت أعراب بني مُرّة أن الجنّ استهوت سِنَان بن أبي حارثة المرّي والد هَرِم بن سنان - ممدوح زهير بن أبي سلمى- لأنه كان منجباً فهام على وجهه في الصحراء[4].

---

(1) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، 3/ 349، تحقيق: طاهر أحمد الزواي ومحمود الطناحي، ط. دار الفكر، بيروت.

(2) **الأخبار الطوال**، أبو حنيفة الدينوري، ص195، تحقيق عبد المنعم، ط. الأولى 1960، الناشر دار إحياء الكتب العربية.

(3) **الحيوان**، الجاحظ، 6/ 165، تحقيق عبد السلام هارون، ط. الثالثة، 1388هـ/ 1969م.

(4) المصدر نفسه، 6/ 209.

وكان كثير من الناس يتيهون في الصحارى الواسعة فيُعتبرون في عداد المخطوفين من قبل الجنّ. فإذا صادف وعاد أحدهم إلى القبيلة سأله قومه عما لقي في التيه، فإذا كان ذكياً عرف ما يريدون فيروح ينسج لهم، من خياله الواسع أقاصيص عن الجنّ والمخلوقات الخفيّة التي لاقته ويتفنن بها وقد يدّعي أنه تزوج من إحدى الجنيّات أو إحدى السعالى أو الغيلان كما حدّث الحكم بن عمرو البهراني وأبو المطراب وتأبط شراً مما سنفصله لاحقاً.

أما أشهر الذين تاهوا ورجعوا وحدّثوا قومهم بأعاجيب ما لاقاه في التيه فهو بطل الخرافات الذي سميت الخرافات باسمه (خرافة العذري)، وقد أسرف في القصّ حتى ضُرب به المثل بأحاديثه المكذوبة فضرب بها المثل في الكذب[1].

أما (مُرير) فقد ذهب يبحث عن أخويه (مُرارة) و(مُرّةَ) اللذين ذهبا إلى الجبل يتصيدان فاختطفتهما الجنّ فتنكب مُرير قوسه وانطلق إلى ذلك الجبل فمكث فيه سبعة أيام لا يرى شيئاً حتى إذا كان اليوم الثامن إذا هو بظليم (ذكر النعام) فرماه فأصابه، واستقل الظليم حتى وقع في أسفل الجبل، فلما غربت الشمس أبصر بشخص قائم ينادي:

أيها الرامي الظليم الأسودِ	**تبّت مراميك التي لم ترشد**

فأجابه مُرير:

يا أيها الهاتف فوق الصخره	**كـم عبـرةٍ هيجتهـا وعَبْـره**
بقتلكـــم مـــرارةً ومُـــرّه	**فرّقت جمعاً وتركت حسره**

فتوارى الجنيُّ عنه هَوِيّاً من الليل، وأصابت مُرَيراً حمّى، فغلبته عيناه، فأتاه الجني فاحتمله وقال له: ما أنامك وقد كنت حذراً؟ فقال: الحمّى أضرعتني للنوم، فذهبت مثلاً وقال . . ثم رجع مُرير يحدث قومه عن بطولاته مع الجنّي قائلاً:

ألا من مبلـغ فتيـان قـومي	**بمـا لاقيت بعدهُم جـميعا**
غزوتُ الجنَّ أطلبهم بثأري	**لأسقيهـم به سُمّـــاً نقيعـا**

---

(1) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الثعالبي، 130، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، 1384هـ/ 1965م.

فيعرض لي ظليم بعد سبعٍ فأرميه فأتركه صريعا[1]

وأبياتاً أخرى يطول عرضها كما يطول علينا الوقت إذا واصلنا الحديث عن المختطفين، وكل أخبارهم مصنوع يتبين فيها التوليد.

المحور الثالث: الزواجُ المُشتهى

وتُعتبر أمثال تلك الزواجات من النوادر المشتهاة لأن المتزوج من الجنيّة أو الغول أو السعلاة يحصل على ثراءٍ وغنمٍ عظيمين مما يتعلمه من هذه المخلوقات من معارف، كالاستطباب واستيحاء الشِّعر ومعرفة الغيب وقراءة الطوالع واكتشاف الكنوز. ولذلك نرى بعض الناس يتمنونها. وذكر عن (زيد العَمّي) - أحد رواة الحديث - أنه كان يقول: «اللهم ارزقني جنيّةً أتزوج بها تصاحبني حيثما كنت»[2].

ولكن لا يستطيع أحد أن يحظى بذلك إلا إذا قام بعمل بطولي يثير إعجاب الجنيّة كأن ينقذها من مخلوقٍ شرير يريد قتلها أو اغتصابها أو حتى أكلها، عند ذاك تجعل الجنيّة منقذها زوجاً لها. كما حدث للهدهاد ملك اليمن، فإنه ذهب يوماً يصطاد فرأى ذئباً يطارد غزالة لافتراسها، فأنقذها منه وقتل الذئب، فتبين بعد ذلك أن الغزالة ابنة ملك الجنّ (اليَلَب بن صعب) فتزوجها الهدهاد وأولدها بلقيس[3].

ومن الخرافات المتصلة بهذا الباب خرافة معاصرة روتها (الليدي دراوور) الأنثروبولوجية المتخصصة بدراسة الصابئة عن رجلٍ رأته في دمشق ادعى بأنه أنقذ جنيّةً اسمها (نجمة) من ذئب كان يطاردها لافتراسها، فقتل الذئب فكافأته على صنيعه بجعله قادراً على الإخبار بالغيب، فصار لديه زبائن من البدو البسطاء الذين يدفعون له أجراً لقاء إخبارهم عن أقربائهم البعيدين.

وقد أخبر الباحثة رجالٌ من قبيلة (شمَّر) أن البطل المنقذ كان يكلم (نجمة) بعد أن يرفع طرف البساط ويهمس في الأرض: وِس، وِس، وِس. ولا شك أنه كسب مالاً

---

(1) **مجمع الأمثال الميداني**، 205/1، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مط. السنّة المحمدية، 1374هـ/1966م.

(2) **حياة الحيوان الكبرى**، الدميري، 213/1، ط. المكتبة التجارية الكبرى.

(3) **ملوك حمير وأقيال اليمن**، شرح قصيدة نشوان الحميري، ص74.

عظيماً من أولئك الحمقى، استطاع بواسطته أن يتحوّل من البادية إلى الحاضرة فسكن (دمشق) وبقي على دأبه[1].

المحور الرابع: التعاشق بين الإنس والجنّ

وبعد هذا فمن مِن الناس لا تشوقه العلاقة مع هذا القبيل ولا يصبيه الاقتران بزوجة منهم؟ وإذا كان هذا المطلب صعب المنال لا يطيح باليد فليس أسهل من جلوس المتمنّي ضمن حلقات الحكائين يستمع إلى أحاديث التعاشق بين القبيلين لينفس بواسطتها عن رغبة روحه التوّاقة إلى امتلاك واحدة من هذه المخلوقات على الأقل.

وقد راجت أحاديث عشق الجنّ للإنس وعشق الإنس للجنّ في العصر العباسي وألفت فيها الكتب. ويذكر ابن النديم في (الفهرست) عناوين ستة عشر كتاباً تدور حول هذا الموضوع، منها: كتاب خضر بن النبهان والجنيّة، وكتاب الذّلفاء وأخوتها والجنّي، وكتاب دعد الفِزارية والجنّي، وكتاب عمرو بن سفيان والجنّي وغيرها.

قال محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت 438هـ - 1047م): كانت الأسمار والخرافات مرغوباً بها مشتهاة أيام خلفاء بني العباس سيما في أيام المقتدر، فصنّف الورّاقون وكذبوا، فكان ممن يفتعل ذلك رجلٌ يُعرف بابن دَلان واسمه أحمد ابن محمد بن دَلان وآخر يعرف بابن العطّار وجماعة[2].

ولا شك أن هذه الكتب كانت تستنسخ في أسواق الوراقين فيقرؤها من يقرأ فيتأثّر بها، ثم لا شك أنها كانت تُقرأ على منابر القصاصين فيتسع شأوها وتصل إلى من لا يقرأ، وبذلك تعمُّ سياسة التجهيل التي تهدف إليها السلطة لإلهاء العامة عما يجري في القصور من مباذخ ومباذل ودسائس ومؤامرات.

المحور الخامس: الصَّرعُ اللّذيذ

ويجري الاعتقاد بين كثير من الناس أن الصّرع دليل على حدوث التعاشق بين الجنّ والإنس. فإذا أحبّ الجنّيُّ امرأةً صرعها، وإذا أحبت الجنيّة رجلاً صرعته.

---

(1) **الحكاية الشعبية العراقية**، كاظم سعد الدين، ص94.

(2) **الفهرست**، 428 ط. دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1978

وعندما يدخل المصروع في طور الحركة الارتعاشية العصبية فإن ذلك علامة على الممارسة الجنسية.

ويروي الجاحظ قصةً طريفةً عن هذا الصرع اللذيذ مفادها أن فتًى قال لجاريته أو صديقته: ليس في الأرض أملحَ ولا أجمل مني. فصادف أن طرق الباب إنسانٌ يريده، فنظرت المرأة إليه من خرق الباب فرأت فتًى أحسن من صاحبها لباساً وأملح شكلاً، فأعجبها فقالت لصاحبها عندما عاد إلى البيت:

- ألم تخبرني أنك أملح الخلق وأحسنهم؟

قال: بلى، وكذلك أنا.

قالت: قد أرادك اليوم فلان ورأيتُه من خرق الباب فرأيته أحسن منك وأجمل.

قال: لعمري إنه لَحَسَنٌ مليح ولكنّ له جنيَّةٌ تصرعه كل شهرٍ مرتين !!

أراد بذلك تخويفها وإسقاطه من عينها فقالت له:

- أتصرعه في الشهر مرتين؟ أما والله لو إنّي جنيتُهُ لصرعته في اليوم ألفين[1].

ويؤمن اليوم كثير من الناس بمثل هذه الخرافات فالمغاربة - مثلاً- يقولون: إن المصاب بالصرع قد يكون متزوجاً من الجنّ رغم أنفه، وعندما يدخل في النوبة الصرعية فإن ذلك علامة على شروعه بالممارسة الجنسية مع جنيته[2].

ولا تبدو المسألة محيرةً إذا كانت المصروعة فتاة، حيث يمكن القول إن الجنّي يقوم بمعاشرتها جنسياً، ولكن المسألة قد تبدو محيرة عندما يُعتقد أن بعض الجنّ لوطيون وأن الواحد من هؤلاء يتعشّق الرجل فيلوط به. ذكر ذلك الطبيب الفرنسي (سوشون) الذي كان يطبِّبُ في مراكش خلال العقد الأول من القرن العشرين، فإنه ذكر حالة رجل من مراكش كان يعتقد أن جنياً لوطياً كان يفعل معه الفعل كلَّ ليلةٍ. ويعلق الطبيب على ذلك بالقول: إن الرجل المسكين كان مصاباً بالبواسير واكتشف الأمر بعد عيادته له[3].

---

(1) **الحيوان**، المصدر السابق، 6/ 217.

(2) **زواج الجن من الإنس**، منتديات حلا، موقع شبكي.

(3) المصدر السابق.

المحور السادس: اختطاف النساء في الحواضر

وقد يؤدي عشق الجنّي للمرأة إلى أن يتجاسر ويختطفها من بين أهلها. ونجد حوادث الخطف مذكورة في الحكايات الشعبية وخاصة حكايات ألف ليلة وليلة وغيرها من الكتب. نذكر منها هذه الحادثة التي وردت في كتاب (مناقب الشيخ عبد القادر الگيلاني قُدّس سِرُّه) فجاء فيها أن بعض أهل بغداد جاء الشيخ وأخبره أن بنتاً له اختطفت من سطح داره وهي بِكر. فقال له الشيخ:

اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ واجلس عند التَلّ الخامس وخُطَّ عليك دائرة في الأرض، وقل وأنت تخطّها: بسم الله على نِيّة عبد القادر. فإذا كانت فحمة العشاء مَرّت بك طوائف من الجنّ على صور شتى فلا يرعك منظرهم، فإذا كان السَّحَر مَرّ بك ملكهم في جحفلٍ منهم فيسألك عن حاجتك، فقل له: بعثني إليك عبد القادر واذكر له شأن ابنتك.

قال والد الفتاة: فذهبتُ وفعلت ما أمرني به الشيخ عبد القادر، وجاء الجنّ زمراً إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أممٌ شتى فوقف إزاء (الدائرة) وقال:

- يا إنسي ما حاجتك؟

قلت: بعثني إليك الشيخ عبد القادر.

فنزل عن فرسه وقبّل الأرض وجلس خارج الدائرة وجَلَس من معه. ثم ذكر الرجل له قصة اختطاف ابنته فقال لمن حوله:

- عليَّ بمن فعل هذا.

فأُتي بمارد ومعه البنت وقالوا له: إن هذا ماردٌ من مَردةِ الصين.

فقال له: ما حملك على أن خطفتها من تحت ركاب القطب؟

فقال: إنها وقعت في نفسي ولم أمسها وهي الآن بكرٌ. فأمر فضربت عنقه ثم عاد الرجل مع ابنته إلى بيته.

وقد حوت هذه الأسطورة تفاصيل كثيرة جميلة عن أشكال أولئك الجن وهم يُستعرضون أمام والد المخطوفة، أصفحنا عن ذكرهم تجنباً للإطالة، ولكننا لا بدّ أن

نقف عند (الدائرة) التي أمر القطب والد الفتاة أن يختطها في الأرض ويبقى داخلها، فنقول إنها من التقاليد القديمة التي لا تزال فاعلة بين الناس، حيث إن المصروع إذا دخل النوبة يخطّون حوله دائرة بطرف خنجر أو سكين لأنهم يعتقدون أن الجنّ تخاف من هذه الأسلحة فتترك المصروع وتهرب، وبعد ذلك يستفيق المصروع من نوبته وتسمى هذه الدائرة دائرة الأمان، وعلى هذا الأساس فإن القطب لما أمر والد الفتاة أن يخطّ حوله دائرة ويجلس داخلها كان ذلك من أجل حمايته مما قد يحصل له من أذى من جنٍّ يجهلون أنه مرسلٌ من قبل القطب. وسوف ترد هذه الدائرة في أساطير أخرى سنأتي عليها.

المحور السابع: اختطاف النساء في البوادي

وتكثر حوادث اختطاف الجن للإنسيات بين سكان البوادي أيضاً، وقد جرت حادثة من هذا القبيل في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، حيث روى رجل منهم للخليفة هذه الحادثة التي جرت له في طريق الشام قال:

خرجتُ عاشر عشرة نريد الشام، فتأخّرتُ عن أصحابي حتى اختلط الظلام، فرُفِعَتْ لي نارٌ فقصدتها، فإذا أنا بخيمة أمامها جارية جميلة. فقلت لها: ما تصنعين في هذا المكان؟ فقالت: أنا جارية من (فِزارة) اختطفني عفريتٌ وهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار. فقلت لها: امضي معي. فقالت: أخاف على نفسي من الهلاك. فألححتُ عليها فأركبتها ناقتي وجعلت أمشي حتى طلع القمر، فالتفتُ فإذا ظليم عظيم[1] عليه راكب. فقالت: ها هو قد أتانا فما تريدُ نصنع؟ فأنخت الراحلة وأنزلتها (وخططت حولها) وقرأتُ آيات من القرآن الكريم وتعوّذتُ بالله. فتقدم العفريت وأنشأ يقول:

يـا ذا الذي للحَين يدعـوه القَدَرْ[2]

خلِّ عن الحسنـاء رسلاً ثم سِـرْ

إني امـرؤٌ مـالكُ حَيْنٍ فـاصطبر

---

(1) الظليم: ذكر النعام.

(2) الحَين: الهلاك.

فأجبت وقلت:

يا ذا الذي للحَيْن يدعوه الحَمَقْ

خلِّ عن الحسنـاء رِسْلاً وانطلقْ

فـلستَ بالـجنِّ بـأوّل مَن عشَقْ

فبرز إليَّ بصورة أسود[1] فتصارعنا فلم يغلب أحدٌ منا صاحبه. فقال لي: هل لك في خصلةٍ من خصالٍ ثلاث؟ فقلتُ: ما هي؟ قال: تجزُّ ناصيتي[2] وتعرض عن الجارية. قلت: ناصيتك أهون شيء عليّ. قال: فتأخذ ما تشاء من الإبل. قلت: لا أبيع ديني بعرض من الدنيا. قال: فأخدمك أيام حياتك. فقلت: ما لي إلى خدمتك حاجة، فأنشأ يقول:

بَلىَ جسدي والـحبُّ يبلـى جديده ... ولـم يَبْلُ منّي إذ بلى جسدي وجدي

عليك سلامُ الله يـا دعدُ مـا جَرَت ... رياح الصَّبا في الغور يوماً وفي نجدِ

قال الأعرابي المنقذ: فسرتُ بها إلى أهلها فزوجوني إياها[3].

وتنتهي القصة عند هذا الحدّ، ولكن أرجو من القارئ ألا يفوته ما فيها من جزئيات مهمة وهي جزئية خطّة الأمان التي ذكرناها في المحور السابق. والجزئية الثانية التي تتعلق بمركوب العفريت الذي هو الظليم، إذ إن الأعراب يعتقدون أن النعام هي مراكب الجنّ فلا يقربونها وسيأتي تفصيل ذلك. والجزئية الثالثة التي تتعلق بالحوار الشعري الذي جرى بين العفريت والبدوي، حيث إن هذا الأسلوب معروف في الفولكلور العربي وسيمُّر علينا في الفصول اللاحقة.

أما (العفريت) فهو صنفٌ من الجنّ، حيث صنف العرب الجنّ إلى أصناف، وهي عند أصحاب الكلام منزّلون على مراتب: فإذا ذكروا الجنّ خالصاً، قالوا: جنّي. فإذا أرادوا أنه يسكن مع الناس، قالوا: عامِر والجمع عُمّار، فإذا كان ممن يعرض

---

(1) الأسود: أي الثعبان الأسود.

(2) الناصية: مقدم شعر الرأس.

(3) **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، القزويني، 373 وما بعدها

للصبيان، قالوا: أرواح. فإن خَبُثَ وتَعَزَّمَ فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد، فإذا زاد على ذلك وقَويَ أمره، قالوا: عفريت والجمع عفاريت. وهم في الجملةِ جنٌّ وخوافٍ فإذا ظهر الجنّي ونطق واتَّقى وصار كله خيرٌ فهو (مَلَك)[1].

المحور الثامن: التجَسُّدُ والاستخفاء

وتفيد الخرافات المحكية عن زواج الأناسيّ بالجنّان أن الجنّية قد تتجسد بصورة المرأة، فيتزوجها الرجل وهو يدري أنها جنّية، ومن ذلك ما رواه (الدميري) أنه رأى رجلاً من أهل القرآن والعلم أخبره بأنه تزوج أربعاً من الجنّ واحدة بعد الأُخرى.

وعن نعيم بن سالم قال عن نفسه إنه تزوج امرأة من الجنّ.

ويقصُّ أهل سورية قصصاً عديدة من هذا القبيل ويؤكد بعضهم أنه رأى امرأة جنيَّةً صفتها كذا وكذا[2].

وقد يتزوج الرجل الجنّية في الوهم لأنها تتخفى على الناس عداه. وقد رأيتُ أنا - مصنف هذا الكتاب - رجلاً مؤمناً وقوراً كثير الصمت قيل إنه متزوج من جنّية رغم زواجه من إنسية. وكانت تظهر علامات الصفرة على وجهه والنحافة في بدنه لعدم اشتهائه الأكل. وكان لا يقرب زوجته وانصرف عن الاهتمام بأولاده ويظل في غرفته منعزلاً يكلّم نفسه، وما ذلك الكلام إلا حديثه مع الجنّية كما تقول زوجته الإنسية.

ويبدو أن هذه العلامات تصيب المتزوجين من الجنيات (والعياذ بالله)، فيذكر المؤرخ المصري أحمد أمين أنه كان يعرف رجلاً شركسياً كثير الصمت قليل الكلام تبدو عليه كثرة التفكير، فكان يزعم أن جنّية تعشقه وأنها لذلك تمنعه من التزوج وأنه يختلي بها في كلّ ليلة[3].

هذا من جانب عشق الجنّية للرجل المتزوج أو العَزَب، وهو أمرٌ يهون فللرجل الحق أن يعشق من يشاء ويتزوج مِمَّن يشاء، ولكن الأمر لا يهون إذا حدث العكس

---

(1) **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، محمود سليم الحوت، 216 وما بعدها، الطبعة الأولى.

(2) **دائرة المعارف**، بطرس البستاني، مادة (جنّ).

(3) كتابه، **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، 141 وما بعدها، ط. الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1953.

وعشق الجنّي امرأة وهي في عصمة زوج، وربما يصعب إذا راح الجنّي يختلي بالزوجة ويغتصبها وهي في مخدع الزوج.

وتحكي الحادثة التالية -وقد نشرتها جريدة (الأحداث المغربية)- قصة شاب يشتكي للقراء من جنّيٍ هام حبّاً بزوجته، فتسلّط عليها وأحال الحياة العائلية إلى جحيم. والشاب هذا يستنجد بالقراء بمرارة ليعينوه على التخلص من هذا الجني المغتصب الذي يختلي كل مساءٍ بزوجته في غرفة النوم، ويهدده من خلف الستار بأن ينزل به أوخم العواقب إن هو لم يطلق زوجته كي يتمكن من الزواج منها.

إنها في الحقيقة صورة مؤلمة لإنسانٍ واقع تحت سيطرة وهمٍ آسر، وإذا لم يعامَل من قبل طبيب نفسي مختص يقوم بدراسة حالته العائلية والاجتماعية والثقافية فإن الأمر قد يؤول به إلى الانتحار أو ارتكاب جريمة قتل أو الجنون.

المحور التاسع: التقمُّص

وقد يتقمص الجنّي صورة ثعبان في حين من الأحيان فيلاحق الفتاة ويطاردها وهي في عقر دارها، أو يلاحقها في بيت زوجها إذا تزوجت. ومن ذلك ما يروى عن سعد بن أبي وقاص أنه تزوج من امرأة من قبيلة عذرة، فرأى عندها على الفراش ثعباناً فهم بقتله فقالت: هذا كان يتبعني وأنا عند أهلي. فعرف سعد أنه جنّي فقال له: هذه امرأتي تزوجتها على كتاب الله وسُنة نبيّه فماذا تريد منها؟ فانساب الثعبان وصعد في سقف منزل الرسول[1].

وقد يتقمص صوراً أخرى سنتحدث عنها خلال فصول هذا الكتاب. ولكن أكثر حوادث التقمص مجلبةً للسخرية عندما يتقمص الإنسان جسد حيوان. وتعرف هذه الحالة بالتناسخ، وهو مبدأ من صنف التقمص مع بعض الاختلاف عند المتكلمين. فذكر المتكلم المعروف بالبهشمي قال:

كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد شيخٌ للإمامية يعرفُ بأبي بكر بن الفلاس، وكان طيباً، فحدثنا يوماً أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع، ثم صار يقول

---

(1) **مصارع العشاق، داود الأنطاكي**، 2/ 387.

بمذهب أهل التناسخ، قال: فوجدته وبين يديه سنّور سوداء وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأسها، وعينها تدمع كما جرت العادة في السنانير بذلك، وهو يبكي بكاءً شديداً.

فقلت له: لِمَ تبكي؟ فقال: ويحك ما ترى هذا السنّور تبكي كلما مسحتها. هذه أمي لا شكَ وإنما تبكي من رؤيتها ليَ حسرةً.

وأخذ يخاطبها خطابَ من عنده أنها تفهم عنه. وجعلت السنّور تصيح قليلاً قليلاً.

قال: فقلت له وأنا أسخر به: فهي تفهم ما تخاطبها به؟

فقال: نعم.

قلت له: أفتفهم أنت عنها صياحها؟

فقال: لا

فقلت له: فأنت إذاً الممسوخ وهي الإنسان[1]

---

(1) **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، القاضي التنوخي، 8/ 70، تحقيق عبود الشالجي، ط. دار صادر - بيروت . لبنان، 1393هـ/ 1973م.

الهواتف

التعريف: جمع هاتف. وهو الصوت يُسمَع ولا يعرف مصدره، تقول: سمعتُ هاتفاً يهتف: إذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر أحداً. قاله (ابن سيده)[1]. ويبدو أن الشاعر الفارسي عمر الخيام أخذ هذا المعنى فقال في إحدى رباعياته المترجمة بلغة الشاعر العربي أحمد رامي:

سمعتُ صوتاً هاتفاً في السَّحَر ... نادى من الحان غُفاةَ البشرْ

هُبوا املؤوا كاسَ الطّلا قبل أن ... تفعم كأسَ العُمر كفُّ القدرْ[2]

ويتبين لنا من هذه الرباعيّة أن الشاعر سمع صوتاً ولم يبصر أحداً، ولكن لما كان الصوت صادراً من (الحان)، فإن الذهن سينصرف إلى كونه (الشيطان) يدعوه لاجتناء اللذاذات قبل فوات الأوان.

وقد لعبت الهواتف في العقلية العربية دوراً كبيراً في مجال الدعاية للإسلام. وقد كانت موجودة قبل الإسلام يتحدث عنها المصحرون في القفار والفيافي والفلوات النائية. وأغلبها هواتف شعر يقولها (الجنّ) الذين يحمون الوديان والواحات، فيأتي المسافرون للاستراحة فيها فيستأذنون من سيّدها أو يعيذون به، فإما أن يَعيذهم فيأمنوا أو يرفض وينفيهم عن أرضه، وربما يقتلهم كما حدث لسيد الخزرج سعد بن عبادة وسيأتي تفصيله.

---

(1) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: هتف.

(2) **رباعيات الخيام**، أحمد رامي، 37، الطبعة الرابعة، 1952 . والطِّلى: الخمر.

والأعراب يؤمنون بالهواتف ويعارضون مَن ينكر عليهم إيمانهم. ويزعمون أنهم يسمعون الهاتف يخبرهم بخبر حَدَثٍ ما، ثم يتبين لهم بعد ذلك أن الخبر كان صحيحاً.

فمن ذلك ما تحدّثوا عن (الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدي) أنه سمع هاتفاً يقول:

لقد هَلَكَ الفيّاض غيثُ بني فِهرِ ... وذو الباعِ والمجد الرفيع وذو الفخرِ

فقال الأعشى متسائلاً:

ألا أيها الناعي أخا الجود والندى ... مَن المرءُ تنعاه لنا من بني فِهرِ؟

فقال الهاتف:

نعيتُ ابن جدعانَ بن عمرو أخا الندى ... وذا النَّسَبِ القدموس والحسب القَهْرِ

وعندما وصل الأعشى إلى المكان تبين له أن المنعي هو ابن جدعان[1].

وتردّد في الأخبار كلمة (هاتف) في مواضع عديدة من القصص الجاهلي ووردت بعدها الجمل التي قالها الهاتف لمن وجَّه خطابه إليه، وهي عبارة عن تكهنات وأخبار عن أمرٍ وقع أو حدثَ، أو للتحذير من القيام بعملٍ ما، أو بإرشاد إلى عمل أو وجهةٍ أو مسارٍ وما يشبه ذلك من أمور.

وقد تستعمل الكلمة بمعنى (الرِّئي) الذي يهتف بالكاهن أو الصوت الذي يُزعم أنه يخرج من جوف الصّنم[2].

ومن الهواتف التي سمعت من جوف الأصنام مثلاً، ما تحدّث به (مازن بن العصفور الطائي) قال: إنه لما ذبح (عتيرته)[3] إلى صنمه الذي يعبده، سمع من جوف الصنم هاتفاً يقول:

---

(1) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي، 6 / 736، الطبعة. الأولى، بيروت، مايو/أيار 1968.

(2) **المصدر نفسه**، 6 / 736.

(3) **العتيرة**: الذبيحة التي كان الجاهليون يذبحونها للأصنام وتكون في العادة شاةً.

بَعــثُ نبــيٍّ مـــن مضــر فَـدَعْ نَحيتــاً من حجــر

ثم نحر في يوم آخر عتيرة أخرى إلى صنمه فسمع منه هاتفاً يقول:

هـــذا نـــبـــيٌّ مـرسَـــل جــاء بـخيــر مُـنْــزَلْ[1]

وكثرت الحكايات عن الهواتف في إرهاصات الولادة النبوية، كالهواتف التي سمعتها آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ قبل ولادتها محمداً ﷺ. منها نذكر الهاتف الذي سمعته يقول:

صلّى الإلــهُ وكلُّ عبدٍ صـالح والطيبون على السراج الواضح[2]

ومن الهواتف ما جعل كدعاية للإسلام تؤثر بالمشركين وتجعلهم يصبؤون بترك دينهم ويسلمون كما حدث للحجّاج بن عِلاط - وكان مشركاً - فسمع صوتاً بآية من القرآن، فلما أتى المدينة سمعها من النبي فآمن به[3].

واستخدمت الهواتف في تنوير الناس وتحفيزهم على الجهاد مع رسول الله ﷺ. ومن هذه الهواتف ما تحدث به الرواة عن صارخ صرخ من أعلى جبل قُبيس - ليلة أمر الرسول بالمسير إلى مكة عام الحديبية - وقد سمعه جميع الناس يدعوهم إلى الجهاد قائلاً:

هُبّوا لصـاحبكم مثلي صحـابته سيروا إليه وكونوا معشراً نُجبـا

وتبين بعد ذلك أن هذا الهاتف كان (سَلْفعَ) شيطان الأصنام وقد أسلم[4].

وقد سُمعت هواتف تمدح وترثي وتتوعّد كالهاتف الذي سمع بعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب يقول:

أيهــا القـاتـلون جهلاً حسيناً أبشــروا بالـعـذاب والتنكيـل

وكانت الهواتف قد مدحت الرسول ﷺ ورثته، وكذلك مدحت عمر ورثته، ومدحت الحسين ورثته. وهواتف أخرى رثت المتوكل العباسي بعد مقتله.

---

(1) **بحار الأنوار**، المجلسي، 18/ 91.

(2) **مستدرك سفينة البحار**، الشيخ علي النمازي، 5/ 451.

(3) **سبل الهدى والرشاد**، الصالح الشامي، 321.

(4) **سبل الهدى والرشاد**، الصالح الشامي ، 360.

وهذه الهواتف يكثر في هتافها قول الشعر ولا شك أنه شعرٌ من نظم الشعراء المنتمين، فينسبونه إلى تلك الكوائن ليكون أكثر تأثيراً في قلوب المتلقين، ولو ادعوه لأنفسهم لقلَّ تأثيره ولما شغل الناس أنفسهم بها.

ويتناقل الناس هذه الأشعار مع حكاياتها حتى تشكل في نهاية الأمر ركناً من أركان الأدب العربي، فتؤلف فيها الكتب العديدة نذكر منها على سبيل المثال كتاب (الهواتف) لمحمد بن علي بن ميمون من أهل الكوفة. وكتاب (الهواتف) للشيخ أبي الحسن النجاشي. و(الهواتف) لابن أبي الدنيا. وكذلك لأحمد بن محمد بن عمران الجراح وللخرائطي وغيرهم كتب أخرى في هذا الباب.

ويعتقد أن الهواتف الشعرية بخاصة ترتبط بالسماء، وكدليل على ذلك ما روي عن أم سلمة أنها سمعت ليلة مقتل الحسين هاتفاً من السماء يقول:

ألا يا عين فاحتملي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا ... إلى متجبّر بثوب عبدِ

وفي رواية أخرى أنها سمعت:

أبكي قتيلاً بكربلاء ... مضرج الجسم بالدماء

وعلى هذا يكون ارتباط الشعر بهاتفٍ لا يُرى، أي صوت صادر من المطلق وارتباط الشاعر بالروح القدسي، كل تلك الإشارات دليل على قدسية هذا النوع من الشعر.

يقول أحمد لاشين عن هذا النوع من شعر الهواتف: إنه يعتبر شعراً مقدساً بسبب ارتباطه بالمطلق (السماء)، وعلى هذا فهو مرتبط بالروح القدس[1]. ومعنى هذا أنه من الوحي الصادر من السماء ومن هذا جاء تقديسه.

دابة الأرض

التعريف:

هي مخلوق خيالي من ابتكارات الفكر الميثولوجي الإسلامي. جاء باسم (الدابّة) بضمن مصطلح (خروج الدابّة). وخروجها من علائم الساعة ويرافقها طلوع الشمس من مغربها.

---

(1) **كربلاء بين الأسطورة والتاريخ**، أحمد لاشين، 429.

موضع خروجها:

وعيّنوا الموضع الذي تخرج منه. قالوا: تخرج من (أجياد) موضعٌ بمكة مما يلي الصّفا. وقال أبو سعيد السيرافي في كتابه (جزيرة العرب): هو موضع خروج دابة الأرض. وجاء عن ابن فارس أن هذا الموضع قديم في التاريخ كان مسرحاً للجياد الوحشية التي لا يطمع في ركوبها طامع وبذلك سمي المكان أجياداً[1].

عملها:

وهذه الدابّة معجزة من معجزات الله تعالى، تخرج ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فتزيد وجه المؤمن حلاوة بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم. وفي حديث آخر: تخرج فتسم الناس على خراطيمهم[2].

صفتها:

وهي شيء مخيف وعندما تخرج من (أجياد) تصرخ فيسمعها مَن في الخافقين. ولا يستطيع أن يفرّ منها أحد إلا مُثِلت بين عينيه ولها سلطان من ربنا عظيم[3].

أما شكلها فمرعب مريع. روى ابن الأثير أنها جمعت في خلقتها من كل حيوان، فرأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيّل، وعنقها عنق النعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرٍّ، وذيلها ذيل كبش، وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعاً[4].

علاقتها بالإسرائيليات:

وروى الإخباريون أن عبد الله بن عمر وصفها كذلك بتلك الصفات وقالوا: كان عبد الله يقرأ الكتب (أي التوراة) ونحوها من الكتب السماوية. والظاهر أن ما قاله عبد الله مكتوبٌ فيها أو مستنبط منها.

---

(1) **معجم البلدان**، ياقوت، 1/ 105

(2) **كنز العمال**، المتقي الهندي، 14/ 343، تحقيق بكر جبالي، دار الثقافة، بيروت.

(3) المصدر نفسه، 14/ 343.

(4) **عون المعبود**، العظيم آبادي، 11/ 276، الطبعة الثالثة 1415 هـ.

شبهها بـ (بـهيموث) المخلوق التوراتي:

أقول: إن مثل هذه الكائنات كانت تتردد على مسامع المسلمين يرويها رواة اطلعوا على التوراة وقرؤوا فيها ذكراً لكائنات خارقة مخيفة، فاستنبطوا منها دابّة الأرض المخيفة لغرض إرهاب الناس حتى يسلموا، ومن يرفض فإن دابّة الأرض تكون له بالمرصاد ترقبه أينما ذهب (لا يفرّ منها إلا مثلت بين عينيه) فهي أشبه بكاميرات التجسس اللّيزرية التي تستعمل اليوم لرصد تحركات الناس وتصويرهم.

ومن هذه المخلوقات التوراتية المخيفة مخلوق شبيه بدابة الأرض أطلقت عليه التوراة اسم (بهيموث) من الاسم العبراني (بهيمه)[1]. وقد زعم علماء اليهود أن (بهيموث) حيوان كبير الحجم ذو قدرة عظيمة ومنظر هائل، ومن شأنه أنه كان ولا يزال يُسَمَّنُ منذ ابتداء الخليقة إلى مجيء المسيح، فإذا جاء قُدِّم وليمة للمؤمنين. ويزعمون أنه في خلال هذه المدّة كلها يرعى كل يوم ألف أكمةٍ ويعبُّ من الماء كل مرة ما يزيد عن المقدار الذي يصبُّهُ نهر الأردن في البحر الميت مدة نصف سنة كاملة. وهو عظيم الحجم ضخم الجثة طوله نحو (16) قدماً وعلوه (7) أقدام.

ورغم ذلك فقد بقي علماء التوراة في حيرة من أمر هذا المخلوق، هل هو حقيقي أم خرافي، ومن أجل جعله في إطار الحقيقة حتى لا تتهم التوراة بأنها كتاب في الخرافات، قالوا إنه قد يكون التمساح، وقال بعضهم: إنه قد يكون فرس النهر الذي يكثر في نيل مصر، وبعضهم قال: إنه ربما يكون أحد الحيوانات المنقرضة كالماموث والمستدون[2].

ومهما يكن من أمر فإن التبادل الثقافي بين الديانتين اليهودية والإسلامية في عصور الإسلام الأولى قد أدى إلى انتقال خرافات من الديانة الأولى إلى الديانة الثانية ولكن بالشكل الذي يلائمها، ومن جملتها خرافات الكوائن الخارقة خرافة العماليق وأسطورة (عَوج بن عناق).

---

(1) انظر المزمور 73/22

(2) **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست، 1/ 253، طبع بيروت في المطبعة الأميركانية 1894.

الجن: التعريف والماهّية

الجنُّ جمعٌ والمفرد جِنّي. مخلوق مخيف على العموم. هكذا تصورّه الإنسان منذ فجر حياته وذلك عندما يخوّف به وهو طفل فيقال له: «إجاك الجنّي».فيرتعب دون أن يكون قد عرف شكله إلا ما زرعه أهلوه في ذهنه الصغير من أوصاف مهولة كالسيقان الطويلة المشعرة والأرجل المظلفة والوجه ذي الأسنان الكلبيّة البارزة وغيرها، وكل ذلك ردعاً لتصرفاته الطفولية المتفلتة.

وعندما يكبر يسأل عن حقيقة شكله وماهيته فلا يستطيع أحد أن يجيبه، حتى المتمرسون في العلم والفقه والفتوى لا يستطيعون أن يجيبوه، لأنه ليس هناك من أحد رآه رأي العين وإنما يلقّنه هؤلاء بما ورد عنه من أخبار تناقلوها أباً عن جد، وهي روايات خيالية متضاربة غير علمية ولا مقنعة.

جاء في كتب الأخبار أن الجنّ كانوا قبل آدم. وقيل: منهم الكلاب السود، البُهم، وهم سفلة الجنّ. ومن حديث منسوب إلى ابن عباس: الكلاب من ضَعَفَةِ الجنّ، فإذا كان عندكم طعامٌ فألقوا لهن فإن لهنّ أنفساً[1].

وهناك (الحنُّ) بالحاء، جنسٌ من الجنّ. وذهب أهل الأخبار إلى أنَّ (الحنّ) هم كلاب الجنّ وسفلتهم وشرّ أنواعهم، وجعلوا الجنّ فوق الحنّ.

أما كلمة (الجن) فذهب بعض المستشرقين إلى أنها من الكلمات المعربة. وذهب بعض آخر إلى أنها عربية. ويقول المؤرخ الدكتور جواد علي: وأرى أنها من

(1) **المفصّل**، مصدر سابق، 6/ 77.

الكلمات السامية القديمة لأن الإيمان بالجنّ من العقائد المعروفة عند قدماء الساميين وعند غير الساميين، والأصل في معانيها (الاستتار)[1].

والجنُّ في معتقداتنا نوعان: نوعٌ خيِّرة ونوع شرير. وهي كذلك عند الشعوب الأُخرى، فالهند مثلاً يعتقدون بأنواع كثيرة من الجنّ، بعضها للخير وبعضها للشرّ وهي معبودة عندهم جميعاً، وفيهم إناث وفيهم ذكور. والإناث فيهنّ راقصات وموسيقيات يعلمن الشعب الرقص والموسيقى. وفيهم الفَعَلَةُ الإلهيون الذين يبنون قصوراً للآلهة.

أما ما ورد في كتب العرب عن الجنّ فشيء كثير، والاعتقاد بوجودهم من الأمور الشائعة وحكاياتهم فيهم أشهر من أن تذكر. وهم بالإجمال ينقسمون عندهم إلى قسمين: جنٌّ مؤمنون وجنٌّ كافرون. وقد ذكر في تعريفهم أنهم حيوانات هوائية تتشكّل بأشكال مختلفة[2].

وجاءت صور هذه الأشكال في خبر النبي سليمان عليه السلام عندما استعرضهم أمامه فوقفوا بين يديه طائعين صاغرين فجعل ينظر إلى خلقهم وعجائب صورهم وهم بين بيض وسود وصفر وشقر وبُلق على صور الخيل والبغال والسباع . . . ولهم خراطيم وأذناب وحوافر وقرون.

وقد خَرَّف (وهب بن منبه) في تعداد صورهم فقال: منهم من كان وجهه على قفاه يخرج من فيه النار، ومنهم من كان يمشي على أربع، ومنهم من كان له رأسان، والبعض له رؤوس الأُسد وأبدان الفيلة. ورأى سليمان شيطاناً نصف صورة كلب والنصف الآخر صورة سنّور وله خرطومٌ طويل . . إلخ . .

وقيل إن لهم أذناباً يطيرون بواسطتها بعد أن يصنعوا تلّاً عالياً من التراب فيكون بمثابة قاعدة الانطلاق، فذكر أحد الرواة أنه قد شوهد (جانٌّ) أقبل ناحية المسعى حتى دنا من الحجر فطاف بالبيت سبعاً، فلما أتى المقام، قام على ذنبه فصلى ركعتين، ثم قام بعد ذلك فكوّم برأسه كومة من بطحاء المسجد ثم وضع عليها ذنبه ثم طار في الهواء[3].

---

(1) **المفصّل**، مصدر سابق، 6/ 77.

(2) **دائرة معارف البستاني**، مادة جن.

(3) **مختصر بصائر الدرجات**، حسن بن سلمان الحلّي، 16.

ويرى بعض الفلاسفة أن الجنّ والشياطين هم النفوس البشرية المفارقة للأبدان (أي الأرواح) بحسب الخير والشرّ. فإذا كانت الروح روح إنسان خيِّرٍ صارت جِنّاً خيراً وإذا كانت الروح روح إنسانٍ شرير صارت جنّاً شريراً[1].

وقال أبو وهب: إن الجنَّ يولد لهم ويأكلون ويشربون ومنهم بمنزلة الريح. وقال بعضهم: إن الجنّ بين الملائكة والشياطين.

ومن قولٍ منسوب إلى النبي ﷺ: أن الجن ثلاثة أصناف، صنف حيّات وعقارب وخشاش الأرض (أي حشراتها) وصنف كالريح في الهواء، وصنفٌ كبني آدم عليهم الحساب والعقاب[2].

وقال البيضاوي في تفسيره: إن الجنّ أجسامٌ هوائية أو نارية عاقلة خفيفة تشكّل بأشكال مختلفة ولها قدرة على الأعمال الشاقة: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[3] أما سائر الكائنات العاقلة فهي الإنسان والملائكة، خلق الإنسان من صلصال والملائكة من نور[4].

وقد حاول أحد الباحثين العصريين إثبات وجودهم علمياً عن طريق مقارنة مادتهم النارية بما اكتشفه العلماء من أسرار الذّرة التي تولّد الطاقة الحرارية العالية عن طريق تحطيمها فقال: فمنذ أربعة عشر قرناً من الزمن أورد القرآن الكريم النصّ الصريح الذي يعلن عن وجود هذه الكائنات التي خلقت من نار !! بل إن الآيات الشريفة قد أوردت في لفظ مختصر وآية قصيرة كل الحقائق العلمية الخاصة بمادة هذه الكائنات وأوضحت تكوينها وذلك في النصّ الكريم: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾، والمارج هو الشعلة الزرقاء التي تنبعث من المادة المشتعلة وتتميز بأنها أعلى درجة من الحرارة[5]. ومعنى هذا ـ حسب نظريته ـ أن الله تعالى خلق الجانّ من هذه الذرة التي تولد الطاقة الحرارية بعد تحطيمها. ولكن هل يستطيع العلماء الذين

---

(1) **دائرة معارف البستاني**، مصدر سابق، مادة جنّ.

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة الرحمن، الآية 15.

(4) **دائرة معارف البستاني**، مصدر سابق، مادة جنّ.

(5) **عالم الجنّ والملائكة**، عبد الرزاق نوفل، 16.

ولّدوا الطاقة من حطام الذرة أن يولدوا منها جنياً؟ سؤال يمكن أن يوجّه إلى الشيخ صاحب النظرية وهو عبد الرزاق نوفل.

وقد ذكر (نولدكه) أن الأثيوبيين يقولون بوجود ارتباط بين الجنّ والغول والسِّعلاة والعفريت.

وكانت قصص غرام الجنّ بالإنس مثار اهتمام الناس ويسوّق لنا -والقول لندولدكه صاحب الفهرست- أسماء ستّ عشرة قصة من هذه القصص. وجاء من هذه القصص في (مصارع العشاق للسراج) أما من تجاسر على الشك بوجود الجنّ فهم قلة ومنهم بعض المعتزلة[1].

وذكرت الموسوعة البريطانية أن الـ(Jinny) مفرد (Jinn) ويقال أيضاً (Genie) وفي العربية (Jinny) وهو روح خارقة للطبيعة (Super natural) تحت الملائكة وتحت الشياطين[2].

الجنّ في نظر الفلاسفة والفقهاء

في (كشّاف اصطلاحات الفنون) للتهانَوي تحصيلٌ وافٍ عن آراء الفلاسفة والعلماء والفقهاء في حقيقة وجود الجنّ أو نفيها نجتزئُ منه بعض ما فيه[3]:

«اعلم أن الناس قديماً وحديثاً اختلفوا في ثبوت الجنّ ونفيه. وفي النقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، وذلك لأن أبا علي بن سينا قال: الجنُّ حيوان يتشكّل بأشكال مختلفة. ثم قال: وهذا شرح الاسم؛ فقوله وهذا شرح الاسم يدل على أن هذا الحد هو شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج.

وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين بالأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجنّ، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمونها: الأرواح السفلية، وزعموا أن الأرواح السفلية اسرع إجابةً لأنها ضعيفة، وأما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابةً إلا أنها أقوى.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، 7/ 110 ، كتابة مكدونالد.

(2) **Ency. Brita**. Jinn Item

(3) كشاف اصطلاحات الفنون، ج1 ص374، تحقيق د. لطفي عبد البديع، مراجعة الأستاذ أمين الخولي، دار الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، 1332هـ/ 1963م.

واختلف المثبتون على قولين: فمنهم من زعم أنها ليست أجساماً ولا حالّةً فيها، بل جواهر قائمة بأنفسها، قالوا: ولا يلزم من هذا تساويها لذات الإله، لأن كونها ليست أجساماً ولا جسمانية سلوب، والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية.

وقالوا: ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها في هذه السلوب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد اشتراكها في الحاجة إلى الحل، فبعضها خَيّرةٌ محبة للخيرات، وبعضها شريرة محبة للشرور والآفات، ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله تعالى».

ويستمر التهانوي في طرح آراء المتكلمين في الجنّ وإثبات وجودهم، غير أننا إذا بحثنا عن المتجاسرين على الشك في وجودهم فسنجدهم قلةً، وسبب ذلك يعود إلى ثبوت وجودهم في القرآن الكريم فلا يجرؤ أحد أن ينكره.

وقد حاول الفلاسفة المتقدّمون ومنهم (الفارابي) تجنب البحث فيهم فعرّفوا الجنّ بتعريفات غامضة حسب ما يقول (ماكدونالد) ويضيف: ولكن ابن سينا عند تعريفه لكلمة (جنّ) أكّد من غير مواربة أنه ليس هناك حقيقة واقعة وراء هذه الكلمة. وتخلص الفلاسفة المسلمون المتأخرون من هذه المسألة أيضاً، فلجؤوا حيناً إلى التفاسير وحيناً إلى الميتافيزيقيا. فابن خلدون مثلاً يجعل الآيات القرآنية التي تشير إلى الجنّ من الآيات المتشابهات وعلمها عند الله وحده[1].

المعتزلة لا يخافون الجنّ

المعتزلة من الفرق الإسلامية المعروفة بتحكيمها العقل في تعليل الظواهر اللامرئية. روى عنهم القاضي أبو علي المحسِّن التنوخي – وهو من كبار المعتزلة – أنهم لا يخافون الجنّ. حتى عجائزهم لأنهم لا يؤمنون بها وكذلك صبيانهم. وهذا أمر عجيب في مجتمع يسوده الإيمان بوجود هذه الكائنات. قال التنوخي:

سمعت جماعة من أصحابنا – يعني المعتزلة – يقولون: مِن بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجنّ. وقد حكي لنا أن لصّاً حصل في دار معتزلي فأحسَّ به فطلبه

---

(1) **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، مادة جن، كتب المادة المستشرق ماكدونالد.

فنزل اللص إلى بئر في الدار، فأخذ الرجل حجراً عظيماً ليدليه عليه، فخاف اللصُّ التلف فقال له:

- الليل لنا والنهار لكم !

يوهمه أنه من الجنّ. فقال له المعتزلي: فزن معي نصف الأجرة[1].

فقال اللص: متى يأمن أهلك من الجنّ؟

فقال المعتزلي: دع ذا عنك واخرج. فخرج وخلّى سبيله[2].

وقال التنوخي في حكاية أخرى: إن لصّاً دخل على كيس صيرفي ليأخذه وتبعه إلى داره واختفى فيها، وسلّم الصيرفيُّ الكيس إلى أمه العجوز فخبّأته وقامت تصلّي ولم تنم. وخَشِيَ اللصُّ أن يدركه الصبح فصاح بالعجوز بصوت غليظ تَعمَّد أن يكون جهورياً ليفزعها وقال لها:

- أنا رسول رب العالمين أرسلني إلى ولدك الفاسق لأعِظَهُ وأعامله بما يمنعه من ارتكاب المعاصي، وكانت الأم معتزليةً جلدةً لا تخاف الجنّ، ففطِنَت لحركته وأنه لصٌّ، فتظاهرت بالارتعاد والفزع وصاحت به:

- يا جبريل . . سألتك بالله إلّا رفقت به فإنه واحدي.

فقال لها: ما أرسلتُ لقتله ولكن لإيلامِ قلبه بأَخذِ كيسه.

فقالت: دونك ما تريد.

فلما دخل اللصُّ إلى الغرفة التي فيها الكيس أغلقت عليه الباب وأقفلته ووقفت تصلي حتى طلعت الشمس وجاء ولدها فأخبرته بالقصة فمضى وأحضر الشرطة وفتح الباب وقبض على اللصّ[3].

ونستنتج من هذه الوقائع أن اللصوص في ذلك الزمان كانوا على دراية بأمر خوف الناس من الجنّ فلذلك استخدموا في عملهم وسيلة الإرعاب بالتمظهر بمظهر

---

(1) يعني: أعطني نصف أجرة الدار ما دامت السكنى مشتركة بيني وبينك.

(2) **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي، 2 / 1391، 197 هـ / 1971م.

(3) المصدر نفسه، 2/ 339.

الجنّ للوصول إلى غايتهم. ولكن لم يضعوا في حسابهم أن قسماً من الناس هم فلاسفة معتزليون ينكرون وجود الجن أصلاً فوقعوا ضحيةَ خطلِ تدبيرهم.

ومع ذلك فإن قسماً من فلاسفة المعتزلة مؤمنون وقد أتوا بآراء مختلفة في طبيعة الجنّ وأثرهم في الماديات[1].

الجنُّ في الصراعات الفكرية

وفي عصور انبثاق المذاهب وظهور الصراعات الجدلية بين طوائف المسلمين، دخلت الجن في حلبة هذه الجدالات متشعبة الموارد، وكان من جملة تلك الموارد مسألة (القول بخلق القرآن) وهي مسألة شاعت في العصر العباسي وراحت فيها ضحايا كثيرة من المؤيدين للفكرة أو المخالفين لها. فمن ذلك ما أخرجه ابن الجوزي عن أحمد بن نصر الخزاعي أحد أئمة أهل السُّنة (ت.231هـ) قال:

«رأيتُ مصاباً قد وقع - يقصد مصاباً بالصرع - فقرأتُ في أذنه، فكلمتني الجنّيةُ من جوفه: يا أبا عبد الله دعني أخنقُه فإنه يقول: القرآن مخلوق . . »[2].

وأحمد بن نصر الخزاعي هذا هو ابن مالك بن الهيثم أبو عبدالله الخزاعي من أشراف بغداد. وجدُّه مالك أحد نقباء بني العباس في ابتداء الدولة العباسية. وكان أحمد يخالف من يقول بخلق القرآن ويقدح في الخليفة الواثق بالله في أيامه. وبلغ من أمره أن بايع له جماعة في بغداد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأراد بهم الخروج على الواثق، فعلم به الواثق فقبض عليه وقتله بيده في سامراء وبعث برأسه إلى بغداد فنصب فيها ست سنوات وجسده بسرّ من رأى[3]. وقد علقوا على الرأس في أذنه رقعة مكتوب فيها هذا النصّ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا رأس أحمد بن نصر الخزاعي ابن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن فأبى إلا المعاندة فعجّله الله إلى ناره».

---

(1) **دائرة المعارف الإسلامية** ، المصدر السابق، 7/ 113

(2) **صفة الصَّفوة**، 2/ 205.

(3) **الأعلام** ، الزركلي، 1/ 264، الطبعة الخامسة 1980.

ويبدو لنا أن خرافة الجنّية التي تكلمت من جوف المصروع اختلقها الخزاعي كي تشيع بين العامة في تضاد مع فكرة خلق القرآن التي يؤمن بها الخليفة الواثق ولتعينه في إثارتهم على الخليفة حيث كان يعتزم الثورة عليه.

وتفيد بعض الأساطير أن للجن انتماءات وتوصلات إلى هذه الفرقة وتلك من الفرق الإسلامية. فقد حدَّث أحد الشيوخ قال:

«علق رجلٌ من الجنّ جاريةً لنا ثم خطبها إلينا وقال: إني أكرهُ أن أنال منها محرماً. فزوجناها منه. قال: فظهر معنا يحدّثنا، فقلنا: ما أنتم؟ فقال: أمّمٌ من أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم. قلنا: هل فيكم هذه الأهواء؟ -يقصد الملل والنِّحل- قال: نعم . . فينا من كل الأهواء: القدرية والشيعة والمرجئة. قلنا: من أيّتها أنت؟ قال: من المرجئة»[1].

ولدى تأملنا هذا النصّ نجد أن مسألة عشق الجنّ لنساءٍ من الأنس كانت من الأمور المقبولة والمعقولة عند الناس، فيستطيع الجنّي الخيّر الملتزم العاشق أن يذهب إلى أهل معشوقته ويطلب يدها منهم ويتزوجها على سُنّة الله ورسوله، فيزوجوه إياها دون أن يتعرّفوا على انتمائه الطائفي حيث لا يهمهم من أيّ طائفة يكون. ولكن هذا الجنّي أراد أهل عروسه أن يعرفوا مذهبه فكان مرجئياً. ويبدو لنا أن الشيخ صاحب الحديث قد صنع هذه الخرافة دعاية للمرجئة، أو كان هو نفسه مرجئياً، والقارئ يعلم أن المرجئة أخفّ الطوائف حدّةً لأنهم يرجئون الخلافات جميعاً إلى الله يحكم بينها يوم القيامة.

المتزوجون من الجنّيات

والمبحث هذا هو استكمال للمحور الأول المتعلّق بالزواج من الكائنات الخفيّة الذي جعلناه فاتحة كتابنا وتناولنا فيه بعض أسماء الذين تزوجوا من الجنّيات من العامة والخاصة، وهنا نكمل ونضيف إليهم ستةً أعظمهم (الله) تعالى عن ذلك.

1- الله:

كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن لله نسباً بينه وبين الجنّ وزعمت قريش ذلك

---

(1) في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمود سليم الحوت، 229.

فنزلت الآية: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[1] وأنها جعلت الجنّة شركاء له ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] أي جعلوا لله الجنّ شركاء في عبادتهم إياه، وخرقوا له بنين وبنات وتخرصوا له كذباً فافتعلوا له بنين وبنات جهلاً وكذباً.

وورد أن الله تزوج من الجنّ وأن الملائكة هم بناته من هذا الزواج. وقال كبار قريش: الملائكة بنات الله. فقالِ لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجنّ[3].

2- ملك اليمن (ذو رعين):

تزوّج من جنّيةٍ رآها أثناء رحلة صيد اسمها (حسنة) فطلبها من أبيها، فاشترطت عليه شرطاً ألّا يسألها عن شيء تعمله لم عملته. فرضي بالشرط وتزوجها، فكانت في كل يومٍ تتصوّر له في صورة جديدة. وقد ولدت حسنة للملك (ذي رعين) ابناً أحسن البنين فوثبت إلى الابن فذبحته فأراد قتلها، فنصحه وزيره ألا يفعل. ثم ولدت له في المرة الثانية بنتاً، فأرسلت إليه أن افتح بيوت المال وهبها للناس. فغضب الملك ولم يتمالك أن سأل عن فعلها فأجهشت بالبُكاء ولطمت وجهها وقالت:

- إني ما فعلت ذلك إلا لحبّي بك لأن ولدك حسبما تراءى لي أنه سيقوم بقتلك وأن هذه البنت ستزوج بها نبيّ فاستوصِ بها خيراً. ثم غابت عن بصره[4].

3- الهدهاد بن شرحبيل بن الحارث:

ملك يمني كان يتصيّد فرأى ذئباً يطارد غزالة فأنقذها منه، وإذا بالغزالة ابنة ملك الجن (اليَلَب بن صعب) فتزوجها الهدهاد على سُنّة الله ورسوله. وكان اسم تلك الجنّية (الحرورى) بنت اليلب بن صعب العربي ملك الجنّ فولدت له (بلقيس)[5].

---

(1) سورة الصّافات، الآية: 158.

(2) سورة الأنعام، الآية: 100.

(3) **المفصل**، مصدر سابق، 6/ 709 وما بعدها، عن تفسير **الطبري**، 7/ 197 ولباب **المنقول في أسباب النزول** للسيوطي، 2/ 81 وما بعدها، حاشية تفسير **الجلالين**.

(4) **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، 69.

(5) **ملوك حمير وأقيال اليمن**، شرح قصيدة نشوان الحميري، المتوفى 573 هـ، تحقيق إسماعيل بن أحمد الحرّاني وصاحبه، ص74.

4- مُصعب بن شكران:

هو مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن منقر بن أنمار بن ربيعة بن نزار، أحد سادات العرب قبل الإسلام، عشقته جنّية فتزوجته، ويبدو أن دمويهما لم يتلاءما فأفصح الزواج عن وليد مشوه الخلقة نصف إنسان بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة فأسموه (شِقّاً). ولكنه مع هذا التشوه ورث من أمه الجنّية خصيصة التنبؤ بالغيب وتفسير الأحلام وإعطاء الحوادث المستقبلية، فراح يتكهّن.

وكان شق معاصراً لمالك بن نصر اللخمي، فاستدعاه مالك واستدعى معه (سَطيحاً)، وهو كاهن مشوّه آخر خلق بغير عظام سوى الجمجمة واللحم، فكان عندما يتحرك يدرج كما يدرج الثوب على الأرض. فاستدعاهما مالك لتفسير رؤيا رآها أفزعته، فأخبراه بوقوع غزو الحبشة لليمن وبظهور سيف بن ذي يزن القائد العربي المشهور (نحو 50-110 ق.هـ) فتحقق ذلك. وقد ذكر الإخباريون أن شِقاً عمر ثلاث مئة سنة[1].

5- سعيد بن خالد بن أسعد:

تزوج من جنّية اسمها (رقيّة بنت ملحان سيد الجنّ)، فكانت تصيبه موتةٌ نصف سنة ونصف سنة يصِحُّ فيعطي ويهب ويكسو ويحمل. ويبدو أنه كان في فترة (الموتة) ينصرف إلى زوجته الجنية وأمدها نصف السنة، وفي نصف السنة الآخر وهو فترة (الصحوة) ينصرف خلالها إلى رعاية أهله وإدارة شؤون حياته. وهو كما يتبين تقسيم عدل على الأقل في رأي الجنية. ولكن أهله لم يرضوا بهذه القسمة الضيزى، أرادوه كله لهم لذلك ذهبوا ليعالجوه لطرد الجنية من داخله، فكلمتهم الجنية وقالت: «أنا رقية بنت ملحان سيد الجن، لو علمتُ مكان رجلٍ أشرف منه لعلقتُهُ، والله لو عالجوه لأقتلنَّهُ». فتركوا علاجه.

والظاهر أن هذه الجنّية اختارت زوجها هذا من أجل الفِحلة (أي الإنجاب الجيد) وهي عقيدة سائدة بين العرب القدماء ذكرناها في المقدمة، ومفادها أن الجنّ يستهوون الرجل الشريف من أجل التلقيح لينجب فيهم نسلاً قوياً مشتركاً. فاستهووا

---

(1) **المفصل**، المصدر السابق، 6/ 765 **ومعجم الفولكلور**، عبد الحميد يونس، 154.

(طالب بن أبي طالب) فلم يعثر أهله له على أثر واستهووا (عمرو بن عدي اللخمي) الملك، ثم ردّوه إلى خاله جذيمة الأبرش بعد سنين طويلة حتى شبّ عن الطوق. واستهووا (عمارة بن الوليد المخزومي) ونفخوا في إحليله فصار مع الوحش[1].
أقول: ولعل عملية النفخ في الإحليل الغاية منها إكساب النطفة روحاً من الجنّ حسب اعتقادهم.

6- أبو أيوب أحمد بن شجاع:

هو خليفة أحمد بن طولون على الخَراج بمصر، ذكره غرسُ النعمة[2] فقال: إنه كان من الحمقى وكان يقول بمخالطة الجنّ -أي يدعو إلى التزاوج معهم- وقد تعشق جارية منهم اسمها (قرةُ العين) وكان يطرح إلى جانبه مُصلّى لتجلس عليه ويجلس هو إلى جانبها. وبلغ من كلفه بها أن غارت جاريته (عِز) منها فهجرته[3]. أقول: والظاهر أن جاريته كانت أشد حمقاً منه.

الحمق الجماعي عند موت الجنّي

وعلى أية حالٍ فإننا نرجو القارئ ألا يؤاخذنا إذا وصفنا الجارية (عِزّ) بالحمق، إذ إن هذا النمّط من شاكلتها كان كثيراً في البيئة الإسلامية بشكل واسع، ولا شك أنها اغترفت منهم. ويدلّنا على ذلك الحدث الذي جرى في بغداد سنة 456هـ / 1063م ففي أحد الأيام من السنة المذكورة، خرج جمعٌ من الأكراد يتعبّدون فرأوا في البرية خياماً سوداً وسمعوا بها لطماً شديداً وعويلاً كثيراً وقائلاً يقول: قد مات (سيدوك) ملك الجنّ وأي بلد لم يلطم عليه ولم يقم له فيه مأتماً قُلع أصله وأُهلك أهله.

وما إن وصل الخبر إلى بغداد حتى خرجت النسوة إلى المقابر يلطمن خلال ثلاثة أيام، وخرج رجالٌ من العامة يفعلون مثل ذلك، وتكرّر هذا في واسط والأحواز وغيرها من البلدان. قال ابن الجوزي: وهذا من الحمق لم يُفعل مثله[4].

---

(1) **المفصل**، 6/ 713.

(2) **انظر:الهفوات النادرة**، 275.

(3) **الفرج بعد الشدة**، القاضي التنوخي، 1/ 237، الهامش، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، 1398هـ/ 1978م.

(4) **الخبر في البداية والنهاية**، ابن كثير الدمشقي، 12/ 112، تحقيق علي شيري. وقد وصف ابن كثير أولئك النسوة بـ(العواهر) ووصف الرجال بـ(الفساق). وهذا تحامل قاسٍ منه يدل على استنكاره الشديد.

واستمر هذا النمط من الحمق الجماعي كلما أُشيع موت جنيٍّ أو أحد أولادهم. فقد حدث في بغداد سنة 646هـ / 1248م انتشار مرض غريب بين الكبار والصغار في حلوقهم وخوانيقهم يؤدي بهم إلى الموت، ومات مَن جراء ذلك خلقٌ كثير. وبينما الناس في هذه المحنة سرت بينهم إشاعة تقول إن امرأة رأت في منامها جنّيةً تعرف آنذاك بين الناس بأم عنقود. فقالت أم عنقود للمرأة إن ابنها عنقود سقط في هذه البئر فمات، وأشارت إلى بئر داخل سوق سلطان. ثم قالت لها: إن هذا قد حدث لي ولم يُعَزِّني فيه أحد منكم فلهذا أخنقكم.

ومن الطبيعي أن يتلاقف الناس هذا الخبر وينتشر بينهم، فكان من جرّائه أن قصد جماعة من العوام والنساء والصبيان البئر ونصبوا عنده خيمة عزاء لابن الجنّية. وكانت النساء تنوح بهذا الشعر:

إي أم عنقـود اعذرينـا   مات عنقـود ومـا درينـا

ولما درينا كلُّنـا قد جينـا   لا تحردين منـا فتخنقينـا

ويعلق مؤلف كتاب الحوادث المجهول على هذا التخريف والحمق الجماعي بقوله: ثم فعلوا ما يناسب ذلك من الغثيان وأكثر من هذا وأمثاله، وبلغ الحدّ إلى أن ألقى الناس في البئر الثياب والحلي والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وأنواع الحلواء، وكذلك أوقدوا الشموع، فلما بالغوا في الأمر عابه العقلاء والأكابر وأنكروه، فأمر الخليفة بمنع الناس من هذه الأعمال، لذلك توجه (الشُّحنة) إلى البئر وقال: إن الديوان قد أقام لأم عنقود من العزاء وأمر بسدّ البئر فتفرق الناس عنها[1].

جنّ الزار المصري وجنّ الهيوة البصرية

تعريف الزار:

الزار شعائرية جماعية للشفاء مِن مَسِّ الجنِّ اعتماداً على وساطة أعلام من الجنِّ يُتوسَّل بهم لطرد الجنِّي الذي يتشَبَّثُ بجسد الممسوس. أو بعبارة أخرى: إشفاء المريض من الجنِّ بواسطة الجنِّ أنفسهم، أو بعبارة مختصرة علاج الداء بالداء.

(1) انظر أيضاً ، **طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر**، حسين علي قيس محمد القيسي، 354، دار الشؤون الثقافية العامة، 2007.

والمسألة هذه مسألة منطقية، فعندما يسمع الجنّي المتمسك بجسد المريض صوت سيده (الزار) يأمره بتركه، فلا شك أن سيخاف ويرتعب ويترك الجسد وإلا تعرض للتعذيب الشديد والضرب والجلد بالسياط. وفي الواقع إن التعذيب هذا يقع على المريض المسكين فيتألم ويصرخ والمحتفلون يرقصون ويدبكون على أنغام العَزفِ الضاجّ الصادر من الدفوف وأنواع الطبول وهم نشاوى، يعتقدون بأنهم يسمعون صرخات الجنّي وليس المريض.

وقد يقوم المريض نفسه بجلد نفسه كما في شعائرية الزار المسمى بـ(دَقَّة الجَمّال)، حيث تقوم العروسة الممسوسة بجلد جسمها بالكرباج الخاص بجلد الجِمال، وهي ترتدي جلابية وتلبس لبدة على رأسها وحزاماً حول وسطها[1] محاكيةً ملابس الجَمّال.

أقول: والزِّيُّ هذا -من الواضح- أنه استخدم من أجل التمويه على الجنّي لإيهامه بأن الشخص الذي تَلَبَّس به ليس عروساً وإنما مجرد رجل جمّال فينزعج ويترك الجسد لأنه يبغي جسم امرأة.

والاعتقاد بالجن من أبرز شروط الزار، ويُمثِّل هذا الاعتقاد حجر الزاوية في ظاهرة الزار، فبدونه لا يمكن تصور الزار، حيث إن الجنّ هو المقابل الأساس للإنسان في الزار[2].

والزار علاوة على هذا عند بعض الناس واجبٌ جَبري لا اختياري، كما يترتب على عدم إقامته إغضاب الجان الذين قد يقومون بإيذاء الشخص عند زواجه وإعراسه بزوجته - مثلاً - فلمنع أذاه في هذه المناسبة يجب إقامة احتفالية الزار لإِشراكه على الأقل وإرضائه بالعَزْفِ على الآلات الموسيقية بالنغمة التي يُحبّها وتقديم الأضاحي إليه ومشاركته في شرب دماء الضحية، وعادة تكون ديكاً أو دجاجة أو حمامة أو خروفاً. ويبدو لنا أن الزار في القديم كانت تقدم له الأضاحي البشرية وتشرب دماؤها.

ويتضمن الزار علاوة على الموسيقى نصوصاً شعرية على الأغلب ونثرية على الأقل تنشدُ على توقيع ضربات الدفوف والطبول والأبواق.

---

(1) **الزار ومسرح الطقوس**، عادل العليمي، 156.

(2) المصدر السابق، 81

أما أزياء المحتفلين فعديدة ومتنوعة حسب نوعية الزار وتستخدم مساحيق التجميل أيضاً كالحنة والكحل والحُمرة مع أنواع الإكسسوارات كالقلائد والأساور والبروشات وغير ذلك.

التأثيل اللغوي والشعائري

وتدل الدراسات عن الزار أن الكلمة (زار) لا علاقة لها باللغة العربية فهي ليست من الفعل زار يزور زيارة، ولا علاقة لها باللغة السامية، وإنما لها علاقة باللغة الأمهرية في بلاد الحبشة.

والاسم (زار) في بلاد الحبشة نفسها لا يرجع إلى أصلٍ سام والراجح أن الكلمة مشتقة من اسم الإله الأعظم عند الكوشيّين الوثنيين. فإله السماء يعرف في لغة (أگو Agau) باسم (جَار) وقد اشتقت كلمة (زار) من اسم هذا الإله الذي أصبح في بلاد الحبشة عفريتاً حقوداً بعد أن دخلت النصرانية إلى الحبشة.

ثم انتقلت على هذا النحو الشعائر الخاصة بالأرواح والتي كانت في وثنية الكوشيين موجَّهة إلى الكائنات الصغرى فحسب، انتقلت إلى المسيحية عند الأحباش، ثم إلى الإسلام مقترنة بالاسم الخاص بإله السماء الذي انحطَّ إلى مرتبةٍ أقل مما كانت له.

ويعتقد المسلمون والنصارى في الحبشة أن الزار (الذي يعيش بصِفةٍ خاصةٍ في الأنهار والجداول وغيرها من المياه الجارية) يمكن طرده من الممسوس باستخدام التمائم أو الشعائر الشائعة عند أَتباع كل من هذين الدينين. ويستحضر إبّان إقامة هذه الشعائر للإفصاح عن اسمه لأن ذلك يفقده قوَّته. على أن أهالي بلاد الحبشة الجنوبية (مثل الكاله والسِّدَمَه) لا يقتصرون على هذه الشعائر الخاصة بطرد الأرواح الشريرة واستحضارها، بل يقيمون طقوساً أخرى لإرغام هذه الأرواح على تقمّص أجسام الأتباع الجدد الذين يدخلون في زمرة المؤمنين بهذه الطقوس. وما إن تتقمص هذه الأرواح الشريرة أبدانهم حتى يقومون بالتنبؤ بالغيب، فإذا بدت منهم كلمة أو إشارة ظنَّ القوم أنها من وحي هذه الأرواح[1].

---

(1) **دائرة المعارف الإسلامية** ، مادة زار، **ومعجم الفولكلور**، د. عبد الحميد يونس، مادة زار.

هجرة الزار

وقد انتقلت طقوس الزار من الحبشة إلى السودان فمصر فشمال أفريقيا، ثم انتقلت حسب رؤية الباحث (سنوك هروگرونيه Snouck Hurrgronje) إلى الحجاز عن طريق العبيد الأحباش، ثم انتقلت إلى عُمان على هذا النحو[1].

ثم انتقلت حسب رأي الباحث (مطيع يونس إلياس) إلى المناطق الجنوبية من العراق عن طريق الزنج قبل مئات السنين. ولا تزال الطقوس تمارس في المناطق الريفية وحتى في مركز قضاء (أبي الخصيب) بشكل خاص.

أقول: لا بد أن يعلم القارئ أن تقرير الباحث المذكور قد نشره في مجلة التراث الشعبي العراقية سنة 1977 ولسنا ندري هل إن الزار لا يزال موجوداً في تلك المناطق أو زال[2]. وقد أخبرني أحد أصدقائي البصريين أن الزار استتر في مكانات خفية عن أعين التيارات الإسلامية المتشددة كالتيار الصدري بعد دخول الأمريكان إلى العراق سنة 2003م.

ويستفاد من مقال الباحث أن منطقة أبي الخصيب تجمّعت فيها أنواع احتفاليات الزار المجلوبة من سواحل الخليج وأفريقيا ومن بلاد الهند الصينية عن طريق التجارة وبيع العبيد، وقد عدّد ستة أنواع منها وهي:

1- **البحري**: وهو من البحر، ويدعي أهل الفرق أنه جاء مع أهل الخشب أي (البُوم)، وهو مركب بحري منتشر في الجنوب العربي ينقل البضائع فيصل الصين والهند، ولعل هذا النوع أسسه العبيد الذين يخدمون في المركب واستقروا في البصرة.

2- **السّماوي**: نسبةً إلى الهواء.

3- **السادة**: وهو من سيد أحمد الرفاعي.

4- **الهندي**: من الهند جاء عن طريق التجارة مع الهند والهند الصينية.

5- **النيلي**: جاء من سواحل الخليج وأفريقيا.

6- **الچبني**: من بلاد الهند الصينية عن طريق التجارة.

---

(1) **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة زار، و **معجم الفلكلور**، د. عبد الحميد يونس، مادة زار.

(2) **ينظر**: الزار بين الرقص الشعبي والخرافة، **التراث الشعبي**، العدد، 11/ 1977م ص51 وما بعدها.

الهَيْوَه البصرية

ولا يُعرف الزار في بقيّة مدن العراق. وخلال اشتغالي بالتدريس في المناطق الوسطى والجنوبية في الناصرية وسوق الشيوخ بالخصوص لم أسمع أحداً ينطق به أو يتحدث عنه رغم اطلاعي على كثير من الساحرات اللواتي تلجأ إليهن النساء لأغراض شتى.

إلا أن هذه المناطق لم تخلُ من تَجَمّعات سكّانية عرقية يتكتل فيها المنتسبون إلى عِرقٍ معين لغرض التماسك والحفاظ على الذات والتقاليد. وكان من جملة هذه التجمعات تجمعات العبيد السود الذين أعتقوا فصاروا يتساكنون مع بعضهم في محلة واحدة ويقيمون طقوسهم بحرّية تامة، فكان لديهم رقصة جماعية عنيفة تسمى (الهيوة) تجعل الراقصين يفقدون وعيهم ويتصرفون تصرفات غريبة، فيقال للواحد منهم إذا وصل إلى هذه الحالة (سَنْكر) على صيغة الفعل الماضي من الاسم (السنكيرة) وهذه الحالة خاصة بالسودان.

وذكر العميد عبد الرحمن التكريتي: أن السنكيرة تصيب السودان عندما يشربون (البوزة) فإذا انتشوا تَحلّقوا يرقصون رقصتهم المسماة (الهيوة) وتكون على دقّات طبل صغير يسمّونه (الحُبَّانة) وقد توسَّطهم (أبو الحبوب) سمي بذلك لأنه يتّزر بمئزر من القماش قد عُلقت فيه أجراس، فإذا هزّ بدنه تبعاً لدقات الحُبّانة والطبلة اهتزت الأجراس، وكلما تسارع دقُّ الحبّانة تسارع اهتزاز (أبو الحبوب) فزاد اهتزاز الراقصين حتى يصلوا إلى حالة يغيبون عن واقعهم وذلك ما يسمونه (السنكيرة). والبوزة التي يشربونها تسمى أحياناً (بوزة العبيد) من التركية بمعنى (خمرة الحبشة) وهو شراب يصنع بتخمير طحين الذرة البيضاء أو الأرز[1].

وخمرة الحبشة هذه تسمى أيضاً (السُّكروكة) ووردت في رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي بلفظ (السُّكروكة ذات الوِزر) وعنى بها أبو العلاء خمرة الذرة وهي خمرة الحبشة[2].

---

(1) انظر: **جمهرة الأمثال البغدادية**، 79/1 ، **معجم اللغة العامية البغدادية**، جلال الحنفي، 1/ 618

(2) **رسالة الغفران**، أبو العلاء المعرّي، 431.

واللفظة نفسها يطلقها العراقيون على العبيد فيقال للواحد منهم (سكروكة)، وهذا ما سمعته بنفسي، ولعّل الاسم لصق بهم لتعاطيهم هذا الشراب وهم من الأحباش في الغالب.

وفي مصر يطلق على (البوزة) التي ذكرناها اسم (البوظة) وهي خمر الشعير في الغالب، وهو مسكر ثقيل يصنع شعبياً فينقّع الشعير في الماء مدّة ثم يخرج ويجفف في الظل ثم يجفف في الشمس، فإذا جفّ يدق ويضاف إليه الماء ويترك في المواجير (الجرار الفخّارية) حتى يختمر، وهو مسكر ثقيل ويشربونه غالباً في الأواني الفخارية وتسمى كل آنية (قرعة)، ويتخذ الشاربون لها مَزّة من اللحم المسلوق مع الفلفل والملح. وأهل السودان يشربونه ويأكلون معه الكرشة والفِشة والقلب، تستخرج من الذبيحة عند ذبحها وتنظف وتدعك دعكاً جيداً بالملح والشّطة، يأكلونها نيئة مع البوظة كمزة[1].

وعلى أية حال فإن جميع الأسماء التي ذكرناها هي أسماء لمسكر واحد ثقيل يستعمل في شعائرية الهيوة لإحداث النشوة والغيبوبة الارتعاشية لدى المشاركين في الرقصة التي هي طريقة من طرق الزار حسبما هو واضح من مقال الباحث (مطيع).

ويقول الباحث: تعزف في هذه الرقصة الآلات التالية:

1ـ الطبول وعددها ثلاثة.

2ـ دمّام وعدده اثنان واحد للوقوف وواحد في هيئة الجلوس.

3ـ صفيحة معدنية (تَنكة) أو صينية شاي يقوم العازف بالضرب عليها بعصيين.

4ـ حُبّان (حبانة كبيرة) أي جَرّة فخار.

5ـ صُرناية وهي آلة تشبه البوق.

وأثناء الضرب على تلك الآلات حسب لحن معين تنشد هذه الأبيات:

دبيـــــان دِيــوْ　　　　دِبيـــــان دِيــوْ

---

(1) **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، أحمد أمين، ص 104.

دبيــــان وتمشي	دِبيــــان دِيـــوْ
دبيـــا وتـــوتـــو	دبيــان وتمشـــي

أو هذا الشعر الذي يقال في زار (النوبان) المنتشر في قضاء أبي الخصيب في منطقة جبل (النوبان):

ومـــا مــــاوي	سنبا انكروما سنبا
ومـــا مــــاوي	سنبا انكروما سنبا

ويعلق الباحث على هذا الشعر بقوله: الملاحظ أن الكلمات مبهمة ويتمّ ترديدها من جيل إلى آخر. وعند الاستفسار عن معاني هذه الكلمات لم نتمكن من معرفة معانيها وإنما تُردد بهذا الشكل.

ومثل هذه الأسماء تتردّد في زار منطقة الخليج العربي. تقول الباحثة د. حصّة زيد الرفاعي في كتابها (المأثورات الشعبية): وتبدأ جلسة الزار بغناء (شيلة) هي بمثابة استهلال للأغنية. والشيلة ارتجالات لحنية يصاحبها التصفيق وتعتمد في الغالب على ترديد كلمات لا معنى لها مثل:

ونفـــايـــه هـــوايـــه	وايه ونفايه وهوايه
صـــار بالزار زاري	صـــار بالزار زاري[1]

أقول: ولا أَشك أن الأسماء الواردة في تلك الأشعار هي أسماء جنٍّ جاءت من معتقدات شعوب أخرى، إذ نجد أن كلمة (ديو) المستعملة في شعيرة الهيوة أخذت من الفارسية ومعناها: جني، ويطلق الفرس على المجنون اسم (ديوانة) ويقصدون مَن دَخَل (الديو) في جسمه. وأذكر أننا في كربلاء كنا في طفولتنا نخوّف بالديو. فإذا قالوا لنا: إجاك الديو كنا نرتعب ونخاف من هذا المخلوق.

أما ماوي وسنبا وانكروما فليس من البعيد أن تكون أسماء جنّ سودانية أو حبشية.

---

(1) انظر ص 209 من كتاب الباحثة حصة زيد الرفاعي، **المأثورات الشعبية**.

جنُّ الزار المصري

وتستخدم جماعة الزار في مصر الجنّ في طقوسهم ويطلقون عليهم اسم (أسياد) ومفردها (سيد) أو سيدي. ومن جنّهم (ياورة) وهو أشهر جنٍّ في الزار وهو يتلبس عشرات النساء فهو (زير نساء) ويطلق عليه (ماك العاشق) وهو (باشا) أو (بيه) عند جماعة الزار، وتتكون ملابسه من جلابية سكريّة اللون وياقة حمراء مشغولة بالقصب وطربوش أحمر مشغول بالقصب أيضاً، وإكسسواراته: مِنشَّة (ويلاحظ أن المِنشّة تقليد من تقاليد اللياقة الأفريقية شبيهة بعصا التبختر في اللياقة العسكرية الشائعة في الجيوش) وكذلك سيجارة وزجاجة كولونيا وبوفيه فواكه وجاتوه والذبائح فرّوج حَمام أحمر.

ولدى الزاريّين المصريين أيضاً جنّية اسمها (روكشي) وعمرها ست سنوات، وهي لا تكبر في السِّنِّ، وعندما تحلُّ في جسد المريضة تتكلم المريضة بصوت أطفال على اعتبار أنه صوت روكشي. وملابسها فستان زهري ولها لعب أطفال وكذلك حلويات متعدّدة، وهناك أغنية تبيّن هذا أما ذبائحها ففرخة رُزي[1]. ولم أفهم معنى فرخة الرزّي ولعله (مْطبَّگ دجاج) وهو من الأطعمة الفاخرة.



(1) عادل العليمي، **الزار ومسرح الطقوس**، مصدر سابق، ص 158.

تَأَسلُم الزار والهيوة:

وعندما راحت الطبقات الجاهلة من المسلمين تميل إلى شعائر الزار لإسعاف المطالب المستعصية وهي ليست غريبة عنهم لكونهم متآلفين مع شعائر التصوف التي تشبهها من ناحية العزف والغناء والرقص الاهتزازي المؤدي إلى الغيبوبة الارتعاشية والهذيان، عند ذلك تحتَّم على أصحاب الزار إدخال أسماء إسلامية إلى جملة الأسماء الوثنية المألوفة في شعائر الزار لكي يستميلوا أكبر عدد من المسلمين وبخاصة النساء، حيث يسهل تجهيلهن وخداعهن لجمع مبالغ ضخمة من المال والهدايا الثمينة والأطعمة الفاخرة، بِحُجَّةِ أن الجنّي أو الولي أو الإمام يحتاج ذلك ويحبّه.

ولهذا تأسست فرق تحمل أسماء أعلام إسلاميين كفرقة (السادة) وهم المنتسبون إلى السيد أحمد الرفاعي، أدخل في الزار البصري و(الفرقة القادرية) نسبة إلى الشيخ المتصوف عبد القادر الجيلي (الكيلاني) أدخل في الزار البصري أيضاً. وفي مصر (زار سيدي أبو السعود) الذي يعتقدون أن نسبه يمتد إلى سيدي الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب[1].

هذا بالنسبة إلى الفرق، أما النصوص الشعرية فقد تأسلمت كذلك كما في الفرقة القادرية البصرية التي ينشدون فيها هذه الأنشودة:

مرحباً مرحباً　　　أهلاً وسهلا

مرحباً مرحباً　　　بالقادرية

مرحباً مرحباً　　　أحمد محمد

مرحباً مرحباً بالقادرية

أما فرقة (المغربية) في مصر فتنشد:

شي لله يا عبد القادر

يا قدرك يا كيلاني

أدركنا يا أبا صالح . من الشركة خلصنا

---

(1) عادل العليمي، الزار ومسرح الطقوس، مصدر سابق، ص33.

يا صاحب الوادي اسعى

صـاحب الشربة الربّـاني [1]

وكذلك نجد بعض الفرق المصرية تنشد مديحاً للسيدة زينب:

يـا بنت بنت النبي

جَالِك هزيل عَيَّان

وقلبه مولّع وطالب من الكريم إحسان

وحق سورة (ألم نشرح) مع الرحمن نظرة بِعَين الرّضا لابن نبي العدنان[2]

تداخل الأسماء الوثنية والإسلامية

إلا أننا نجد بعض الفرق تخلط في نصوص أناشيدها بين الأسماء الإسلامية والأسماء الوثنية، وتجعل للأسماء الإسلامية مركز الصدارة في النصّ ثم تتلوه الأسماء الوثنية. ويبدو لنا أنهم ما فعلوا ذلك إلا من أجل إبقاء الممارسة مرتبطة بجذورها الدينية الأولى مما يزيدها تأثيراً في نفوس الممارسين كهذا النص الذي يُنشد في الزار السوداني أو الدقة السوداني:

«ذهب الشيطان. حضر الرحمن بحق النبي عليه الصلاة والسلام . . توكلت على ربِّ العالمين . . الفاتحة للنبي . . وأحباب النبي . . أزواج النبي . . ذُريّة النبي . . وكل من آمن بالنبي . . الهيكل الصمداني القنديل النوراني . . صاحب الإشارات والمعاني . . سيدي وأستاذي محيي الدين الكيلاني فاطمة النبوية . . عيشة التونسية . . رابعة العدوية . . سُكّرة صاحبة الشورة والمشورة . . سيدي عقبة فكّاك العقدة . . المتولّي يشيل حملتك ويولي . . بحق النبي . . ».

وبعد إيراد هذه الأسماء ترد الأسماء الوثنية وغالبيتها أسماء جنٍّ أو أشخاص غير معروفين:

---

(1) الجن والعفاريت في الأدب الشعبي المصري، عبد المنعم شميس، ص 42.

(2) المصدر نفسه..

«ياريما . . كوليتا . . بداكو . . سنجمي . . عوكش . . حكيم باشا . . ياوره . . كاوره . . سركن دياه . . ديبا . . البنداري . . السلطان . . الدير . . الحبش . . بنات المراغي . . بنات الكانجا . . أبو دَرْدار . . أبو حديد . . ساكن الصعيد . . ».

وتستمر الأسماء هكذا إلى نهاية النص الذي يختم بالصلاة على النبي وسيدنا الحسن والحسين[1].

ويلجأ قارئ النصّ هذا إلى فترات صمت وتلوين الصوت وفقاً لمعنى الكلمة، ويلجأ أيضاً إلى تغيير الطبقات الصوتية وفقاً لحركة المِبْخَرةِ التي تنوس فوق جسد المريضة.

وهناك مشهد من الزار يدور فيه حوار بين الجان الذي يتحدّث بلسان العروسة وبين الشيخة (الكوديّة)، وفي حالة الذروة تثبّت الشيخة عينيها في عيني المريضة وهي تؤرجح المبخرة حول رأسها وتدفع المريضة إلى الاعتراف بكلّ شيء، ولكنها في كل هذا تتحدث باسم الجان فهي من الناحية الرسمية غير مسؤولة عما تقول[2].

وصفُ شعائرية زار سوداني

ويعمل هذا الزار في مصر ويتميّز عن الأنواع الأخرى بأنه يضّم نساءً ورجالاً. وآلات الجوقة السوداني فيه هي: (الطنبورة). ويشاع أن سيدنا (بلال) الحبشي كان يؤذن الأذان على دقات هذه الطنبورة، ويطلق أيضاً على آلةِ الطنبورة هذه اسم (الخيط) لأنها آلة وترية ذات خيوط.

وتبدأ هذه الجوقة بزفَّة العروسة على الشموع وترتدي العروسة جلباباً لَبنيَّ اللون، ويتقدم الزفّة رجلان من السود يضع كلٌّ منهما على وسطه (منجور)، وهو عبارة عن حزام تتدلّى منه شدّات كثيفة من أظلاف الأغنام مربوطة مع بعضها بخيوط، فإذا هزّ وسطه تلاطمت هذه الأظلاف وأحدثت خشخشة. ويطلق على لاعب المنجور اسم (ستري) ويكون في يد كلٍّ منهما شخليلة (خرخاشة بلغة عوام العراق) يطلق عليها اسم (مروكشي) وخلفهما ثلاثة: أفريقي أو (ريش) على حدّ تعبيرهم وفتاتّان ورجل

---

(1) عادل العليمي، **الزار ومسرح الطقوس**، مصدر سابق، ص 39 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ص 42 وما بعدها.

وهم شبه عرايا يرتدون الريش الملون وعلى صدورهم عدد من العقود (القلائد). أما الرجل فيضع على رأسه تاجاً مذهباً، وعلى الكتفين وقبضة اليد والركبتين قطعاً معدنية مذهبة، وتكون العروسة خلفهم تحمل بيدها دُفاً لأخذ النقوط. وعلى كتفها مقدمة آلات الطنبورة التي يعزفُ عليها السنجق، ثم لاعبات الطبول وصديقات العروسة اللواتي يزغردن على أغنية الزفة التي تقول:

يا حليلكم . . يا مرحباً بكم يا حليلكم

وجينا عندكم يا حليلكم . . إلخ . .

ثم تقوم النسوة برش الملح ويقوم السنجق وهو رئيس الجوقة السوداني (الريش) وهو الذي يعزف على آلة الطنبورة بذبح (ديك العتبة) أي عتبة بيت العروسة، ثم يضع على جبينها نقطة من دم الذبيحة. وتسمى الزفة بـ(الفتوحات) وبعد أن (تفقر) العروسة (ترقص رقصاً عنيفاً بهزّ الجسم) مع الأفريقي والمنجور يبدأ دقّ الزار حسب الأصول المرعية، فيبدأ (الباب) بدقة معينة ثم يعقبها دقة أخرى. ومن هذه الدقات (دقة الست الكبيرة) وهي من العالم غير المرئي وتمثل أم العالم، ولهذه الدقة وقار خاص فيجب ألا يتكلم أحد أثناءها، وتبدأ بسجود العروسة أو أي سيدة في الزار عليها (الست) مع ملاحظة أن كلمة العروسة هنا لا تتقيد بالعمر، فهي عروسة حتى لو تجاوزت المئة عام.

تَسْجُد العروسة على ملاءة بيضاء وتغطّى بملاءة سوداء ثم يقوم أحد أفراد الفرقة بتلاوة النص الآتي:

«ذهب الشيطان . . حضر الرحمن بحق النبي عليه الصلاة والسلام . . توكلت على ربّ العالمين . . إلخ».

وبعد عدة إجراءات يطول وصفها تقوم التي تلعب دور العروسة بهزّ أكتافها وصدرها هزّات وقورة مع إيقاع الدور، وهو إيقاع صلاة، ثم تقوم من وضع السجود إلى وضع الركوع، ثم يقوم مؤدي النص السابق بنزع الملاءة السوداء عنها لتبدأ في (تفقير) هادئ ومتزن يتفق ووقار الست الكبيرة.

وفي فجر اليوم التالي تقدم الذبائح بعد تبخيرها وأحياناً تفقر العروسة معها (أي ترقص معها ويبدو أنها تقلد رقص الضحية بعد الذبح) ولا تشرب العروسة من دم

الذبيحة. كان هذا يحدثُ في الماضي ولا يحدث الآن بل يُكتفى بوضع نقط دم على جبين العروسة، وأحياناً يلطخ جلبابها الأبيض بالدم، وهو ما يعرف في الزار بعملية (التزفير)[1]. وهو كما يبدو رمزاً لزوال عذرية العروسة.

شرب دماء الأضاحي:

وفي الواقع إن شرب دماء الأضاحي كان واجباً في الشعائر الأصلية للزار في بيئته الوثنية، فلما تأسلم بقي على وجوبه رغم تحريم الإسلام شرب الدم، وقد وصفت أسلوب استعماله الكاتبة المصرية الشهيرة اللبنانية الأصل (زينب بنت فوّاز العاملية 1860-1914م) حيث كتبت عن الزار وانتقدته نقداً شديداً ووصفته مُشاهِدةً إحدى حفلاته في مقالها الذي نشرته في جريدة (النيل)، قالت:

(توجد طائفة من النساء يسمونهن (الكوديات)[2] هنّ اللواتي يعملن الزار وهؤلاء أفظع وأشنع من طائفة الدجّالين، إذ هنّ دجالات أيضاً ولهنّ أفعال تشمئز منها النفوس وتقشعرّ منها الأبدان، وأما النساء اللاتي على شاكلتهن فيكدن أن يعبدنهن لعظم ما يزخرفن لهن من القول حتى يدخلن في اعتقادهن أنه لو تكلمت إحدى النساء في محلها لسمعتها الكودية وهي في منزلها وذلك بسبب العفريت الذي على الكودية فإنه ينقل الكلام إلى مريدته . .) ثم تقول:

«وها أنا أشرح لحضرات القراء الكرام ما رأيته رؤية العين وهو أنه دعتني ذات يوم إحدى صديقاتي أن أحضر عندها في يوم كذا لأنها ستعمل الزار. وكنت في أشد التشوق لرؤيته لأني لم أكن رأيته قبلها أبداً، بل كنت أسمع به فقط، فلما دخلت ذلك المنزل وجدتُ فسحةً متسعةً مفروشة بالبساط وفي جوانبها الفرش مطروحٌ على الأرض بدون أن يكون شيء منه مرتفعاً عن شيء، وذلك احتراماً للكوديات اللواتي لا يتسنى لهن أن يرتقين عن الأسّرة ولا يجوز لأحد أن يكون مرتفعاً فوقهن وذلك إطاعةً لأمر الدين، إذ اعتقادهن أن الذي يعملنه هو في نصّ الدين الشريعي وذلك

---

(1) **الزار ومسرح الطقوس**، ص 38 وما بعدها.

(2) الكودية: كلمة أمهريّة (كوجَك أو كوجيك) ومعناها: الطبّالة وهي المترجمة -في اعتقاد جماعة الزار- بين عالم الإنس وعالم الجن وتسمى (الترجمانة) بتعبيرهم. (ينظر: **الزار ومسرح الطقوس**، مصدر سابق، ص160).

ناشئ عن جهل النساء إذ إنهن لا يعرفن من أمر الدين شيئاً سوى أسماء الأولياء مثل السيد البدوي والرفاعي والبيومي والمتولّي ومثل هذه الأسماء».

ثم تقول:

«ولما استقرّ بنا الجلوس قامت الكودّية ووضعت كرسيّاً في وسط المجلس وأجلست عليه صاحبة المنزل التي نحن في ضيافتها، وأحضرت فرختين وديكاً وربطت أرجلهما ووضعت الديك على رأسها والفرختين على أكتافها، وصارت تتلو قراءتهن المعهودة وتنشد الأناشيد والفراخ لخوفها تقابل إنشادها بالصراخ والزعيق حتى ارتجّ ذلك المحل وجميع الجالسات يمسحن وجوههن ويقلن:

(دستور[1] يا أسياد . . مدد يا أهل الله . . نظر يا اسيادي).

وهي تتلو وفي يدها الدفّ الذي يسمونه (البندير) في عُرف أهل الطريقة ثم صارت تضرب عليه وتأتي بالأناشيد التي على تلك الطريقة، حتى إذا فرغت من ذلك أنزلت الديك والفرختين وخرجت إلى صحن الدار وأحضرت كبشاً من أحسن الموجود وأمرت بذبحه، فلما نُحر أحضرت طبقاً واستقبلت به الدم وأمرت الست أن تشرب من ذلك الدم وتدهن أعضاءها، وفعلت كل ذلك ونحن ننظر إلى شيء تقشعرُّ منه الجلود وتشمئز منه النفوس الأبيّة، إذ نحن نعلم أن الدم محرّم كالميتة ولحم الخنزير. ولـمّا فرغن من تلك الفعلة احتطن بها وفي أيديهن الدفوف والصنوج وأدخلنها بالاحتفالات العظيمة التي ما أظن أنها نالتها حين زواجها وهي ملطخة بالدماء عوضاً عن حلّة الزفاف إلى أن أجلسنها محلَّ الكودية وأتباعها، فجلست كل منهن في محلها والسيدات المدعوات أيضاً جلسن وانتظم المجلس وجيء بالقهوة وأخذن الراحة قدر نصف ساعة، ثم مسكن الدفوف وضربن ضرباً مزعجاً مع الإنشاد المدهش والست راكعة أمام الضاربات منكسة رأسها إلى الأرض، إلى أن جاءت إحداهن ومعها (بقچة) فيها بدلة من ملابس الرجال وهي عباءة مزركشة بالقصب

---

(1) تستعمل هذه الكلمة عند المصريين في استئذان الرجل لدخول الدار فتحتجب النساء عندما يقول (دستور) أي (يا ساتر) كما نقول نحن (يا الله) عند الدخول وتقولها المرأة عند زيارة الأضرحة استئذاناً للزيارة وكذلك إذا أرادت أن تلقي ماءً قذراً تحذيراً للمارة، وتقال احتراساً من الجنّ حتى لا تؤذي أحداً. (**قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، مصدر سابق، ص 199).

على أحسن ما يكون وألبسنها، وأخرجت ملابس من الحرير الهندي مشغولة أطرافها بالفضة وطربوشاً مكللاً باللؤلؤ، وأخرجت لها سيفاً وخنجراً ملبسين بالفضة فتقلّدت بالسيف وأمسكت الخنجر بيدها ووقفت تتمايل في وسط ذلك الجمع العظيم والآلات تضرب ثم انتفضت وقالت:

- السلام عليكم.

فقيل لها:

- أهلاً وسهلاً . . مين أنت؟

فقالت:

- أنا الشيخ عبد السلام.

ثم ضربن لها على الطريقة التي اعتاد عليها الشيخ عبد السلام فرقصت رقصاً يعجب ويطرب، حتى إذا فرغ الدور قامت زعيمة القوم (الكوديّة) وكبستها وبذلك انصرف الشيخ عبد السلام إلى حال سبيله.

ثم حضرت زوجته واسمها السيدة (رقيّة) ودخلت في جسد المرأة التي قالت، (السلام عليكم يا ستات) بصوتٍ رفيع عليه آثار التصنّع، فسلّمت على الجميع وطلبت الملبوس والحلّي، فأحضرت لها سبع بدل من الحرير كل بدلة لون وكلها مزركشة بالقصب، وعلى كل بدلة قطعة من البرنجك (قماش رقيق من الحرير) بلون البدلة يسمّونها (طرحة)، وعلى أطرافها الحيزيات الذهب وأحضرن لها المصاغ من أطواق وأساور وخلاخل وكرادين ومعاضد وخواتم كبار خلاف الخواتم المعتادة وأحجبة وغير ذلك، فدققن لها على السبع طرائق وكل طريقة تلبس لها بدلة . . وفي أثناء ذلك قامت بعض المدعوات ورقصن معها. ولما فرغن من ذلك انصرفت الست زوجة الشيخ عبد السلام بعد أن ودّعت الجميع. ثم حضر بعد ذلك ابن الشيخ عبد السلام الصغير ودخل جسم المرأة وحينئذ تغيرت أحوالها ورجعت إلى حال الطفولية وقعدت في الأرض تلعب كالأطفال ولكن التصنّع ظاهر، فعملن الطريقة ثم انصرف ابن عبد السلام وجاءت بعد ذلك جاريته ودخلت جسد المرأة، فصارت المرأة تصرخ صراخاً عالياً يشوّش الأفكار ويرعب القلوب وقالت:

- لا أطبخ إلا بالمغرفة الفضّة، ولا أمسك إلا بالجندرة الفضة، وإن لم تحضروها لي فسوف أعميها وألقي عليها المرض ولا أتركها تقوم من الأرض.

فقامت السيدات من كلّ جانب واحتطن بها وكل منهن يقبّل يديها ويستمحنها لتعفو عنها وهي لا تزداد إلا جماحاً ونفوراً حتى قامت الكودية الكبيرة وتعهّدت لها أنها في الأسبوع الآتي فستحضر لها ذلك.

ثم بعد ذلك أعدّ الطعام وقامت السيدة صاحبة المنزل تحيّي الضيوف بكل أنسٍ ولطف ورِقّةٍ على ما ينبغي[1].

(1) الجن والعفاريت في الأدب الشعبي المصري، مصدر سابق، ص 18 وما بعدها.

جن القصيدة الجلجلوتية

تعريف الجلجلوتية

الجلجلوتية: لفظةٌ كنتُ أسمعها - خلال خمسينيات القرن الماضي- تدور في كلام بعض العراقيين يقولونها ككنايةٍ عن الكلام الطويل الممِلّ وعن الحديث المكرور يعيده صاحبه، فيقال له: ثم قرأ الجلجلوتية، أي أعاد حديثه السابق. غير أن هذه اللفظة انقرضت اليوم ولم أعد أسمعها، وقد سألت عنها الكثير فلم يعرفوها، ويعود هذا إلى تبدل الأحوال وحلول الثقافات الحديثة، حيث إن تلك اللفظة أفرزتها ثقافة القرون الماضية المتعلقة بالسحر والشعوذة.

وحقيقة الجلجلوتية أنها قصيدة تائية تتألف من (48) بيتاً في بعض المصادر، وقد تربو في مصادر أخرى على أربعة وثمانين بيتاً.

والقصيدة ركيكة المعنى مضطربة الوزن ولكنها مقدسة عند بعض (العلماء) المشتغلين بالأمور الروحانية وعند كثير من السذَّج البسطاء، إلى درجة أن قسماً منهم كتبها بخطه ونشرها للناس على أحد مواقع الشبكة العنكبوتية وقفاً عن روح والده. ولديّ من هذه الأوقاف نسخة أوقفها كلٌّ من محمد عبد العظيم السَّقَا وأخيه محمد إمام السقا على روح والدهما المرحوم الشيخ إبراهيم السقا.

ويعود سبب التقديس إلى اعتقاد الناس أنها نَزَلت من السماء بوحي من الله تعالى على النبي محمد ﷺ.

وتسمى القصيدة (دعوة) و(حمديّة) و(دعوة الجلجلوتية) و(الدعوة العظيمة المباركة). ومعنى دعوة أنها يدعى بالأسماء التي تحتويها وهي (اسم الله الأعظم)

وأسماء جِنٍّ وحروف غريبة يسمونها حروفاً روحانية أو علوية مع أرقام مرتّبة في مربعات تسمى (أوفاقاً) ويعتقدون أن لكل حرفٍ خداماً يحافظون عليه ويزعمون أن لكل يوم من أيام الأسبوع جِنّاً تغلّب عليه[1].

مؤلف القصيدة:

وما دام كون القصيدة نزلت من السماء فلا يمكن أن نقول إن لها مؤلفاً سوى الله تعالى - جَلَّ عنها - فقد أنزلها جبرائيل - كما يقول الشيخ أحمد البُوني[2]- هديةً من الله تعالى إلى محمد ﷺ قائلاً: السلامُ عليك يا محمد، ربك يقرؤك السلام ويخصك بالمحبة والإكرام وقد أهدى لك هذه (الحمدية). فقال النبي ﷺ: وما هذه الحمدية يا أخي جبرائيل؟ فقال: هذا الاسم الأعظم والقَسَم الجامع الذي فيه الدعوة العظيمة. فقال النبي ﷺ: وأين كان هذا الاسم والدعوة يا أخي جبرائيل وما اسم هذه الدعوة؟ فقال: اسمها «دعوة الجلجلوتية والقَسَم الجامع والاسم الأعظم»[3].

وقال الشيخ رحمه الله إنه حين نزل هذا القَسَم الشريف على النبي ﷺ مع جبرائيل عليه السلام أمر علياً أن يكتبه في رِق الظبي بالذهب ويدفعه إلى أبي بكر الصديق أيام خلافته، وبعده أخذه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده أخذه سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه وبعده أخذه سيدنا الإمام علي رضي الله عنه ثم بعد ذلك أخذه الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهما ومن بعدهما أخذه هارون الرشيد وكان خليفة وقته، ثم من بعد هؤلاء ما

---

(1) جاءت القصيدة بشكل أكثر تفصيلاً في كتابنا : **مهزلة العقل الديني . . يا أمة ضحكت**، ص19، نشر شركة دار الوراق، الطبعة الأولى 2015.

(2) البوني (000 - 622هـ/ 000 - 1225م) هو أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس البوني صاحب المصنّفات في علم الحروف. متصوف مغربي الأصل نسبته إلى (بُونة) بأفريقيا على الساحل . توفي بالقاهرة . وبُونَة بضم الباء ذكرها ياقوت في معجمه قال: بونة مدينة بأفريقيا بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغاي وهي على البحر . له مؤلفات في الغيبيات والسحر اشتهر منها (شمس المعارف الكبرى) و(لطائف المعارف في علم الحروف والخواص) وشمس المعارف الوسطى والصغرى ورسالة في شرح اسم الله الأعظم. ويبدو لنا من خلال هذه المؤلفات ومن الأصل الأفريقي الذي انحدر منه الرجل هو موطن الزار أن الجلجلوتية من تأليفه ونسبها إلى الله ليقدسها الناس .

(3) عن كتاب بعنوان: مجموع لطيف يشتمل على دعوة الجلجلوتية وشرحها ودعوة الدمياطية وشرحها ودعوة البرهتية وشرحها بالتمام ، طبع حجر، ص2.

زال يتنقّل من واحد إلى واحد حتى وصل إلى الإمام (نور الدين الأصفهاني)[1]. ثم من بعده إلى القطب الربّاني أبي حامد الغَزالي رضي الله عنه[2].

ويقصُّ علينا الشيخ أحمد البوني كيفية ارتحال الغزالي إلى أصفهان في طلب الجلجلوتية الموجودة بحوزة الإمام نور الدين الأصفهاني، واصفاً المتاعب التي واجهها في سبيل الحصول عليها لغرض فائدة الناس مما يذكرنا برحلة الملك (جلجامش) الأسطورية في طلب (عُشبة الخلود) ليقدمها إلى شعبه في مدينة (أوروك) لينالوا الخلود، فواجه في طريقه أنواع المصاعب والعقبات ولكنه فشل في إيصالها إليهم إذ ابتلعتها الحيّة بينما كان يستحم فنالت الخلود، ولكن الشيخ الغزالي نجح في الحصول على الجلجلوتية فمنحها للناس لا لينالوا الخلود بل لينالوا شيئاً أعظم من الخلود وهو الدنيا بأسرها تنقاد إليهم إذا استخدموها وفق الشروط المنصوص عليها في الجلجلوتية.

جِنُّ القصيدة:

تبدأ القصيدة هكذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

بـدأتُ بِبسم الله روحي به اهتدت	إلى كشف أسـرارٍ ببـاطنه انطـوت
وصليتُ بـالثاني على خيـر خلقـه	محمّد من زاح الضـلالة والغَلَـت
إلهي لقد أقسمتُ باسمـك داعيـاً	بـآجٍ ومـاهوجٍ جَلَـت فتجلجلت
سـألتـك بالاسـم المعظـم قـدره	ويَسِّـر أمـوري يـا إلهي بِصَلْمَلت

---

(1) لم أعثر على ترجمته إلا ما جاء عنه في **الذريعة** لآغا بُزُرْك الطهراني، ج9 ص890، إنه تلمذ على (أفضل الدين محمد تركة) من مقرَّبي بلاط الشاه طهماسب. وقد توفي أفضل الدين سنة 991هـ.

(2) الغَزّالي محمد بن محمد الغَزّالي الطوسي أبو حامد (450 - 505هـ / 1058 - 1111م) حجّة الإسلام، فيلسوف متصوف له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران قصبة طوس بخراسان. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ثم عاد إلى بلدته وتوفي بها. أما نسبته بالتشديد فإلى سوق الغزّالين ونسبته بالتخفيف فإلى قرية غَزالة من قرى طوس.

من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومقاصد الفلاسفة والمنقذ من الضلال وغيرها، وله تفسير للقرآن يربو على أربعين مجلداً. أقول ولا يمكن لهذا الفيلسوف أن يؤمن بهذر الجلجلوتية.

**ويـا حـيُّ يـا قيوم أدعـوك راجيـاً		بـآج أيـوجٍ جلجلـوت هلهلـت**

**بصمصام طمطام وبالنـور والضيـا		بمهراش مهراشٍ به النـار أخمدت**

ثم تمضي القصيدة على هذه الوتيرة مستدعية أسماء أخرى فتقول:

**إلهـي نجنـي مـن عـدوّ وظـالـمٍ		بحقّ شمـاخٍ أشمخٍ سلمت سمت**

**بتمليخ صيمـانٍ ويـانـوخ بعدهـا		بقدوس برهـوتٍ به الظلمة انجلت**

**أبـارخُ بيـروخٌ ويبـروخ بـرخـوا		شمـاريخ شيـراخٌ شروخ تشمّخت**

**بتمليـخ صيمـانٍ ويـانـوخ بعدهـا		بدمليخ يشمـوخٍ به الكـون عُطّرت**

ويلاحظ أن بعض الأسماء تتكرّر في القصيدة وهذا كما يبدو لكونها مهمة مثل اسم (جلجلوت) وهو الجني الذي سميت القصيدة على اسمه.

ثم نقرأ أسماء جنٍّ آخرين مثل:

شلعوب وشالع وديموخ وأشوخ وياه ويايوه وطهيمفيائيل الذي يكون عوناً للإنسان وخديماً مُسخّراً إذا طلبه وتوسل به، فيجلو عنه الكربات.

ورغم أن الشّراح أكّدوا بأن هذه الأسماء هي أسماء سريانية لها معانٍ عربية تتعلق بأسماء الله الحسنى، إلا أنها ليست بذاك ولا علاقة لها بالسريانية، وإنما لها علاقة بالأسماء السحرية التي يستعملها السحرة والمشعوذون في طقوسياتهم للتغرير بالبسطاء عن طريق وقع ألفاظها الناشزة الـمثيرة مثل:

**فيـا شمخثـا يـا شمخثا انت شلمخا		ويا عيطـلانموث الريـاح تخلخلت**

**بكَ الطَول والحولَ الشديد لمن أتى		بباب جنابك والتجا الظلمـة انجلت**[1]

ففي هذين البيتين نلاحظ صيغة التوسل بهذه الأسماء واضحة وما من شك في كونها من أسماء الجنّ. وقد مرّ بنا مثل هذه الأسماء في (جن الزار المصري) و(جن الهيوة البصرية). وهي لا تختلف عنها.

ويتأكد لنا دخول هذه الأسماء في المجالات السحرية هو أن لكل بيت قد جُعِل له عمل خاص لكي يتحصّل المراد منه. ففي البيت الذي يقول:

---

(1) نسخة شيخ الروحانيين الشيخ عطية عبد الحميد، ص9.

بتمليـخ صيمـان ويــانوخ بعدهـــا	بدمليـخ بشموخ به الكـون عُطِّرت

لكي يمنع الريح الأحمر (العواصف) والأعراض والأمراض المتولدة منه، يجب أن يكتب في إناء ثلاث مرات ويمحى بزيت ثم يدهن به فيشفيه الله تعالى.

وهناك أبيات تستوجب التبخير ببعض المواد العطرة فالبيت الذي يقول: إلهي ألبسني هيبة . . إلخ . . من كتبه أربعين مرة وبعد الكتابة يقرأ البيت مرة واحدة وتكون الكتابة يوم الاثنين أول النهار ويبخره بصندل وجاوي ويحمله معه فإنه ينال مرتبة عظيمة.. وهكذا[1].

ومن أجل استجلاب ثقة الناس بالقصيدة وجعلهم لا يستوحشون من تلك الأسماء الغريبة، فقد وضعوا لكل اسم مقابلاً في العربية هو عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء أهل الطريق أو من الأسماء المقدسة المذكورة في التوراة كما في هذا البيت:

بــأهيــا شـراهيــا ادونــاي صبــوة	أصباوت إل شدّاي اقسمت بطيطغت

فإن معنى (اهيا شراهيا): هو الذي هو. ويقصد العبرانيون به الله تعالى. وأدوناي: معناها سيدي والمقصود به الله كذلك وصباوت والصحيح صباؤوت هو الله أيضاً. وإل شداي معناها الله الشديد القوي وهي من صفات الله ويعتقد اليهود أن اسم الله الأعظم هو (ادوناي صباؤوت إيل شدّاي)[2].

ثم يُختتم الشرح بالقول:

«واعلم أن خاتمها له سرٌّ عظيم لسائر الأمراض وقمع الجبابرة ولها في العطف والمحبّة أسرارٌ عجيبة ومن فضايلها تُقرأ سَحَراً 93 مرة بِنيَّةِ كلِّ أمر تريده وعلامة الإِجابة نشر الذراع عند التمام. واعلم أن هذه الدعوة وهذا الخاتم يتصَّرفان في كل أمر تريده والله الموفّق للصواب وصلى الله على سيدنا النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين»[3].

---

(1) نسخة شيخ الروحانيين، الشيخ عطية عبد الحميد، 44.

(2) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، ص49.

(3) مخطوطة السقا رقم ، 28835.

جنّ الشعراء

عملية الإبداع الشعري بين الجنّ والشياطين

اعتقد شعراء العرب القدماء أن عملية الإبداع الشعري التي تميِّز الشعراء عن غيرهم من الناس ناتجة عن وحي تلقيه عليهم كوائن خفيّة سماها بعضهم (شياطين) وسماها بعضهم الآخر (جنّاً) وعلى هذه التسمية سار المستعرب (غولدتسيهر) فكتب بحثاً مهماً عن (جنّ الشعراء). أما (د. عبد الرزاق حميدة) فسار على مبدأ القائلين بأن الموحين هم (شياطين) فصنّف رسالته للدكتوراه بعنوان (شياطين الشعراء).

أما علماء النفس المحدثون فقالوا إن العملية الشعرية أو بالأحرى عملية الإبداع الفني بعامة تعود إلى (الإلهام inspiration) ويعتبرها (دالاس كينمار) وحياً لا عمل للشاعر فيه إلا التلّقي والتعبير. والتلّقي هذا نابعٌ من مَعين مجهول لا يعرفه الشاعر بنفسه، ولا يستطيع العقل الشعوري أن يدركه. ويشير (دالاس) في ذلك إلى (وليم بليك) بأنه كان يكتب ما يُملى عليه من الخفاء. وكذلك كانت (جورج ساند George Sand) تحس بهاتفها (Her Vocation) بمعنى أنها كانت تكتب ما يُملى عليها من مصدر مجهول، حيث إن الهاتف هو الصوت ويسمع ولا يعلم مصدره.

وقد كان بعض الشعراء يأتيهم الهاتف أو الشيطان أو الجنّي بالليل، فأرجعه العلماء المهتمون باللاشعور إلى العقل الباطن من حيث منبع الخيال والمعاني التي يشتمل عليها، بل إنهم بالغوا فجعلوا عملية الإبداع نفسها عملية لاشعورية.

وفي الواقع إن عملية الإبداع الفني قد يشترك فيها الشعور واللاشعور حتى

ما يحدُث منها في النوم وما يلابس هذا الإنتاج الأدبي من عمليات غريبة كالهواتف وإيماءات الشياطين والجنّ، ولم يخلُ الإلهام من تفسير نفسي[1].

والإلهام هو ما يظنه الكاتب عامة والشاعر خاصة، بأنه رسالة تمليها عليه قوة خارقة لكي ينقلها إلى ما يكتب، وأسطورة (شيطان الشعر) مشتقة من هذا الظن، وهو أن الأدب ليس وليد صنع البشر وابتكاره، وأن البشر ليس سوى وسيط لهذه القوة الخارقة، فيقال إن الشاعر ملهم إذا ظنّ أنه لا يعتمد على ملكاته الشخصية وإنما ينفّذ إرادةً عليا أسمى من إرادته[2].

مصدر الإلهام عند اليونان والرومان

وقد آمن اليونانيون بأن ملهمي شعرائهم إنما هم آلهة معبودة. وكان أشهر أولئك الآلهة (أپـولو Apollo) الذي دخل الديانة اليونانية فعبد ككبير الآلهة المتعدّد الوظائف بعد الإله (زيوس Zeus) رب الأرباب. وكان أپـولو يؤجج بقيثاره أصوات الغناء وحفلات الرقص والموسيقى والشعر[3].

وكان لدى اليونان ربّات تلهم الشعراء مثل (موسي Muse) تلهمهم الآداب والفنون. ولديهم بنات رب الأرباب زيوس وعددهن تسع، وكان الشعراء يناشدوهن في افتتاح ملاحمهم أن يمددنهم بالإلهام والوحي. وبعد أن كانت الشقيقات التسع ربات للفنون عامة تخصّصت كلٌّ منهن بفن معين من الفنون الأدبية.

وكان مستقر هذه الآلهة في (دلفي) على جبل ناسوس عند العيون المقدسة. ومن هذه العيون (عين هيپوكرين) التي كان يشرب منها الشعراء فيلهمون.

أما الرومان فقد تأثروا بالنظرية الإلهية اليونانية وقلدوهم في فكرة كون مصدر الإلهام الشعري يتأتى بفعل الآلهة، واتخذوا إله الشعر الإغريقي أپولو وجعلوه إلههم أيضاً، وظلّ تأثيره فيهم حتى جاء نفوذ مدرسة الإسكندرية التي كانت ترى أن الشعر

---

(1) **شياطين الشعراء**، د. عبد الرزاق حميدة، ص 30 وما بعدها.

A Dictionary of Litrary Terms, Magdi Wahbg, P. 334 (2)

Ency. Brita, Apollo Item (3)

بحاجة إلى الجهد الكبير وإلى الصنعة، فتخلَّوا عن ربات الشعر. بل إن بعض هؤلاء الإسكندريين بالغ فأنكر كل أثر للوحي[1].

الشعر والجنون

وعلى هذا لم يختلف شعراء العرب عن شعراء اليونان والرومان في مسألة استدرار وحيهم الشعري من كوائن خفيّة. أما مسألة نسبة العرب شعرهم إلى جنّ ونسبة الإغريق شعرهم إلى آلهة فلا فرق، فإن المصدر في كلتا الحالتين هو كوائن روحية غير منظورة.

وقد روى (شيشرون Ciceron) الخطيب الروماني (106–43 ق.م) عن (ديموقريطس) أنه قضى بأن الشعر العالي لا يتأتى بغير (الجنون)، بغير وحي خاص يشبه الجنون أو هو من وحي الجنّ[2]. وأشار سقراط إلى هذا في إحدى محاورات أفلاطون وقال:

(إن جميع الشعراء الملحميين الجيدين قادرون على نظم الشعر الجيد ليس عن طريق الفن وإنما لأنهم مُلهمون أو مأخوذون إلهياً، وهذا ما ينطبق على الشعراء الغنائيين. وعندما ينظمون أغانيهم فهم ليسوا أكثر عقلاً من (الكوريبانتيين) حين يرقصون. فهم يبدؤون الوزن وتوافق الأصوات حتى يصبحوا مسحورين وممسوسين كالباخوسيين الذين يسحبون في جنونهم الحليب والعسل من السواقي . . . إنَّ الشعراء هم مجرد مفسرين للآلهة حيث (يتملكهم) أي إله يتفق أن يكون)[3].

والمبدأ هذا نراه موجوداً عند العرب القدماء، إذ ربطوا بين موهبة الشاعر وبين تأثيرات خارقة للطبيعة، ويرتبط بهذا الأمر تصور أنه يسكن الشاعر شيطان يسميه العرب باسم الجني. ومن وجهة النظر هذه نعتوا محمداً بأنه (شاعر مجنون). تقول الآية الكريمة: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[4] [5].

---

(1) **شياطين الشعراء**، المصدر السابق، ص 110.

(2) المصدر نفسه.

(3) **اسخيلوس وأثينا**، جورج تومسون، ترجمة صالح جواد كاظم، ص 506.

(4) سورة الصافات، الآية: 36.

(5) **جن الشعراء**، غولدتسيهر، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي،ص 238.

جنُّ الشعراء وشياطينهم

ويبدو لنا من خلال ما مَرَّ أن (الجني) هو الذي يهبُ الإنسان ملكة الشعر وأحياناً بطريقة آلية، فالشاعر عبيد بن الأبرص لم يكن قبل ذلك يقول الشعر فأتاه في المنام آتٍ بـ(كبَّةِ شعر) فألقاها في فمه، ثم قال له: قُم، فقام وصار منذ تلك اللحظة قادراً على نظم الشعر في هجاء من أهانوا شرفه[1].

وكان الشاعر كلما تجلّى جنيَّهُ في دارته، ازدادت مكانته عند قومه في فن الشعر. ويمثّل جنيُّ الشاعر كشخص ويطلق عليه اسمٌ خاص، فالأعشى ذكر أن جنيّه الخاص به - في إحدى قصائده - اسمه - مِسْحَل).

وكان العرب يعتقدون أن الجنّ يظهرون أحياناً للشعراء عياناً بوصفهم شخوصاً للشعراء وأنهم ينشدون أشعارهم باسم أولئك الشعراء.

ونرى منهم من يعتقد بأن الشخص الذي يظهر لهم هو (الشيطان) أو (إبليس) أو (أبو مُرّة) وهي كنية الشيطان.

وعلى أساس هذا الاعتقاد أنشأ (أبو الفضل بديع الزمان الهمداني) مقامته التي سماها (المقامة الإبليسية) وبطلها (أبو مُرّة) شيطان الشاعر جرير وتصوره بصورة شيخ ذي لحية بيضاء وعمامة، يعيش متوحداً في واحة خضراء كثيرة الشجر والمِياه، يتعرض للضالين والسابلة ويروي لهم شعر جرير، ويقول لهم أنا الذي أملي عليه شعره[2].

وهكذا يدور الاعتقاد بين العرب حول صاحب الوحي فيسمونه الجني تارة، والشيطان تارة أخرى، وأبا مرة أحياناً قليلة.

وقد جاء في نصٍّ لأبي العلاء المعري له أهمية في موضوعنا هو قوله: فقد عُلم أنه مشهور عند العرب أن لكل شاعر شيطاناً يقول الشعر على لسانه وقد زاد دعاؤهم بذلك حتى سَمّوا الشياطين بأسماء يعرفونها بينهم[3].

---

(1) جن الشعراء، غولدتيسهر، عبد الحمن بدوي، ص 238.

(2) مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني، شرح الشيخ محمد عبده، ص 190، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1908.

(3) عن رسالة مخطوطة في (ليدن) مجموعة ڤارنر برقم 1049، ومنها نقل غولدتسيهر النصّ، انظر: دراسات المستشرقين، مصدر سابق، ص 342.

وورد في (ربيع الأبرار) ما نصُّه: وسَموا شياطينهم بأعلام. قالوا: كان للأعشى (مِسحَل) ولعمرو بن قطن (جِهنّام) وللفرزدق (عمرو) ولبشار (شنقناق)[1].

ومن أعلام جنّ الشعراء (الهبيد بن الصّلادم) وهو الجني الذي يلهم الشاعر عُبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم شعرهما، وقد قابله أحد الأعراب أثناء سفره في الصحراء وكان قائماً على قُلَّةِ جبل وعليه أطمار ومعه جمع من الظباء. فلما رأت الظباء الأعرابي ولَّت هاربة. ثم قدَّم الجنيُّ للأعرابي عُسَّاً فيه لبن ظبي، فلم يشربه الأعرابي لزهومته وأرجعه إليه ورَحَل عنه، فصاح الجنِّي عليه من خلفه:

أما إنك لو شربت ما في العُسِّ لأصبحت أشعر قومك.

فأنشأ الأعرابي يقول وهو في الطريق:

أسِفتُ على عُسِّ الهبيد وشربه ... لقد حرمتنيه صروف المقادر[2]

وادعى الأعشى بأن شيطانه هو بمثابة خليله، دلالة على عمق الصلة بين الشاعر والجنّي. قال:

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعوا له ... جهنّام بُعداً للغويِّ المذمَّمِ

وقد رووا أخباراً كثيرة عن علاقة الأعشى بشيطانه لا شك أن الأعشى اطلع عليها.

وجاء في رسالة أبي العلاء المخطوطة: أن أبا بكر بن دريد ذكر لأصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلاً يقول له:

- لِمَ لا تقول في الخمر شيئاً؟

فقال: - وهل ترك أبو نواس مقالاً؟

فقال له: - أنت أشعر منه حيث تقول:

وحمراءَ قبل المِزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجسٍ وشقائقِ

---

(1) **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، الإمام محمود بن عمر الزمخشري، 1 / 384، طبعة رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد.

(2) **دراسات المستشرقين**، مصدر سابق، 244.

حكَت وجنة المعشوق صِرفاً فَسَلَّطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشقِ

فقال له أبو بكر: من أنت؟ فقال له: أنا شيطانك. ثم سأله عن اسمه فقال: (أبو زاجية) وخبّره بأنه يسكن الموصل[1].

ومن ناحية أخرى كان يحدث إذا وقع نزاعٌ بين شاعرين أن يشترك شيطاناهما في النزاع كما يشهد على ذلك بيت شعر للهمذاني في هجاء منافسه أبي بكر الخوارزمي:

فإذا التقينا ناكَ شعري شعره ونزا على شيطانه شيطاني

ونزا عليه معناه ركبه من أجل لقاحه جنسياً كما ينزو الفحل على الأنثى من الحيوان.

وهكذا يتحصل لدينا من جميع ما مرّ بنا أن بعض الشعراء ينسب شعره إلى وحي الشيطان وبعضهم الآخر ينسبه إلى وحي الجنّ. بينما ينسب اليونان والرومان وحي شعر الشعراء إلى الآلهة.

أعلام الجنّ والشياطين

قالوا لا يعرف عددهم إلا الله، منتشرون في جميع أقطار الأرض وقد خلقهم الله قبل أن يجبل آدم من التراب وعاصر بعضهم الأنبياء وكانت لهم معهم جدالات ووقائع نذكر منهم:

1 ـ الهام بن الهيم:

شيطان عملاق قديم كان حاضراً يوم قتل قابيل أخاه هابيل. جاء إلى رسول الله فرآه جسيماً عظيماً مهولاً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام، أنهى عن الاعتصام وآمر بإفساد الطعام. قال رسول الله ﷺ: بئس لعمري الشاب المؤمل، فقال: دع عنك هذا يا محمد فقد جرت توبتي على يد نوح، ولقد كنت معه في السفينة وعاتبته على دعائه على قومه. ولقد كنت مع إبراهيم حين ألقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً. ولقد كنت مع موسى حين أغرق الله فرعون ونجّى بني إسرائيل. ولقد كنت مع هود حين دعا على

---

(1) شياطين الشعراء، مصدر سابق، ص 212.

قومه[1] فعاتبته، ولقد كنت مع صالح فعاتبته على دعائه على قومه، ولقد قرأت الكتب فكلّها تبشرني بك والأنبياء يقرئونك السلام ويقولون أنت أفضل الأنبياء وأكرمهم، فعلمني مما أنزل الله عليك شيئاً. فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي: عَلِّمه. فعلمه . . إلى آخر الخبر الخرافي فراجعه في بحار الأنوار[2]. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذا الجني أو الشيطان باسم: هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس من الجن المؤمنين وممن لقي الرسول فعلمه سورة الواقعة وغيرها من السور[3].

2 ـ صَاصة بن الهيم:

جاء عن أنس بن مالك قال: كنت مع الرسول ﷺ خارجاً من جبال مكة إذ أقبل شيخٌ يتوكأ على عكاز. فقال النبي: مِشية جنّي ونغمته. قال: أجل. قال: من الجنّ؟ قال: أنا صاصة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس. قال: لا أرى بينك وبينه إلا أبوين؟ قال: أجل. قال: كم أتى عليك؟ قال: أكلتُ الدنيا إلا أقلّها، كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنت أتشوّف على الآكام وأُوَرِّش بين الأنام . . ثم أخذ يقصّ على النبي كيف قابل الأنبياء جميعهم. فقال له النبي: وما حاجتك؟ قال: إن موسى علمني التوراة وعيسى علمني الإنجيل فعلِّمني القرآن، فعلّمه.

3 ـ جِهِنّام:

شيطان شِعر اسمه مأخوذ من (جَهَنّم). وجَهَنّم هي البئر البعيدة القعر، وبه سميت جهنّم لبعد قعرها. ويبدو أن هذا الشيطان موقعه فيها. وقيل هو أخو (هريرة) التي تغزل بها الشاعر الأعشى في معلقته:

وَدِّع هريرة إنَّ الركب مرتحـلُ ... وهل تطيق وداعـاً أيهـا الرجل

وقيل هو اسم تابعة الأعشى أي شيطانه[4].

---

(1) كان طول الواحد من قوم هود مئة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، وكان رأس أحدهم كالقبة العظيمة، وكانت عين أحدهم تفرّخ فيها السباع وكذلك مناخرهم، وكانوا أصحاب أوثان. فدعا هود عليهم ربه فأحرقهم بالسحب الماطرة ناراً وكبريتاً (للتفصيل، قصص الأنبياء المسمى **عرائس المجالس** للثعلبي، ص 53، نشر المكتبة الثقافة، بيروت، لبنان).

(2) **بحار الأنوار**، المجلسي، 27/15.

(3) **الجامع لأحكام القرآن**، 16/ 265.

(4) **تاج العروس**، جهنام.

4 ـ عَطرفة بن شِمراخ:

وهو أحد بني كاخ الذين أسلموا. جاء عطرفة إلى الرسول ﷺ ملثماً فطلب منه نزع لثامه فإذا هو شيخ أزبّ (أي كثير شعر الذراعين والحاجبين والعينين) ورأسه طويل وهو طويل العينين وعيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين وله أسنانٌ كأسنان السباع. وفي رواية أخرى وصف بأن له أظفاراً كمخالب السباع وله فم في صدره وأنيابٌ بادية طوال[1].

5 ـ سَرق:

جنيٌّ كان على شكل حيّة فمات بمكة بفلاة من الأرض ورآه عمر بن عبد العزيز فجاء بحفّار فحفر له ولفّه في خرقة ودفنه، فإذا هاتف يهتف: رحمة الله عليك يا سَرق، فأشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: تموت يا سَرق في فلاة من الأرض فيدفنك خير أمتي. فقال عمر: فمن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رجل من الجن وهذا سَرق، ولم يبق مِمّن بايع النبي ﷺ من الجنّ غيري[2].

ولا شك أن هذا الحديث وضعه من يريد الحظوة لدى عمر بن عبد العزيز، وما أكثر أمثال هذه الأحاديث السخيفة.

6 ـ الـمُذهَب:

زعم ضَعَفَةُ النسّاك وأغبياء العباد أن لهم خاصة شيطان قد وكّل بهم يقال له الـمُذْهَب، يسرجُ لهم النيران ويضيءُ لهم الظلمة ليفتنهم ويريهم العجب إذ ظنوا أن ذلك من قبل الله تعالى[3]. واسمه بفتح الهاء أو بكسرها. وقال ابن دريد: لا أحسبه عربياً حسبما ورد في اللسان (مادة/ ذهب) وجاء فيه أيضاً: والـمُذْهِبُ اسم شيطان، يقال هو من ولد إبليس، يتصوَّر للقُرّاء فيفتنهم عن الوضوء وغيره.

والمذهبُ هذا من جن الاستدعاء. وجاء ذكره في أحد الأدعية العجيبة، يستدعيه الشخص مع مجموعة كبيرة من الجن والشياطين لكي يحضروا جميعاً أمام مجلسه

---

(1) **الفضائل**، شاذان بن جبرائيل، 60.

(2) **سبل الهدى والرشاد**، 2/ 445.

(3) **الحيوان**، 6 / 194.

ويفعلوا كل ما يريده منهم. وقد أطلق على المذهب في هذا الدعاء اسم (أمير مذهب) ووصف بأنه صاحب الرداء الأصفر والراية الصفراء والحصان الأصفر[1].

7 - خَنْزَب:

هو شيطان تَفَرّد بحَفَظةِ القرآن، ينسيهم القرآن، وهو صاحب عثمان بن أبي العاص، وعثمان هذا أسلم في وفد ثقيف واستعمله النبي على الطائف وأقرّه أبو بكر وعمر، ثم سكن البصرة وأقطعه عثمان اثني عشر ألف جريب ومات في خلافة معاوية[2].

8 - شِقّ:

وهو عَلَم لكلّ جني على صورة نصف إنسان، وهو كثيراً ما يعرض للمسافر إذا كان وحده فربّما أهلكه فزعاً وربما أهلكه ضرباً وقتلاً. وقد تعرّض لعلقمة بن صفوان جدّ مروان بن الحكم، وكان ذهب يريد مالاً له بمكة وهو على حمار وعليه إزارٌ ورداء ومعه مقرعة في ليلةٍ حتى انتهى إلى موضع يقال له (حائط حزمان) فإذا هو بشقٍّ له يد واحدة ورجل وعين ومعه سيف فتبارزا شعراً ثم تبارزا سيفاً فقتل كلٌّ منهما صاحبه[3].

9 - الشنقناق والشيصبان:

هما شيطانان من شياطين الشعر ذكر الأول في شعر بشّار بن برد وفي شعرٍ لأبي النجم والثاني في شعر حسان[4].

10 - مِسْحَل:

من شياطين الشعراء وقد اختصّ بالأعشى.

11 - دَحْرَش:

أبو قبيلة من الجن كما في تاج العروس[5].

---

(1) **الرموز والطلاسم السحرية عند المسلمين**، د. هانس فينكلر، ص 151، ترجمة محمود كبيبو، ط. الأولى، الوراق للنشر 2013.

(2) **الحيوان** ، 6/ 194.

(3) المصدر نفسه، ص 206.

(4) المصدر نفسه، 1/ 308 ، 6/ 228 ، 231، **وثمار القلوب**، ص 55.

(5) مادة، دحرش.

12 ـ منظور:

جنيٌّ علق امرأةً اسمها (حَبّة) فكانت حَبّةُ تتطبَّب بما يعلمها منظور[1].

13 ـ عمرو أبو ليلى:

وهو شيطان الفرزدق الذي يلهمه الشعر وله معه قصة طويلة[2].

14 ـ مُدرِك بن واغم:

وهو شيطان الكميت. وهذا الشيطان من أسرة كلها شعراء، فأبوه (واغم) وعمه (الصلادم) من أشعر الجنّ. وابن عمه (هبيد) وهو شيطان عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم[3].

15 ـ زوبعة:

اسم شيطان مارد ورئيس من رؤساء الجنّ، ومنه سمي الإعصار زوبعة أو أم زوبعة. وصبيان الأعراب يكنون الإعصار أبا زوبعة يقال فيه شيطان مارد.

وزوبعة أحد النفر التسعة أو السبعة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[4][5]. ووصف زوبعة بأنه (صاحب الرؤوس الأربعة) أو (زوبعة صاحب الرؤوس الأربعة الـمُعَمَّمْ بالثعبان). ويروي الدميري قصة عن جني مؤمن اسمه زوبعة يدخل بهيئة ثعبان إلى خيمة أحد المسلمين فيتوفى عنده ويقوم المسلم بدفنه، وهناك تفصيلات أخرى عن زوبعة[6].

والشيطان هذا له ما يماثله في الصفات لدى البابليين والآشوريين وهو الإله (أَدَد) (Adad) الذي يتجلى في الصاعقة والعواصف. وسمى الآراميون هذا الإله (هَدَد) وأصبح من ثم متماثلاً مع الشمس[7].

---

(1) للتفصيل، **تاج العروس**، مادة حَبّة.

(2) تنظر في **الأغاني**، 8/ 186 - 187.

(3) **شياطين الشعراء**، مصدر سابق، ص 170.

(4) سورة الأحقاف، الآية: 29.

(5) **لسان العرب**، زبع.

(6) **الرموز والطلاسم السحرية عند المسلمين**، مصدر سابق، ص173.

(7) **معجم الحضارات السامية**، هنري س. عبودي، ص 53.

16 - أبو فيس:

بفتح الفاء، شيطان بشكل حَيّة، يهدّدُ كل صباح وكل مساء نظام الكون فيهاجم قارب الشمس. يُقهرُ دوماً ولكنه يولد من جديد، لا شيء يقدر أن يدمّره وهو يشكّل عنصراً ثابتاً في التناسق الكوني في الميثولوجيا الفرعونية[1].

17 - قُطرب:

وهو ذكر السعالي. يظهر في الميثولوجيا المصرية كحيوان في الصعيد بأرض مصر، يظهر للمنفرد من الناس فربما صَدَّه عن نفسه إذا كان شجاعاً إلا أنه لا ينتهي حتى يمارس معه النكاح، وإذا نكحه هلك، وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا: أمنكوح أم مروّع. فإن قال منكوح يئسوا منه، وإن قال مروّع عالجوه، وأهل مصر يلجون بذكره[2]. وجمع قطرب: قطارب، وقيل إنهم صغار الجنّ. وقيل القطرب هو الذئب وقيل الفأر الأنقط[3].

18 - سَمْحَج الجنّي:

سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وفي رواية ذكرها الطبراني في الجامع الكبير عن عليّ بن الحسين قال: دخلت طرسوس فقيل لي هنا امرأة قد رأت الجنّ الذي وفد على رسول الله ﷺ، فذهبت إليها فإذا امرأة مستلقية على قفاها وحولها جماعة. فقلت لها ما اسمك؟ قالت: منوسة. فقلت لها: هل رأيت أحداً من الجن الذي وفد على رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، حدّثني سمحج واسمه عبد الله قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: كان على حوت من نور يتلجلج في النور. والحديث هذا ضعيف حسبما جاء في كتاب الضعفاء[4].

19 - تنكوير ودركاذاب:

شيطانان، الأول عظيم شياطين الهند والثاني عظيم شياطين الشام. أورد ذكرهما

---

(1) **الأساطير والرموز الفرعونية**، روبير جاك تيبو، ص 14.

(2) **بحار الأنوار**، المجلسي، 60 / 367.

(3) **محاسبة النفس**، الشيخ الكفعمي، 95 / الطبعة الأولى 1413 هـ مطبعة نمونه، قم.

(4) **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، 3/ 148، الطبعة الأولى ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية، بيروت.

الجاحظ[1] قائلًا: وأصحاب الرّقى والأُخذ والعزائم والسحر والشعبذة يزعمون أن العدد والقوة في الجنّ والشياطين لنازلة الشام والهند وأن عظيم شياطين الهند (تنكوير) وأن عظيم شياطين الشام يقال له (دركاذاب).

وقد ذكرهما أبو إسحاق في هجائه محمد بن يسير حين ادّعى هذه الصناعة - أي صناعة السحر - فقال أبياتاً منها:

بالخواتيم والمناديل والسحـ ـر بتنكوير ودركاذاب

والمناديل: جمع مندل وهو نوعٌ من السحر، ويبدو أن السحرة كانوا يستعينون بهذين الشيطانين في سحرهم.

20 - بَدوح:

بدوح اسم لأشهر الجنّ الذين يستخدمون في طقوسيات السحرة المصريين ولا يزال اسمه يتردد إلى اليوم في هذا المجال، وقد كتب عنه الكثير[2] واستعمل في كتابة (الأوفاق) الشافية بالأرقام والحروف المقدسة.

وتذهب الروايات إلى أن (بدوح) كان اسماً لتاجر من أهل الحجاز. وكان التجار من أهل عصره إذا وجَّهوا بتجارتهم إلى بعض الجهات نهبها اللصوص، إلا ذلك التاجر فإن بضاعته ورسائله كان لا يتعرض لها أحد بسوء فتصل سالمة. وما إن توفي حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضائعهم ورسائلهم وكانت تسْلَم من الأذى، وكانوا لا يكتبون اسمه بالحروف بل بما يقابلها من الأرقام في حساب (الجُمَّل) هكذا (8642) وكثير من الناس كانوا يرقمونه على فصوص خواتيمهم للتيمن ودفع الأذى. وهذه رواية المحقق العلامة (سلفستر دي ساسي) ولم يقطع بصحتها المحققون.

ولم تلبث كلمة (بدوح) أن تحوّلت عند العامة إلى اسم واحد من الجنّ يطلبون منه المساعدة والعون بكتابة اسمه بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى على فصوص خواتيمهم للتيمن ودفع الأذى.

---

(1) **الحيوان**، 6/ 231.

(2) يراجع في ذلك: **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، مادة : بدوح.

وتستعمل كلمة بدوح أيضاً في وجوه شتى لجلب الخير أو دفع الشر وهي عامل على الشفاء من مرض الاستحاضة (Mensrrhagie) ومن آلام المعدة ومن أجل التخفي عن الأنظار.

وقد تحدث (لين) في كتابه: (المصريون المحدثون) عن ساحر مصري في القاهرة وقال: إنه كان يستخدم كلمة بدوح بمرآة مطلية جداً وهي الطريقة الشائعة في مختلف الأعمال السحرية.

وتنقش كلمة بدوح في الجواهر والصفائح المعدنية والخواتم باعتباره طِلسماً، كما تستعمل لضمان وصول الرسائل والبضاعة إلى الذي ترسل إليهم[1].

كما تكتب بدوح للمحبّة في ورقة يبخّر بها على هذا الشكل:

بدوح يا بدوح يا بدوح

ألّف بين الروح والروح

بحق القلم واللوح

وآدم وحواء

ونوح[2]

من أعلام الجنّيات والشيطانات

وأعدادهن كبيرة ويعتقد الناس بأن الجنّية إذا تعرضت لأحد وعبثت به فهي شيطانة وقد تتلون له بألوان شتى[3]. وهذه بعض أعلامهن:

1- فارغة:

جنّية اشتهرت في الميثولوجيات الإسلامية بكونها أم بلقيس ملكة سبأ[4].

---

(1) **معجم الفولكلور**، د. عبد الحميد يونس، مادة بدوح.

(2) تعليق كتبه محمد مسعود على هامش مادة بدوح في **دائرة المعارف الإسلامية**، مصدر سابق.

(3) **الحيوان**، الجاحظ، 6/ 195.

(4) **فهرست ابن النديم**، ص371.

2 - فارعة:

كانت تأتي النبيّ ﷺ في نساءٍ من قومها فأبطأت عليه مَرّةً ثم جاءت فقال لها: ما أبطأك؟ قالت: موت ميت لنا بأرض الهند فذهبت في تعزيته فرأيت إبليس في طريقي قائماً يصلي على صخرة. فقلت: ما حملك على أن ضللت آدم؟ قال: دعي عنك هذا. قلت: تصلي وأنت أنت؟ قال: نعم يا فارعة بنت العبد الصالح، إني لأرجو من ربي إذا أبرَّ قسمه أن يغفر لي[1].

3 - ليليث:

ذكرها أنطونساندور لافي في كتابه[2]. وقال عنها إنها في العبرية شيطانة أنثى وهي زوجة آدم الأولى التي علمته الغواية. وطائفة الشيطانيين أتباع (لافي) يعبدونها ويسبحون لها.

إن اسم (ليليث) استمد من طبقة الشياطين الرافدينية التي يطلق عليها اسم (ليلو Lilo) مؤنث (لتيتو Litito). وفي التقاليد الرابينية اليهودية اعتبرت كأمٍ شيطانية لأبناء آدم بعد انفصاله عن زوجته الأولى (حواء Eve) نتيجة تنافر حدث بينهما. وعبدها اليهود وبقيت عبادتها عند بعضهم حتى نهاية القرن السابع بعد الميلاد[3].

4 - لوسيفر (Lucifer):

وهي من الشيطانات اللواتي ما زلن يعبدن، فهذه يعبدها الشيطانيون أتباع (لافـي) في كنسهم في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض أقطار العالم.

ومعنى (لوسيفر) في اللاتينية (حاملة النور) ويطلق عليها اسم **(نجمة الصبح)** أو الفجر وتسمى (Venus) ويعبدها الشيطانيون كجالبة للضوء، **وهي المضيئة، وهي** الهواء والصباح والشرق[4]. .

---

(1) الحديث هذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات. ينظر **(الإصابة في تمييز الصحابة)، ابن حجر، 8/ 261** تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، 1415هـ. **دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.**

(2) **The Satinic Bible,** P. 59

(3) **Ency. Britanica** – Lilith Item

(4) **The Satinic Bible,** P. 57

وتُشَخَّصُ كذلك بشكل رجلٍ يحمل مشعلاً. وفي الأزمان المسيحية الأولى أصبح لوسيفر يعتبر اسماً للشيطان (Satan) قبل سقوطه ولهذا استعمله جون ملتون (1608 – 1674) في الفردوس المفقود على أساس فكرة ترتكز على المثل القائل (متكبِّر كتكّبر لوسيفر)[1].

وعند العرب تماثل لوسيفر (العزّى) الإلهة المعبودة عند عرب العراق وعرب الشام وعند النبط والصفويين، وقد سميت العزى (كوكبتا) أي (كوكبة) وهي أنثى كوكب، وتعني الكوكب الذي يظهر عند الصباح ويراد بها (الزهرة) عند النبط، حيث اتخذوا لها معبداً في مدينة (بصرى)[2].

5 - جَبْرين:

وهي جنّيةٌ نَمْلة من قبيلة (الشيصبان) ومعنى الشيصبان في المعاجم: ذكر النمل. وكانت هذه النملة عرجاء تتكاوس (تمشي على ثلاث أرجل) تعيش في وادي النَّمل. وكانت مثل الذئب العظيم ويعود لها الفضل في إنقاذ قومها من الدَّوس بأقدام سليمان وجنوده فقالت لهم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[3] وكان وادي النمل في الطائف في وادٍ يسمى (وادي النِّسرين).

وقد اختلف المفسرون في اسمها فقيل كان اسمها (جَرْسا)، وقيل كان اسمها (طاخيّه) بالخاء، وقال السهيلي اسمها (حرميا)، ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله: ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضه بعضاً[4]. ولا يزال اسمها غير معروف على وجه الدقَّة مع الأسف.

6 - بيذخ:

ابنة إبليس وقيل إنها ابنةُ ابنه وإن لها عرشاً على الماء. **وإن المريد لعمل السحر** متى ما فعل لها ما تريد وصل إليها وأخدمته من يريد وقضت **حوائجه ولم يحتجب**

---

(1) **Ency. Brita**. Lucifer Item

(2) **معجم الأساطير**، لطفي الخوري ، 2/ 126، ط. دار الشؤون الثقافية، بغداد.

(3) سورة النمل، الآية: 18.

(4) **البداية والنهاية**، 2/ 23، تحقيق علي سبزي، الطبعة الأولى 1408 هـ .

عنها، والذي يفعل لها القرابين من حيوان ناطق وغير ناطق وأن يدع المفترضات ويستعمل كلّ ما يقبح في العقل استعماله[1].

والقول هذا يتضمن أن المريد يستعمل في التوصل إليها الأضاحي البشرية كما يفعل الشيطانيون (Satanists) في طقوسهم للتوصل إلى الشيطان.

وقد تحدّث ابن النديم عن شخص رآها في المنام فقال: إنه رآها جالسةً على هيئتها في اليقظة، وإنه رأى حولها قوماً يشبهون النبط، سوادية حفاة مشققي الأعقاب. وقال لي: رأيت في جملتهم (ابن منذر بُني) وهذا رجلٌ من أكابر السحرة قريب العهد - عهد ابن النديم - اسمه أحمد بن جعفر غلام ابن زريق وكان يناطق من تحت الطست[2].

7 - لاقيس:

هي ابنة إبليس ويبدو من هذا أن له بنات. قالوا: وقد علمت لاقيس النساء ممارسة السحق فنسب هذا العمل إليها[3].

وذكرأن رجلاً سأل الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن المرأة تساحق المرأة. وكان متكئاً فجلس فقال: ملعونة الراكبة والمركوبة، وملعونة حتى تخرج من أثوابها الراكبة والمركوبة (يقصد عندما تموتان)، فإن الله تبارك وتعالى والملائكة وأولياءه يلعنونهما وأنا ومن بقي في أصلاب الرجال وأرحام النساء فهو والله الزنا الأكبر، ولا والله ما لهن توبة، قاتل الله (لاقيس ابنة إبليس) ماذا جاءت به؟ فقال الرجل: هذا ما جاء به أهل العراق - يريد أن نساء أهل العراق جئن بالسحق - فقال الإمام: والله لقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يكون العراق، وفيهن قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء، ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء» (يقصد المخنثين)**[4].

---

(1) **الفهرست**، ابن النديم، ص371، تحقيق: رضا تجدد.

(2) المصدر نفسه. أقول : ولم أفهم معنى قوله: يناطق من تحت الطست. **ولعله نوع من أنواع السحر كان** في زمان ابن النديم.

(3) **جامع أحاديث الشيعة**، الإمام البروجردي، 20/ 37.

(4) **الكافي**، الشيخ الكليني، 5/ 552، تحقيق علي أكبر غفاري، **مطبعة حيدري، الطبعة الثالثة 1317هـ**.

أقول: ويبدو من كلام الرجل أنه أرجع تعليم السحق إلى العراقيين، وبالذات إلى نسائهم. ومن الغريب أن هذا الأمر مذكور في التاريخ، ذكره (القَرماني) في تاريخه قال: إن السحق كان منتشراً بين نساء الطبقة الأرستقراطية في المجتمع البغدادي. وعندما جاءت (سُلطان بَخْت) ابنة تيمورلنك إلى بغداد، أفسدتها النساء البغداديات فصارت من السَّحّاقات. وسنأتي على ذلك. وكان تيمورلنك دخل بغداد سنة 1386م ويحتمل أن يكون حديث الرجل مع الإمام الصادق جرى بحدود سنة760م. وجاء في تاريخ القرماني المذكور أن تيموراً هو أحد الدجالين الموعود بهم في الأخبار النبوية أنه يخرج على البلاد الإسلامية[1]. وقيل إن (لاقيس) هو ابن إبليس[2].

---

(1) **دائرة معارف البستاني**، 6/ 295.

2) **تهذيب الكمال**، أبو الحجاج يوسف المزّي، 25 / 482، تحقيق د. عواد بشار معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1413هـ.

الفصل السادس:

مواطن الجنّ في المرويات الشفاهية

1 - الحمامات:

هذه الحكاية سمعتها شفاهاً من المرحومة والدتي في أربعينيات القرن الماضي، قالت: إن رجلاً ذهب إلى الحمام فجراً قبل طلوع الشمس للاغتسال، وكانت هذه عادة الرجال في كربلاء، فدخل الحمام وطلب من ناظره الجالس خلف طاولة خشبية أن يبعث إليه بمن يدلّك جسده. فحضر المدلك فنظر إليه الرجل فرآه في غاية الطول وكانت رجلاه مشعرتين مظلفتين بظلف مشقوق كأظلاف العنز، فارتعب وأدرك أن المدلك جني فهرب إلى الناظر وأخبره بالخبر. فقال له الناظر: يعني مثل رجلَي هاتين؟ وأخرج رجليه فإذا هما كرجلي المدلك. فهرب من الحمام راكضاً فأوقفه الحرس الطائف في المدينة وسألوه عن أمره فشرح لهم القصة، فقالوا له: هل أرجلهم مثل أرجلنا. وكشفوا له عنها فإذا هي مشعرة مظلفة أيضاً فراح يركض ودخل بيته وهو يستعيذ بالله من الشياطين ومن الجنّ الموجودين في الحمامات.

وعلى الرغم من أن هذه الحكاية أوردتها الوالدة في مجال قصص المساخر التي تروى عن الجنّ فإننا نُقدّر أنها نشأت من عقيدة سارحة بين الناس هي أن الحمامات من مواطن الجنّ. والعقيدة هذه ليست مختصة بكربلاء، فإن مثلها كان يقال في مراكش حيث جاء إنه كان في هذه المدينة منزل قرر أصحابه تحويله إلى حمام عمومي وهم يجهلون أنه مسكون بالجنّ، فذهبت امرأة شابة متزوجة حديثاً للاستحمام فيه فاختفت تحت ماء (البرمة)[1] وبعد المناداة عليها طفت على سطح ماء الصهريج وتكلّمت قليلاً ثم عادت للاختفاء مجدّداً بمجرّد ما حاول الناس الإمساك بها[2].

---

(1) البرمة هي الصهريج الذي يتجمّع فيه الماء الساخن المخصص للاستحمام ويسمى عندنا في كربلاء (خزينة) ويدخل المستحمون داخلها للارتماس ويعتقد أنها موطن الجن.

(2) نقلاً عن موقع (حلا) الشبكي.

2 ـ صهاريج الحمامات (خزائن الماء):

ونستفيد من هذه الحكاية أن صهاريج ماء الحمامات تكون من الأمكنة المفضلة لسكنى الجنّ. وتسمى هذه الصهاريج في كربلاء (خزائن) والواحدة (خزينة) وهي عبارة عن حوض يُبنى في ركن من أركان الحمام من صفائح المرمر بمساحة ثلاثة أمتار في أربعة، ويوقد من الخارج تحته بوقود الزبل فيسخن الحمام وماء الخزينة ويصعد المستحمون إليها ويرتمسون داخلها رفعاً للحدث. وتعتقد النساء أن الخزينة موطن من مواطن الجنّ، فحدثتني والدتي أن امرأة اسمها (تاجة) ذهبت إلى حمام النساء فجراً ودخلت الخزينة للارتماس، فسمعت هاتفاً يناديها من أقصى الخزينة قائلاً: تاجة تعالي هنا. وكان البخار والظلام مخيماً على جو الخزينة فارتعبت تاجة وهربت. ويبدو أن الفتاة المراكشية المذكورة لم يسعفها الحظ بالهروب من الجني فأمسكها وتعلّق بها وأدخلها إلى عالمه المظلم والله أعلم.

3 ـ المكانات المظلمة:

ويعتقد الناس أن الجنّ تسكن المكانات المظلمة كالسراديب العميقة والآبار والكهوف والمدن المهجورة. وتسكن الفجوات العميقة في الأرض لذلك سُمّوا بـ(ساكني الأرض) كما سكنوا المقابر. والمقابر هي المواضع الرئيسة المهمة المأهولة بالجن، ولذلك يخشى كثير من الناس ارتيادها ليلاً. وكان النوم بين القبور في الليل يعدّ من البطولات التي يمتحن بها الشجعان، وكيف لا وهي مواطن أرواح الموتى تطوف على القبور. والموت نفسه شيءٌ مخيف والجنّ نفسها أرواح مخيفة تفزع قلب أشجع الشجعان.

4 ـ الأشجار:

ويعتقد الناس في فلسطين أن الجنّ والعفاريت تسكن في الأشجار التي تنتج ثمراً أسود، ولذلك فإن النوم تحت شجرة مثل الخرّوب والتين الأسود أمر غير مرغوب فيه.

ويقال إن فلاحاً من (أرطاس) ذهب مع زوجته إلى الحقول وهناك واقعها تحت شجرة تين دون أن يتلفظ بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) ليطرد الجني المقيم في الشجرة. وبعد ذلك أصيبت زوجته بالصرع. وعندما ذهب بها إلى الشيخ ليجد لها

دواءً ليطرد الجني من جسدها قال الشيخ: للأسف فالجني الذي ركب امرأتك (طير طيار) لا يمكن الإمساك به[1].

مواطن الجنّ في المدونات

أما أشهر مواطن الجنّ التي رصدت في المدونات فأهمها:

1 - عبقر:

جاء في (اللسان) بأنه موضعٌ في البادية كثير الجنّ ويقال في المَثَل: كأنهم جنّ عبقر. ويروى أيضاً أنها قرية باليمن وبلد مشهور به صيارف. وإذا كان فيه صيارف فأحرى أن يكون بلداً فيه تجارة وصناعة وزراعة وهو بالفعل كذلك فذكر أن صناعة أهله النسيج والثياب الموشّاة والبُسُط، ونسبوا كل ذلك إلى الجنّ لدقته وجماله.

وقال بعضهم: أصل العبقري صفة لكلِّ ما يولع في وصفه. وأصله أن عبقراً كان يوشّى فيه البسط وغيرها فنسب كلُّ شيء جيد إلى عبقر.

وجاء في التنزيل: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[2]. قال الفرّاء: العبقري: الطنافس الثخان واحدتها عبقرية. وقال مجاهد: العبقري: الديباج وقال قتادة: هي الزرابي وقال ابن جبير: هي عتاق الزرابي. فهؤلاء جعلوها اسماً لها ولم ينسبوها إلى موضع.

وقيل هو موضع باليمامة أو هو على جبل بالجزيرة الفراتية[3] ومن هذه الكلمة أخذت كلمة (العبقرية) لتدل على تلك المقدرة الذهنية والمهارة العقلية التي يتفوق صاحبها بفضلها في الإبداع والاختراع.

والعبقرية في الإنكليزية هي (Genius) مأخوذة من كلمة (Genie) أو (Jinn) التي تعني الجنّ، والتي هي لفظة إسلامية تطلق على أرواح تسكن الأرض وتتشكّل بأشكال عديدة[4].

---

(1) النباتات في المأثورات الشعبية الفلسطينية، نمر سرحان، **مجلة التراث الشعبي العراقية**، العدد الرابع والخامس، 1988 ص 124.

(2) سورة الرحمن، الآية: 76

(3) **دائرة معارف بطرس البستاني**، مادة (عبقر).

(4) **New Webster's** Dictionary and thesaurus, Jinn item

2 - وبار:

تزعم الأعراب أن الجنّ سكنت (وبار) وحمتها من كل من أرادها. وهي بلاد من أخصب بلاد العرب وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً وأكثرها حَبّاً وعنباً. فإن دنا إنسان من تلك البلاد متعمداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب. فإن أبى الرجوع خبّلوه وربما قتلوه، فليس في تلك البلاد إلا الجنّ والإبل الحوشية. والإبل الحوشية هي إبل الجنّ وقيل هي الإبل المتوحشة ورجل حوشي: متوحش.

والظاهر أنها مدينة مهجورة ما فيها إلا الأُطم والأبنية الخربة، لذلك زعموا أنها موطن الجنّ، وقالوا إنها من أبنية عاد. قال الليث: وبار كانت من محالّ عاد بين رمال يبرين واليمن، فلما هلكت عاد أورث الله ديارهم الجنّ فلم يبق بها أحد من الناس.

وقال محمد بن إسحاق: وبار أرضٌ يسكنها النسناس. وهو نوع من القرود شبيه بالإنسان، لذا قيل إنه جن. وهناك آراء أخرى يصعب من خلالها الوصول إلى تعيين موقعها الصحيح، لذلك رافقتها الخرافات الخيالية فزعم قوم أن أهلها بطروا وطغوا وكانوا قوماً جبابرة ذوي أجسام فلم يعرفوا حق نعم الله تعالى فبدّل الله خلقهم وجعلهم نسناساً، للرجل والمرأة منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة، فخرجوا على وجوههم يهيمون في تلك الغياض إلى شاطئ البحر يرعون كما ترعى البهائم، وصار في أرضهم كل نملة كالكلب العظيم تستلب الواحدة منها الفارس عن فرسه فتمزقه.

وروي عن أحد الذين رأوا النسناس أنه شاهده على شكل إنسان، شيخ له نصف لحية بيضاء ويد واحدة ورجل واحدة وفرد عين يقول الشعر باللغة العربية الفصحى. وذكر الراوي أيضاً أن الناس يصيدونه ويأكلونه شياً وقد أكل منه هو دون أن يدري فاعترض على من قدمه إليه قائلاً: يا سبحان الله تأكلون الناس؟ هذا إنسان ينطق ويقول الشعر، ويحكم أيحل هذا؟ قالوا: نعم إن له كرشاً وهو يجتر فلهذا يحل لنا[1].

وطريقة صيدهم له تكون بإرسال الكلاب عليهم فتأتي بهم فيشوونهم ويقدمونهم على الموائد[2].

---

(1) ينظر: **معجم البلدان**، مادة: وبار.

(2) **نخبة الدهر في عجائب البر و البحر**، لابن شيخ الربوة، ص 23 وما بعدها، طبعة ليبزك.

ولهؤلاء النسانيس أسماء يعرفون بها، وإن اسم أحدهم كان (أبا مُجير) وهو شاعر، فلما أرسلوا الكلاب عليه لصيده قال:

الويــل لي مـمـا به دهـــاني — دهري من الهموم والأحزان

قـفـا قليلاً أيـهـا الكلبـان — إليكمـا كـم ذا تـحـاربـان

ثم اقتحمه كلبٌ فصاده فلما كان الغد أحضرت مائدة وعليها أبو مجير مشوياً[1].

وقد اختلف الفقهاء في مسألة حلّية أكل النسناس فبعضهم أجازه وبعضهم حَرّمه لأنه على خلقة الناس. قاله القاضي أبو الطيب وغيره، وهو ما جرى عليه ابن المقري في التحريم[2]. وكلهم اعتمدوا على الروايات الأسطورية المروية عنه دون أن يروه.

3 ـ جاسَك:

جزيرة كبيرة بين جزيرة (قيس) وهي المعروفة بـ(كيش) وعمان قبالة مدينة هرمز. بينها وبين قيس ثلاثة أيام. وفيها مساكن وعمارات يسكنها جند ملك قيس وهم رجالٌ أشداء أجلاد أكفاء لهم صبرٌ وخبرة بالحرب في البحر وعلاجٌ للسفن والمراكب ليس لغيرهم.

وسمعتُ ـ والقول لصاحب معجم البلدان ـ [3] غير واحد من جزيرة قيس يقول: أهدي إلى بعض الملوك جوارٍ من الهند في مراكب، فرفأت تلك المراكب إلى هذه الجزيرة، فخرجت الجواري يتفسحن فاختطفهن الجن وافترشهن فولدن هؤلاء الذين بها، يقولون هذا لما يرون فيهم من الجَلَد الذي يعجز عنه غيرهم، وقد حدثت أن الرجل منهم يسبح في البحر أياماً وأنه يجالد بالسيف وهو يسبح مجالدة من هو على الأرض.

4 ـ تدمر:

مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام وهي من عجائب الأبنية موضوعة على العمد والرخام، زعم قوم أنها مما بنته الجنّ لسليمان ﷺ. والناس إذا رأوا بناءً عجيباً جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان والجنّ[4].

---

(1) **نخبة الدهر في عجائب البر و البحر**، ص219.

(2) **مغني المحتاج**، محمد بن الشربيني، 4/ 298 ، الطبعة 1377هـ/ 1958م، دار إحياء التراث العربي.

(3) ينظر: **معجم البلدان**، ج 2 ص 95.

4) المصدر نفسه، 2/ 17.

5 ـ بنارق:

وهي قرية بين بغداد والنعمانية مقابل (دَير قُنّى) من أعمال نهر ماري على دجلة، وهي الآن خراب، وكان السبب في خرابها مداومة العساكر السلجوقية ومرورهم عليها ونزولهم فيها.

قال ياقوت[1]: حدثني صديقنا أبو بكر عتيق بن أبي بكر مظفر بن علي البنارقي المقري النحوي قال: حدّثني جدي لأمي أبو الحسين دنيبة وزوجته مباركة البنارقية وجماعة كثيرة من أهل قريتنا بنارق، أنه لما استمرّ تطرّق العساكر لقريتنا أجمعنا على الرحيل عنها وإخلائها، ونُهيِّئ ذلك إلى الليل، وكان قد بلغنا قربُ العساكر منا، فلما كان الليل عبرنا دجلة لنجيءَ إلى (دير قُنّى) لأنه ذو سور منيع إلى أن تتجاوز العساكر ثم نمضي إلى حيث نريد في البلاد، وقد استصحبنا ما خفَّ من أمتعتنا على أكتافنا ودوابنا، فتأملنا فإذا نيران عظيمة ومشاعل جَمّة ملء البرية فظنناها مشاعل العساكر فندمنا وقلنا ما فعلنا شيئاً، لو أقمنا بقريتنا كان أوفق لنا لأنه كان يمكننا تخفّي ما معنا هناك فالآن قد جئناهم بأموالنا وسلمناها إليهم بأيدينا.

فبينما نحن نتشاور فإذا تلك النيران قد دهمتنا وغشيتنا، فإذا هي سائرة بنفسها لا نرى لها حاملاً، وسمعنا من خلالها أصواتاً كالنياحة بأشجى الأصوات تقول:

فلا بثقُهم ينسد ولا نهرهم يجري   وخلّوا منازلهم وساروا مع الفجر

وهم مُلَحّون في موضعين فعلمنا أنهم الجن. قال: وكان الأمر كما ذكرنا فإن النهروان وأنهارها كثيرة فسدت ولم تتفرغ الملوك لإصلاحها فخربت البلاد إلى الآن وكان ذلك بحدود سنة 545 هـ.

6 ـ الجَلس:

الجَلس علمٌ لكلّ ما ارتفع من الأرض من الغور في بلاد نجد. وفي المعجم الكبير للطبراني عن بلال بن الحارث المزني قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فخرج لحاجة وكان إذا خرج لحاجة يبعد، فأتيته بإداوة من ماء فانطلق

---

1) **معجم البلدان،** 1/ 496 وعتيف بالفاء اسم مأخوذ من العُتُوف وهو النَّتف (**اللسان/ عتف**) ودنيبة اسم معناه القصير (اللسان/ دنب).

فسمعتُ عنده خصومة رجال ولغطاً لم أسمع بمثله، فقال: بلال؟ قلت: بلال. فقال: معك ماء؟ قلت: نعم. قال: أصبت. فأخذه مني وتوضَّأ. قلت: يا رسول الله سمعتُ عندك خصومة رجال ولغطاً لم أسمع أحداً من ألسنتهم؟ قال: اختصم عندي الجنّ المسلمون والجنّ المشركون وسألوني أن أسكنهم فأسكنت المشركين الغور وأسكنت المسلمين الجَلس[1]. أقول: لا أستطيع أن أعلق شيئاً على هذه الرواية المتهالكة في السُّخف وأدع التعليق للقارئ الحصيف.

7 - ضلع بني مالك وضلع بني شيصبان:

هما جبلان من جانب (الحِمى)، حمى ضَريّة الذي يلي مهبّ الجنوب وأحدهما يسمى ضلع بني مالك، وبنو مالك بطنٌ من الجنّ وهم مسلمون، والآخر ضلع بني شيصبان وهم بطن من الجن كفار وبينهما مسيرة يوم في وادٍ يقال له (التسرير).

وكثيراً ما تحدث بين القبيلين حروب طاحنة يذهب ضحيتها الألوف[2].

8 - بلوقه:

ناحية فوق كاظمة قريبة من البحر قيل أرضها يسكنها الجنّ[3].

9 - أبرق العَزّاف:

وهو ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة مشهور ذكر في أخبارهم وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة، يجاء من (حومانة الدّراج) ومنه إلى بطن نخل ثم الطرف ثم المدينة.

قالوا: إنما سمي (العزّاف) لأنهم يسمعون عزيف الجن قال حسان بن ثابت:

طوى أبرقُ العـزاف يَرْعُـدُ مَتنُهُ ... حنين المُتالي فوق ظهر المشايع[4]

وذكر أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يرون الجنّ تعزف في المغاور في الليل

---

(1) **معجم البلدان**، مصدر سابق، 2/ 152 - 153.

(2) المصدر نفسه،3/ 460.

(3) المصدر نفسه،1/ 492.

(4) المصدر نفسه، 1/ 68.

كله بين الصّفا والمروة. وقد اشتهر موضع العزاف وقيل (أبرق العزاف) بأنه يسمع به عزيف الجنّ[1].

وقد بالغ الأعراب في ذلك وأغربوا في قصص الجان لما كانوا يتوهمون من ظهور الأشباح لهم في تجوالهم بالفيافي المقفرة الخالية فيتصورون جنّاً وغولاً وسعالى، وبالغوا أيضاً في ذلك لما وجدوه في أهل الحضر ولا سيما في الإسلام من ميل إلى سماع قصص الجان والسعالى والغول. وقالوا إنهم ربما نزلوا بجمع كثير ورأوا خياماً وقباباً وناساً ثم إذا بهم يفقدونهم من ساعتهم وذلك لأنهم من الجنّ[2].

وقد يكون لظاهرة السراب أثر في ذلك التخيّل كما أن للرياح أثراً كبيراً في تكبير الأصوات إذا اصطدمت بالحصى والصخور أو الكهوف، تتذبذب فيصدر منها أصواتٌ مختلفة النغمات فيخيل للسامع أنها عزف آلات موسيقية.

ولما كانت هذه المكانات بعيدة عن العمران ومسالك القوافل فلا شك أنها تكون ملاذاً آمناً للوحوش، وخاصة إذا كانت ذوات مياه وأشجار ونباتات طبيعية، فتلوذ بها تلك الوحوش طلباً للبرودة وكثرة الفرائس كالجبل المسمى بجبل سواج وهو جبل كثير الحيّات كثير الجنّ[3].

ولا تقتصر هذه النخيلات على العرب وحدهم، بل تشاركهم فيها كافة الشعوب. فنجد في الفولكلور الفارسي أساطير كثيرة من هذا القبيل، فعندهم جبل يقال له (جنّستان) ويسميه شعراؤهم (أرض العفاريت والجنيات) ويقولون إنه في أرض (قاف) أو في جبل قاف الذي يحيط بالأرض[4].

ويذكر (شيخ الربوة) أن بصحارى (الفيجو) في جهة الشمال والمشرق حيث العرض أكثر من ستين درجة عند منبع (إتل) بحيرة تسمى (بحيرة الشياطين) تجمد أطرافها في الشتاء ولا يزال ما حولها من الصحراء فيه من يتزيّا للناس بهم فيخيّل للإنسان إذا خرج من أصحابه لقضاء حاجة أنهم أصحابه ويدعونه إليهم فإذا وصل

---

(1) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي، 6/ 722.

(2) المصدر نفسه، 6/ 723.

(3) **الحيوان**، الجاحظ، 6/ 182.

(4) **دائرة المعارف**، بطرس البستاني، مادة جن.

إليهم خطفوه إليها (يقصد البحيرة)[1]. أقول: ولا شك أن عقيدة هؤلاء الناس في الاختطاف ناتجة من أن قسماً من الأشخاص الذين يذهبون داخل البحيرة المتجمدة لقضاء الحاجة فيتعرضون للغرق في مائها الذي لم يتجمَّد تجمداً جيداً فلا يرجعون فيقولون إن الشياطين خطفتهم.

قبائل الجن في الميثولوجيا العربية

صنفت الجن في الميثولوجيا العربية على شكل قبائل على غرار تشكيلة القبائل العربية، وأشهر هذه القبائل (بنو شيصبان) الذين كان لحسان بن ثابت صاحب منهم يلهمه الشعر.

وبنو الشيصبان أكثر الجن عدداً وأشرفهم نسباً، وقيل إنهم كانوا عامة جنود إبليس[2]. ومن قبائلهم (بنو زوبعة) وقالوا إن اسمه جاء من الزوبعة المعروفة بالإعصار، وهي ريحٌ تدور في الأرض ولا تقصد وجهاً واحداً، تحمل العفار وترتفع في الأرض إلى السماء كأنها عمود. وكان صبيان الأعراب يعتقدون أن هذا العمود فيه مارد فكانوا يطلقون عليه اسم (أبي زوبعة).

وأبو زوبعة هو أحد النفر التسعة أو السبعة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[3][4]. وهؤلاء النفر قيل كانوا سبعة نفر من جنِّ (نصيبين) رآهم النبي ﷺ فآمنوا به وأرسلهم إلى سائر الجن[5].

وقيل إنهم كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل (حرّان) وأربعة من أهل (نُصيبين). وحكى جويبر عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي في العراق.

أقول: وهي الآن في تركيا. وأنشد (الخالع) فيما نحن بصدده لبعض الرجّاز.

---

(1) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 123، تحقيق (مهرن) طبع بطرسبورغ 1865م.

(2) دائرة معارف البستاني، المصدر السابق، مادة : جن.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 29.

(4) اللسان، مادة : زبع.

(5) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، 1/ 145، الطبعة الأولى..

إن الشيـاطيـن أتـوني أربعــة في غَـلَس الليل وفيهم زوبعـه

وفي (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري أنهم ليسوا من ولد إبليس ولكنهم من الجنّ الذين كانوا يسكنون الأرض قبل آدم.

ومن قبائلهم أيضاً (آل العُذّام) الذين كانوا بأرض الشام وكان منهم (شِصار) رئي (خنافر الحميري).

ومن قبائلهم (بنو مالك) و(بنو أُقيش) الذين ذكرهم النابغة في شعره وقد عدّهم صاحب القاموس حَيّاً من (عُكس) وصاحب اللسان يقول: بنو أقيش حيٌّ من الجنّ تنسب إليهم الإبل الأقيشية وأنشد سيبويه:

كأنك من جمـال بني أُقَيشٍ يُقَعقَعُ بيـن رجليـه بشَــنٍّ [1]

والشنَّ هو الجلد يضرب عليه كما يضرب على الطبل لتنبهها وتحثها على السير. وجاء في خطبة للحجاج قوله: «إنني لا يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين».

في ميثولوجيا سائر الأمم

ونجد في ميثولوجيا الشعوب القديمة أن الجن تجمعت على شكل قبائل متكونة من اتصال عوائل توحدت بتماثل الأعمال. فطائفة (الجيدار) مثلاً هم الفَعَلة (العمال) الإلهيون الذين بنوا قصر الآلهة تحت نظارة (وبسوامترا) البنّاء السماوي. وهم الذين أنشؤوا كل المصانع العجيبة في الطبيعة.

وأما الجن الأشرار فيسكنون في البطالس وهو مكان الظلام. وعددهم ليس أقل من عدد أولئك. وهم عدة طوائف منها الديتيَّة والأسورة والدناوة والرقاشة.

وفي الميثولوجيا الصقلية ذكرٌ لأمة من الجن منها طائفة الدوماشة وطائفة الدوغة وهم حماة البيوت. وطائفة الليشة الوحشية وهم مشاة لهم قرون التيوس وآذانها ويرقصون في ضوء القمر مع الروسلنكيّة الشُّقر وهن جنيات الغابات والمياه فيجذبون إليهم المسافرين ويسيئون معاملتهم ويعذبونهم أحياناً[2].

---

(1) **اللسان**، أقش.

(2) **دائرة المعارف**، بطرس البستاني، مادة : جن.

أما قبائل الجن في سجستان فإنهم يألفون الإنسان ويرضعون أطفالهم. وقد ادّعى أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي أنه صار إليهم ورضع فيهم وعاش بينهم ثم وضع فيهم كتاباً ذكر فيه أثر الجن وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد ولي العهد، فقربه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أم الأمين وبلغ معهم وأفاد منهم، وله أشعار حسان وضعها على لسان الجنّ والشياطين والسعالى، وقال له الرشيد: إن كنت رأيت ما ذكرت، لقد رأيت عجباً وإن كنت ما رأيته لقد وضعت أدباً"[1]. وأخباره كلها عجيبة غريبة. أقول: والظاهر أن هذه الوسيلة كانت خير طريقة للارتزاق إلّا أن ما يؤسف له هو أن هذا الكتاب قد فُقد.

طعام الجنّ وشرابهم

ذهب العرب القدماء إلى أن الجنّ لا يأكلون ولا يشربون. ولكن المصريين المحدثين يعتقدون أنهم يأكلون ويشربون، ولذلك اعتاد بعضهم إذا توهم أن مرضه جاء من غضبة الجنّ توجب عليه أن يذيب في الماء نوعاً من السكَّر الأحمر في إناء بعد صلاة العشاء في ليلة الجمعة، ويأخذ المريض ذلك الإناء أو ينيب عنه من يصعد به إلى سطح البيت وهو ساكت لا يتكلم ولا يلتفت وراءه أثناء صعوده، ويقلب الإناء وما فيه على الأرض ولا يذكر اسم الله وهو يريقه، ثم يترك الإناء وهو في مكانه وينزل كما صعد، يزعمون بذلك أن الجنّ تشربه ويكرّر هذا الأمر ثلاثة أسابيع على الأقل فقد يرضى عنه الجنّ فيشفى[2].

ويعتقد العراقيون المحدثون أن الجنّ تأكل وطعامها العظام. وقد روى لي صديقنا المرحوم يوسف ناصر نصر الله قال: إن والدته كانت تعتقد أن الجنّ تأكل العظام، فكانت تطلب منه ومن إخوته أن لا يعرِّقوا العظم من كل لحمه ويتركوا شيئاً من اللحم عليه من أجل الجنّ.

وفي الواقع إن الشراب الذي يقدمه المصريون المحدثون إلى الجنّ دون التسمية عليه له علاقة بالمأثورات الإسلامية، فقد روي أن عمر بن الخطاب سأل

---

(1) **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، 5/ 221.

(2) **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، أحمد أمين، ص 142.

المفقود الذي استهوته الجنّ وعاش بينهم مدة ثم عاد، ماذا كان طعامهم؟ قال: الفُول. قال فما كان شرابهم؟ قال: الجَدَف وهو ما لا يغطّى من الشراب وما لم يسمَّ اسم الله عليه ورووا أن طعامهم الرمَّة وكذلك الروث[1].

وقد نسبوا في ذلك أقوالاً عن النبي ﷺ وأنا أُجل النبيّ عنها. فقد روي عنه: أن الروث والعظم طعام لهم. ومنع النبيّ أصحابه إذا ذهبوا إلى الخلاء لقضاء حاجتهم من الاستجمار بالروث أو بالعظم قائلاً لهم: «هذا طعام أخوتكم من الجنّ». وجاء في اللِّسان (مادة: رَمَم) أن النبيَّ ﷺ نهى عن الاستنجاء بالروث والرِّمة. والرِّمة بالكسر: العظام البالية والجمع: رِمَم. وعلى الرغم من أن كثيراً من العقلانيين سخَّفوا هذه الروايات إلا أن بعضهم آمن بها كالدكتور محمد أحمد همام[2].

ولست أدري كيف يؤمن عاقل بهذا الحديث الذي أنقله من كتابه نصاً وهو:

«روى ابن جرير قال: حدّثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبّة الخزاعي وكان من أهل الشام قال: إن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة: من أحبّ منكم أن يحضر أمَر الجِنَّة الليلة فليفعل. فلم يحضر أحدٌ منهم غيري. قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، خطّ لي برجله خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن! ! قال: فغشيته أسودةٌ كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرّز ثم أتاني فقال: ما فعل الرّهط؟ قلت: هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظماً وروثاً زاداً ثم نهى أن يستطبب أحدٌ بروث أو عظم»[3].

أقول: لو وقفنا عند هذا الحديث متفحصين جزئياته لوجدناه لا يعدو عن كونه تلفيقاً من المعتقدات الجاهلية والممارسات السحرية في التعامل مع الجن. حيث نجد فيه ممارسة قديمة كان العرب قبل الإسلام يقومون بها لإبعاد الجنّ منهم، وهي هذا الخط الذي رسمه رسول الله ﷺ برجله وأحاط به عبد الله بن مسعود. **فإن هذا**

---

(1) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 210 وما بعدها.

(2) ينظر كتابه: **الغيبيات في ضوء السّنة**، ص 496.

(3) المصدر نفسه ، ص 503.

الخط كان يعرف في الجاهلية باسم (خط الأمان). وكان المسافر إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادٍ ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وهي القاع المستديرة وعقلها وخطّ عليها خطاً ثم قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي. فيأمن شرّ الجنّ[1].

وقد استمر الناس يعملون هذا الخط حتى أيامنا هذه في إفاقة المصروع من صرعته. وقد وقفت على حادثة مصادفة عندما كنت في أحد المقاهي فشاهدت أحد الجالسين تصيبه نوبة صرع فيسقط على الأرض وهو يتشنج، فقام شخص من الجالسين وأخرج من حزامه خنجراً رسم به خطاً دائرياً حول المصروع، فما هي إلا برهة حتى توقف التشنج وقام الرجل من نوبته. ويطلق على هذا الخط في كربلاء اسم (خطّة العباس) ويعتقدون أن الجنّ تترك المريض إذا أحيط بها.

هذا من جانب، أما الجانب الآخر فمن أين جاء النبي ﷺ بهذا المقدار من الروث والعظام لكي يطعم رهط الجنّ الباقين؟ ثم إنه ﷺ ألم يكن يراهم حتى يسأل ابن مسعود عنهم؟ ثم كيف افتتح القرآن والقرآن لم يكن في ذلك الأوان مكتوباً ومجموعاً في كتاب؟ إنها في الواقع خرافة سيئة التلفيق ألصقت بالرسول الكريم. هذا ويعتقد بعض العرب الجاهليين أن الجنّ لا تأكل طعام الإِنس. وقد ورد ذلك في شعر قاله (شمر بن الحارث الضبّي) وكان أشعل ناراً لطعامه فجاء الجنّ فقال:

أتـوا نـاري فقلتُ منـون أنتـم؟ فقالوا: الجنّ. قلت: عموا ظلاما

فقلت إلى الطعـام فقـال منهـم زعيمٌ، نحسد الإنس الطَّعـامـا[2]

وقوله: عموا ظلاماً هي تحية الجنّ لأنهم يحبون الظلام فيعيشون في المغاور والكهوف وباطن الأرض. وهذه التحية هي عكس تحية الإنس: **عموا صباحاً**.

وقد جاء في بعض الأخبار أن الجنّ يأكلون ما تأكل الإِنس. **قال يزيد بن جابر**: ما من أهل بيت من المسلمين إلا وفي سقف بيتهم أهل بيت من الجنّ من المسلمين، إذا وضع غداؤهم نزلوا وتغدّوا وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشّوا[3].

---

(1) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6/ 87.

(2) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 197.

(3) **بحار الأنوار**، المجلسي، 60 / 115.

وفي خبر آخر أنهم يشربون من شرابهم. كما ورد في قصيدة البهراني أنهم يأكلون (الفول) مساءً وفي الفجر يأكلون روث الحمار:

تـأكل الفولُ ذا البساطة مِسيـاً بعد روث الحمار في كل فجر[1]

وقد جاء في إحدى الروايات أن قسماً منهم يأكل التمر وذلك حسب رواية عبد الله بن أُبيّ بن كعب. قال: إن أباه أخبره أنه كان له (جِرنٌ) فيه تمر. وكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات يوم فإذا هو بدابّةٍ تشبه الغلام المحتلم. قال: فَسَلَّمت فردّ عليَّ السلام فقلت: ما أنت؟ أجنيٌّ أم إنسيّ؟ قال: جنّي. قلت: ناولني يدك. فناولني يده فإذا يد كلب وشعر كلب. قلت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك[2].

(1) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 82.

(2) **الهواتف**، عبد الله بن محمد بن سفيان، ص104 .

الفصل السابع:

الملائكة

توصيفهم:

الملائكة: جمع مَلَك وهو من الأصل الثلاثي: لَأَكَ ومعناه: أرسَلَ. وسمي ملاكاً لأنه يبلِّغ الرسالة عن الله تعالى[(1)].

وفي العِبريّة: الملاك هو مُرسَلُ الله وله في التوراة والإنجيل مصطلحات عديدة بمعانٍ عديدة، والملائكة أرواحٌ في خدمة الله تعالى يرسلهم من أجل الذين يرثون الخلاص[(2)].

أما شكلهم في الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية فلا يمكن أن يصوّر إلا عن طريق تشبيه العالم الروحي بالإنسان، فبدا الملائكة بشكل بشري ويملكون قوة تفوق قوة البشر فتصرفهم يشبه تصرف البشر فهم يشاركونهم في مأكلهم كما جاء في سفر التكوين[(3)] في قصة ظهور الربّ لإبراهيم مع اثنين من الملائكة فذبح لهم عجلًا رخصاً طيّباً وأعطاه لغلام كي يجهزه، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي طبخه ومدّها أمامهم، وبقي إبراهيم واقفاً في خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون.

وفي تصرّفهم الذي يشبه تصرّف البشر فإنهم يتحدثون معهم ويلمسونهم ويأخذون بيدهم. ولا تقول النصوص شيئاً عن جنسهم هل هم ذكور أم إناث، إلا

---

(1) اللسان، لأك.

(2) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، مصدر سابق ، 1238.

(3) سفر التكوين، 8 / 18.

أننا نقرأ نَصّاً يبدو بشكل لغزٍ[1] يتحدّث عن اتحاد الملائكة (بنو الله) ببنات من البشر يقول: «وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم». ويعلق أحد الآباء المسيحيين على هذا النص بقوله: قد نكون هنا أمام أسطورة قديمة[2].

والملائكة سكان السماوات ولا يسكنون الأرض مثل غيرهم من المخلوقات الخفيّة. وإذا نزلوا إلى الأرض فينزلون للتبليغ أو إرسال رسالة من الله إلى أحدٍ كشخصٍ أو نبيٍّ كما في حالة الملاك (جبرائيل) أو مهمةٍ كما في حال ملكُ الموت (عزرائيل).

وقد عرف العرب في الجاهلية قبل ظهور الدعوة الإسلامية أن الملك رسول. وعندما شاهدوا الرسول محمداً ﷺ قالوا: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[3] أي إنهم استنكروا أن يكون الرسول ذا صفات بشرية.

ولا توجد في القرآن الكريم إشارة أو وصف إلى المادة التي نشأ أو خلق منها الملك ولكن التقليد السائد أن الملك خلق من نور. وقال كثير من المفسرين إن الملائكة أجسامٌ لطيفة قادرة على التشكل بصور مختلفة. وقد لخّص القزويني النظر في الملائكة فقال: زعموا أن الملك جوهر بسيط ذو حياة ونطق وعقل. والاختلاف بين الملائكة والجنّ والشياطين كالاختلاف بين الأنواع. واعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى، خلقهم الله على صور مختلفة وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سماواته[4].

---

(1) انظر **سفر التكوين**، 2 / 6.

(2) **المحيط الجامع**، مصدر سابق، 1238.

(3) سورة الفرقان، الآية: 7.

(4) **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، محمود سليم الحوت، ص 202.

وجاء في القرآن الكريم أنهم أولي أجنحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وفي التوراة أن الأجنحة يختص بها (الكروبيم) و(السيرافيم) وهم نوع من المخلوقات يحملون الهيكل على أجنحتهم وهم بمثابة حملة العرش في التقليد الإسلامي. وقد عمد رسامو الأيقونات المقدسة من المسيحيين أن يرسموا بعض الملائكة بأجنحة[2].

وفي الميثولوجيا الإسلامية يعتقد أن لجبرائيل ست مئة جناح ولإسرافيل اثنا عشر جناحاً، قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه عند قوائم العرش، جناح في المغرب وجناح في المشرق، وأن العرش على كاهله وأنه ليتضاءل أحياناً لعظمة الله حتى يعود مثل (الوَضَع) والوضع هو العصفور الصغير[3].

تعاملهم مع الإنسان

في الروايات الإسلامية أن الملائكة كانت في زمن إدريس تنزل وتختلط مع الناس وتكلمهم وتصافحهم حتى كان زمن نوح فانقطع ذلك. ويبدو أن زمن نوح كان حدّاً فاصلاً بين ما قبل الطوفان وما بعده. وكان إدريس قبل الطوفان وقد اختلف في أمره فقيل إنه ولد في مصر وسموه (هرمس الهرامسة) وهو عند العبرانيين (أخنوخ) ويسمى السابع من ولد آدم وله كتاب ولكنه غير معترف به ضمن الكتب التوراتية المقدسة.

وذكرت الروايات الإسلامية أن الملائكة نزلت في زمن الرسول ﷺ وصافحت عمران بن الحصين وعادته في مرضه ثم افتقدها فذهب إلى الرسول قائلاً: يا رسول الله إن رجالاً كانوا يأتونني لم أرَ أحسن وجوهاً ولا أطيب أرواحاً منهم، ثم انقطعوا عني. فقال رسول الله ﷺ: أصابك جُرحٌ فكنت تكتمه؟ قال: أجل. فقال: ثم أظهرتَهُ؟ قال:كان ذاك. قال: أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة إلى أن تموت. وكان ذلك جرحاً أصابه في سبيل الله[4].

---

(1) سورة فاطر، الآية: 1.

(2) **المحيط الجامع**، مصدر سابق، 1239.

(3) **في طريق الميثولوجيا**، مصدر سابق، 202.

(4) **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، محمود بن عمر الزمخشري، 1/ 369 ، طبعة رئاسة ديوان الأوقاف، مط. النعمان . بغداد.

وذكر أن الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون ولذلك لا نجد بشراً تزوج منهم أو ملكاً تزوج من إنسيات[1].

وذكر القرطبي في تفسير الآية الكريمة ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2] إنها نزلت في خزاعة وكنانة فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله فكانوا يقولون: ألحقوا البنات بالبنات فيئدون بناتهم لكي تلحق الموءودة بنات الله، وكان هذا عندهم في الوأد ولم يذكروا ممن تزوج الله وكيف أولد بناته.

أوثق الملائكة ارتباطاً بالإنسان

عزرائيل:

من خلال المعتقدات الشعبية السائرة بين الناس نستطيع أن نقول إن جميع الملائكة هم خارج نطاق العلاقة المباشرة مع الإنسان، فلا يتردد اسمهم على الألسن عدا واحداً منهم هو (عزرائيل)، يذكر دائماً ويرتفق في الأذهان عند حدوث الموت.

وله في كلام الناس حكايات ونوادر وله عندهم كنايات عديدة وأوصاف منها: مُسكّن الحركات وقابض الأرواح وفاصلها عن الأجساد وهادم اللذات ومفرق الجماعات، واسمه في الشعبية العراقية (عزرايين) بقلب الهمزة ياءً واللّام نوناً. ويستخدم في الدعاء بالشّر على الشخص فيقولون (عزرايين لَفَّك) و(طمَّك) و(كِرَفَك) و(أخذك). ويتشاءمون من ذكر اسمه، ومع ذلك فإن التقليد الأدبي يقضي عند ذكر اسمه أن يقال (عليه السلام) لأنه مَلَكٌ ينفذ أمر الله تعالى.

واسم (عِزرائيل) اسم أعجمي عبراني يتكون من مقطعين (عزرا) و (إيل). ومعنى (عزرا) بالعبرانية قوة و(إيل) معناه (الله) فعلى هذا يكون معنى (عزرائيل) قوة الله. ولكن الجزولي يقول إن معنى عزرائيل (عبد الجبار)[3] وقيل عبد الله[4].

---

(1) **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، 1/ 370.

(2) سورة النحل، الآيتان 57 و 58.

(3) **الديباج على صحيح مسلم**، السيوطي، 5/ 356، تحقيق أبي إسحاق الجويني

(4) **تفسير القرطبي**، 14/ 93، الطبعة الأولى1472هـ/ 2006م.

وقد تسمى المسلمون باسم (عزرة) منهم عزرة بن ثابت أحد رواة الحديث وعزرة القطان وغيرهم، وتسموا بـ(عزارة) منهم أبو عزارة المكي من أصحاب الإمام الصادق. وكل هذه الأسماء تدل معانيها على القوة. كما تسمي اليهود باسم (عزارة) ومعناها في لغتهم العبرية (عون) ومنهم عزرة أحد خلفاء يهوذا[1].

عزرائيل في التوراة والإنجيل

ولا نجد في التوراة ولا في الإنجيل ما يشير إلى وجود ملك بهذا الاسم يقوم بقبض الأرواح عدا أسماء أشخاص سُمُّوا بـ(عَزرائيل) ومعناه: الله عوني وهم أشخاص تاريخيون لا علاقة لهم بقبض الأرواح ومنهم (عزريئيل) و(عزري) و(عزريا)، وكل أسمائهم مشتقة من معنى المعونة[2]. أما ما يشير إلى الملك الموكل بقبض أرواح الناس فلديهم اسم (ملاك مهلك) وهو اسم أعطي لملاك (يهوه) الذي ضرب شعب داود بالوباء أو أهلك جيش سنحاريب.

وحين يستعمل الكتاب المقدس عبارة (الملاك المهلك) فلا يجعلنا أمام وصف خُلقي (الملاك الشرير)، بل يدل على ملاك عضو في البلاط السماوي أرسله الله في مهمة لينفذ أحكامه[3].

عزرائيل في القرآن الكريم:

ولم يرد اسم عزرائيل في القرآن الكريم وإنما جاء في التفاسير: وكَّل الله ملكاً يسمى عزرائيل. يقبض أرواح المخلوقات من إنس وجنٍّ وغيرهم من كل ذي روحٍ من الطير والبهائم ومردُّ ذلك من قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

---

(1) **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست، 2/ 96.

(2) المصدر السابق، و**المحيط الجامع**، ص 1245.

(3) **المحيط الجامع**، ص 1245.

(4) سورة الزُّمر، الآية: 42.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[2].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[3].

وكلّ ذلك مؤول بإسناد التوفي إلى الله لأنه الفاعل حقيقة، وإسناد قبض الأرواح إلى ملك الموت لأنه المباشر لذلك بإذن الله، وإسناد التوفي إلى الرسل والملائكة لأنهم أعوان ملك الموت في قبض الأرواح[4].

عزرائيل من مخترعات وهب بن منبه

وورد في بعض المصادر الإسلامية أن اسم (عزرائيل) كان من مخترعات الراوي (وهب بن منبّه) فقد جاء في (حاشية السندي على النَّسائي) أن الاسم أطلقه وهب بن منبّه على ملك الموت[5].

ووهب بن مُنبّه هذا (34-114 هـ/ 654 - 732م) أحد رواة الأخبار الذين أدخلوا كثيراً من الإسرائيليات في الإسلام، وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتاباً كلها نزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا القليل. وقد أخذه يوسف بن عمر وضربه حتى الموت[6].

كيف يقبض عزرائيل سائر الأرواح؟

كان ملك الموت يذهب إلى الناس عياناً يرونه ويراهم ويخبرهم بأمر الله فلا يجدون مناصاً من الرضوخ للمشيئة الربانية حيث الموت حق على كل إنسان.

---

(1) سورة السجدة، الآية:11.

(2) سورة الأنفال، الآية:50.

(3) سورة الأنعام، الآية:61.

(4) **الثمر الداني**،الآبي الأزهري، ص22، ط. المكتبة الثقافية - بيروت.

(5) **حاشية السندي على النَّسائي**، نور الدين عبد الهادي، 4/ 118.

(6) **الأعلام**، الزركلي، 125/8 وما بعدها.

وذكرت الترّهات الشعبية أن بعضهم هرب من عزرائيل إلى قطر ناءٍ على أساس أن يضيع نفسه عليه، فبينما كان يمشي في السوق إذ رآه أمامه فارتعب وقال له: ما الذي جاء بك إلى هذا المكان البعيد؟ قال: أمرني الله أن أقبض روحك في هذا المكان.

وبقي ملك الموت هكذا يأتي الناس عياناً فيقبض أرواحهم حتى تعرض للحادث المؤلم من قبل النبي موسى عليه السلام فاضطر أن يأتيهم خفية خوفاً أن يتعرض لمثل ذلك الحادث وهو مذكور في الموارد الإسلامية ومفاده:

«أن الله تعالى أرسل ملك الموت إلى النبي موسى لقبض روحه فجاءه وقال له: أجب ربك! فغضب موسى فلطم وجه عزرائيل لطمة أفقدته عينه اليسرى فصار أعور، فرجع إلى الله شاكياً فأعاد الله له عينه وأرسله إليه ثانية فقبض روحه»[1].

وبعد هذه الحادثة الأليمة صار عزرائيل يأتي الناس خفية خوفاً من تكرار تجربة موسى.

وقد سُئل عزرائيل: كيف يقبض الأرواح إن كثر الموتى في الأوبئة وزحف الجيوش وكان موتى في المشرق وموتى في المغرب كيف يفعل؟ فقال: أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعيّ هاتين[2].

كيف يقبض أرواح العلماء والحكّام؟

قالوا: يأتي عزرائيل إلى صاحب الأجل على صورة مناسبة لروحه الحبيبة عند الله أو القبيحة. مثلاً يأتي إلى الظالم من عمال الديوان على صفة من ينتقم منه أو على صورة رسل الملك في هيئة منكرة. كما أنه يأتي إلى العلماء في صورة أحبّ الناس إليهم وقد يتصور بصورة النبي عليه السلام.

وقد يأخذ أوامر القبض إلى العلماء مكتوبة بورقة ملفوفة بالخزّ كما الحال في وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني عليه السلام حيث جاء بهذه الورقة وسلمها إلى ولده عبد الوهاب مكتوب على ظهرها (من المحبوب إلى المحبوب)[3].

---

(1) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ص 53.

(2) الدرّ المنثور للسيوطي، 5/ 173، الطبعة الأولى 1365 مطبعة جدّة.

(3) الغدير، عبد الحسين الأميني النجفي،11/ 174.

كيف يقبض أرواح العبيد؟

إلا أنه مع العبيد السود له قصة أخرى، فهو يعرف نتن أجسادهم ونفوسهم، فلذلك عندما يأتي إلى واحد منهم يأتي وفي يده عود يستخرج به روحه من بدنه وذلك لكي لا يشم ريحه. قال هذا الشاعر أبو الطيب المتنبي يهجو كافوراً الإخشيدي:

ما يقبض الموت نفساً من نفوسِهم   إلا وفي يــده من نـتـنـهـا عـــودُ[1]

وهذه في الواقع صورة مبتكرة من الهجاء الشديد المفزع الذي سلط فيه الشاعر الضوء على ما كان عند الناس من تصور عن العبيد السود، حيث كانوا معروفين بقوة صنانهم ونتن أجسادهم. ويبدو أن كافوراً كان يتقي ذلك النتن بالتعطر بالمسك فلقب بـ(أبي المسك) كما أنهم أطلقوا عليه اسم (كافور) - عندما كان عبداً صغيراً - كعادتهم في تسمية الأشياء بضدها حيث الكافور من أشهر العطور.

الملاك عزازيل أو الشيطان

عزازيل هو رئيس الملائكة، ولم يكن أحدٌ من الملائكة أشدَّ اجتهاداً وأكثر علماً منه. فلما تكبّر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه جعله شيطاناً وسماه إبليس[2].

وفي رأي آخر أن اسمه كان بالعبرانية (عزازيل) وبالعربية (الحارث) وكان من خزّان الجنة، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشهر الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وقوله تعالى ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[3] أي من طائفة من الملائكة هم (الجنّ)[4].

وعن الإمام الصادق أن إبليس أبلس من رحمة الله أي يئِس ومنه سمي إبليس وكان اسمه (عزازيل)[5] وعلى هذا يكون عزازيل هو إبليس وهو الشيطان.

---

(1) **ديوانه**، 2/ 42 بشرح العكبري، الطبعة الثالثة 1956م.

(2) **بحار الأنوار**، 11/ 131.

(3) سورة الكهف، الآية: 50.

(4) بحار الأنوار ، 60/ 208.

(5) **شرح أصول الكافي**، المولى محمد صالح المازندراني، 2/ 268.

وفي أصل عزازيل آراء وأقاويل، بعضها مذكور في الكتب القديمة وبعضها منقول عن ديانات الشرق. ولا تؤمن كل الديانات بوجوده ولم يعرفه المصريون القدماء، ويقال إن مولده في وهم الناس. كان في سومر القديمة وكان في أيام الفرس الذين يعبدون النور والظلام معاً، ومنهم عرفه البابليون ثم كان ذكره الأشهر في التوراة التي كتبها الأحبار اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي. أما في ديانة المسيح فالمذاهب كلها تؤكده ولا تقبل الشكّ فيه دوماً في مقام عدوّ الله وعدو المسيح ولا يعرف مقامه من الروح القدس. روى عنه القدماء أنه خلق الطاووس. فقد ورد في نقشٍ قديم أنهم عَيَّروا عزازيل بأنه لا يقبل إلا القبائح ولا يدعو إلا إليها فأراد أن يثبت لهم قدرته على فعل الجمال فخلق الطاووس[1].

ونجد في التوراة أن عزازيل اسم علم للروح الشرير الذي يسكن في البريّة. وكان بنو إسرائيل يقدمون له سنوياً كبش فداء لكي تزال الأضرار التي يسبّبها، فكانوا يرسلون (تيساً) يحمل رمزياً كل خطايا إسرائيل.

وترجمت السبعينية والشعبية الاسم: التيس المرسل ولكن التفسير كان خاطئاً.

وتقول التوراة: إنّ معنى اللفظ عزّ إيل: قوة الله وهو رئيس أبناء الآلهة في الميثولوجيا والفولكلور الفلسطيني القديم. ويذكر كرئيس الملائكة في المغارة الرابعة في (قمران)[2].

أما طقس إرسال التيس إلى عزازيل في سفر اللاويين فيعني تقريباً: إرسالٌ إلى إبليس[3].

ثم تماهى عزازيل مع نار جهنم التي حملها معه فصار عزازيل كما في التقليد الأسطوري في الإسلام يعتبر اسم علم للشيطان إبليس قبل السقوط[4].

---

(1) **عزازيل**، يوسف زيدان، 349 الطبعة الحادية والعشرون، دار الشروق.

(2) **المحيط الجامع**، مصدر سابق، ص845.

(3) **سفر اللاويين**: 16 / 28

4) **المحيط الجامع**، ص 845.

الشيطان أو طاووس مَلَك:

وقد عبد اليزيديون الشيطان ورمزوا له بطائر الطاووس وسموه (طاووس ملك) أي طاووس الملائكة. يقول الباحث صديق الدملوجي مؤلف كتاب (اليزيدية): اتخذ اليزيدية الطاووس رمزاً للشيطان بعد أن حظر عليهم تسميته باسمه . . فكُتب السِّيَر والتاريخ والتفسير تدل على أن الملك المنبوذ قبل أن يطرد من الجنة كان يسمى (طاووس الملائكة) للطافة جسمه وشكل صورته.

كما أن الطاووس يذكر في الميثولوجيا الإسلامية على أنه كان من أسماء الملاك (جبرائيل). ويبدو أن الأصل في كل ذلك يعود إلى ديانة عبادة الشمس الفارسية القديمة التي كانت تطلق على الشمس اسم (طاووس أطفار) أي الطاووس ذو الأجنحة النارية كما تدعى (طاووس علوي أشيان) أي (طاووس العش السماوي).

يقول الباحث توفيق وهبي:

(وليس بعيداً هنا أن نرى أن مؤسس عبادة الشمس اليزيدية أطلق على رأس الملائكة الأربعة (جبرائيل) لقب طاووس الملائكة (طاووس ملك). وحين رفع بعد ذلك عدد الملائكة إلى سبعة لتكون مماثلة للآلهة المثرائية السبعة بقي طاووس ملك محتفظاً بتفوقه على جميع الملائكة الآخرين وأصبح معادلاً لإله الشمس (ميهر) (مثرا)[1].

وعبد الصابئة المندائيون - المعروفون بعبادة الملائكة - الطاووس الملاك وله في كتابهم المقدس (دراشة اديهيا) مواعظ[2].

وتصف النصوص المندائية هذا الملاك بـ(الملاك الطاهر) (يوشا من دخيا) فمقامه يقع عند كنوز النور وعند المنابع العظيمة للحياة، وقد جلا سِرَّ الحياة وهو مساعد النفس ويلقب بالطاووس لغروره.

هذا وسوف نرى لاحقاً في كتابنا هذا كيف انتقلت عبادة طاووس ملك إلى كنيسة الشيطان التي أسسها (ساندور لافي) في أمريكا.

---

(1) ينظر: **طاووس ملك**، جورج حبيب، مج. **التراث الشعبي البغدادية**، العددان السابع والثامن من السنة الثانية، مارس -إبريل/ آذار ونيسان 1977م.

(2) ص 217 ، النصُّ السبعون، ترجمة أمين فعيل حطاب، طبع شركة الديوان للطباعة. بغداد، ص 217.

الملائكة في معتقدات الصابئة المندائيين

يعتقد الصابئة المندائيون أتباع النبي (يحيى) وهو (يوحنا المعمدان) أن الملائكة من الله. فقد جاء في كتابهم المقدس (كنزاربّا) أي الكنز العظيم ما نصّه:

بسم الله الحي العظيم

مُسَبَّحٌ ربي بقلبٍ نقي . . هو ملك النور السامي

هو الله . . منه كان الملائكة والأُثريون[1].

ويقصد بالأُثريين جمع (أُثري) وهو الملاك. وقولهم: إن الملائكة من الله يحتمل أمرين، إما أن يكون خلَقَهم أو يكون نَسَلَهم. ولديهم أسماء كثيرة من الملائكة أشهرهم (جبرائيل) وهو ملاك رسول الحيّ العظيم (أي الله تعالى) ويسمى (هيبل زيوا) وهو المسلّح الباسل الذي سلحته الحياة، العظيم بالشجاعة والإقدام والعلم والمعرفة، وله كتاب اسمه (صباغة هيبل زيوا) مطبوع ضمن كتاب (كنزاربّا). ويعتبر هذا الملاك أحد الملائكة الثلاثة المهمين في الديانة المندائية، والآخران هما (آنوش) و(شيئيل)[2].

ويعتقدون أن الملائكة شاركوا في خلق آدم وعملية التكوين إذ جاء في كتاب الكنز:

«سمعت الملائكة وائتمرت (تشاورت)

ثم اتفقت قالت: ليكن آدم واحداً منا

سيكون.

تعال الآن يا بثاهيل. ومعاً نخلق آدم

كبيرنا سيكون.

الحزن يترقرق في قرارة نفسي . . انا بثاهيل

---

(1) ينظر كنزاربا، ص7، الطبعة الثالثة، بغداد 2001.

2) المصدر نفسه.

كانت أمنيتي أن أخلُق آدم وحدي لو جاء

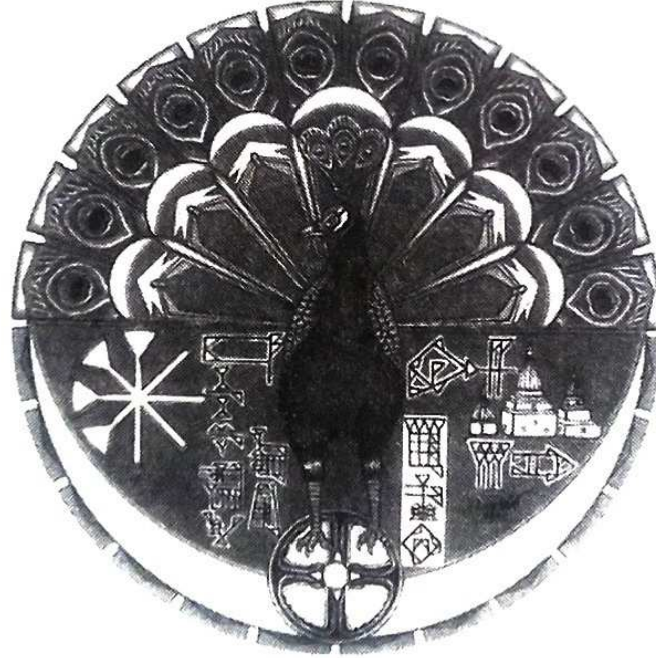
كما تبتغون . . ماذا سيكون؟ إلخ . . .» [1]

وبثاهيل هو ملاك أُثري يمثل الحياة الرابعة . . شارك في عملية الخلق والتكوين.

ولملائكة الصابئة كتب مقدسة أدرجت ضمن كتابهم الكنز العظيم (كنزاربا) ومن هؤلاء الملائكة (شلماي) وهو ملاك نوراني يحرس المياه الجارية مع ملاك آخر اسمه (وندباي)[2].

ونجد كذلك كتاباً للملاك (مندادهَي) وهو ملاك أُثري نوراني ويعني (عارف الحياة)[3]. ومن هؤلاء الأُثريين أيضاً (آنوش) وله كتاب.

ويطول علينا المبحث إذا استغرقنا في تعداد ملائكة الصابئة المندائيين، فنختصر ونقول: إن الصابئة مثال لأصحاب الديانات التي تعبد الملائكة.



طاووس ملك

(1) ينظر كنزاربا، ص 70، الطبعة الثالثة، بغداد 2001.

(2) انظر كتابه في الكنز، ص 14.

(3) كتابه في ص 177 من الكنز.

الشيطان وذراريه

ماهيّة الشيطان

الشيطان اسم يتردّد على الألسنة كل يوم باللّعن من الصباح إلى المساء لكائن غير مرئي يحرّض البشر على التمرد على تعاليم الله والثورة عليه وحثهم على الكفر به والتجديف عليه، وبالتالي يجنح بهم ويوجههم نحو عبادته هو.

ولم يكن هذا الكائن شريراً بطبيعته بل كان مخلصاً لله مثابراً على عبادته منذ أن خلقه الله، ولكنه تمرد وثار عليه اعتراضاً على خلقه الإنسان وفرض السجود له، فترفّع عن ذلك بينما سجدت الكوائن الأُخرى وهم الملائكة إذعاناً للأمر. وكان سبب تمرد الشيطان هو تعصّبُه لجوهره الذي خلق منه وهو (النار) واحتقاره للجوهر الذي خلق منه الإنسان وهو (الطين) فواجه الله بصلافة قائلاً: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1]، الأمر الذي جعل الله يستنكر عليه هذا التكبّر ويغضب فيقول له:

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

(1) سورة الأعراف، الآية: 12.

(2) سورة الأعراف، الآيات: 13 - 18.

وقعد الشيطان للإنسان يزّله عن الله فأزّل كثيراً وتبعوه، ولكن ليس في كلّ وقتٍ يتمّ له ذلك فإنه فشل مع الأتقياء والمخلصين المتجهين بكليتهم إلى الله كما حدث له مع (أيوب) حيث توسل له بكافة الوسائل من المصائب والعذابات ليخطّئه ويحرِّفه عن الله ويجعله يُجَدِّف عليه، ففشل وخرج الله بتلك التجربة منتصراً على الشيطان[1].

ونظراً لمعاكسته الله تعالى وعدائه المتواصل للإنسان فقد لُعن في الديانات الموحّدة ولكنه عبد في الديانات المشركة اتقاءً لشره. وعبادته في هذه الديانات قديمة التأسيس ولا يزال يعبد إلى اليوم في بعضها كديانة اليزيديين المعروفين بعبدة الشيطان.

والشيطان في اليونانية (ديابولوس) ومعناه المشتكي[2] وهو عند الفرس (اهريمان) إله الشر وتعادل قوته قوة إله الخير (أهورا مزدا) المتسلط في السماء ولذلك يعبد الشيطان لإرضائه لكونه يعمل الشر والأذى فيدفع أذاه بالأضاحي والتعبّد.

والشيطان في لاهوت النصارى هو روح الشرّ المتسلط، وله من الأسماء: الشرير. الملاك الجاحد. عدو الله العظيم وأصل الخطيئة ومحركها حتى يومنا. تخضع له الأرواح الشريرة. وهو يلهم عبادة الأوثان والسحر لدى الوثنيين، وهو سيد هذا العالم ويسمى الحيّة، ولكن المسيح نزع سلطانه وأخرجه من بعض الأجساد التي تلبس بها[3]. والشيطان في القرآن الكريم هو (إبليس) أزل آدم وحواء عن الجنة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]. ويعد الناس بالفقر ويأمر بالفحشاء ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾[5] وهو عدو مبين للإنسان ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[6]

---

(1) ينظر: **سفر أيوب**، التوراة، العهد القديم.

(2) **دائرة المعارف**، مصدر سابق، مادة الشيطان.

(3) **المحيط الجامع**، مصدر سابق، ص 738.

(4) سورة البقرة، الآية:36.

(5) سورة البقرة، الآية:68.

(6) سورة الإسراء، الآية:53.

وهو قرين من يغفل عن ذكر الرحمن ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[1] ولكل نبي عدو من شياطين الجن والإنس ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] وله همزات يستعاذ بالله منها ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[3] ورأسه قبيح المنظر كطلع شجرة الزقوم التي تنمو في قاع الجحيم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[4].

تكاثر الشيطان

ليس من البعيد أن يطرق سؤال ذهن من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[5] وهذا السؤال هو هل للشيطان ذرية؟ وإذا كانت له ذرية فكيف يتكاثر؟

لم يجب القرآن الكريم عن هذا التساؤل صراحة ولم يرد فيه ما يشير إلى طريقة تكاثر الشيطان، فلذلك لجأ المتسائلون إلى المفسرين يسألونهم فأجابوهم بإجابات اقتنع بها بعضهم وسخر منها بعضهم لمخالفتها العقل.

قال مجاهد: إن إبليس خنثى أدخل فرجَهُ في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذا أصل ذريّته[6].

وعن مجاهد أيضاً - وغالبية تلك الأحاديث تنسب إليه - أن الله تعالى خلق في فخذه الأيمن ذكراً وفي فخذه الأيسر فرجاً، فهو ينكح هذا بهذا، فيخرج كل يوم عشر بيضات، ويخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، فهو يخرج وهو يطير، أي حال خروجه من البيضة. وعلى هذا يمكن اعتبار الشيطان من الحيوانات البيوضة.

(1) سورة الزخرف، الآية:36.

(2) سورة الأنعام، الآية:12.

(3) سورة المؤمنون، الآية:97.

(4) سورة الصافات، الآية:65.

(5) سورة الكهف، الآية: 50.

(6) تفسير القرطبي، 10/ 420.

ويبدو أن أسطورة كون الشيطان من الحيوانات البيوضة يعود إلى التصور القديم عنه بأنه التنين العظيم والحيّة التوراتية الأصل التي أضلت آدم وحواء فطردا من الجنة[1]. ولما كانت الحيّة تتكاثر بالبيض فقد ألصقت صورة تكاثرها بطبع إبليس فقالوا إن الشيطان يتكاثر بالبيض. ولكن ثمة مفسرين آخرين قالوا بأن الشيطان يتكاثر كما يتكاثر الناس.

ذراري الشيطان

في الأساطير اليهودية ورد ذكر ذراري الشيطان (Satan Offspring's) وسموا واحداً منهم وهو (أرميلوس Armilus) الذي سيستولي على دار السلام (القدس) ويضطهد اليهود إلى أن يقهر على يد الله أو على يد (المسيّا) المسيح الحقيقي لليهود وهو ليس مسيح المسيحيين.

وقد صُوِّر كمخلوق مشوّه أطرش، وكواحد من المخلوقات الشريرة المخيفة. وفي الأساطير المشابهة توجد مثل هذه الشخصية في خرافات المسيح الدجال وكذلك في ديانة فارس[2].

وفي الأساطير الإسلامية وردت أسماء لذراري الشيطان اختلف الرواة في عددهم، فقال مجاهد: إن لإبليس خمسة أولاد. وقال غيره عدداً آخر، وقد استطعت أن أجمع من خلال الروايات المختلفة هذه الأسماء مع ذكر العمل الذي يقوم به كل واحد منهم:

1 - **زلنبور**: صاحب الأسواق. يضع رايته في كل سوق بين السماء والأرض.

2 - **أثبر**: صاحب المصائب. ويبدو أن اسمه جاء من(الثبور) أي الهلاك.

3 - **الأعور**: صاحب الزِّنى.

4 - **مسوط**: صاحب الأخبار.

5 - **داسَم**: وهو الذي يأكل مع الرجل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه[3].

---

(1) انظر: مادة (حيّة الفردوس) في **المحيط الجامع**، مصدر سابق، ص 488، وراجع: **سفر التكوين**، 3/ 1 وما بعدها.

(2) **Encyclopedia Brit**. Armilus Item

(3) **جامع البيان**، ابن جرير الطبري، 15/ 345.

6 - **الأبيض**: الذي يوسوس للأنبياء.

7 - **صخر**: الذي اختلس خاتم سليمان.

8 - **الولهان**: صاحب الطهارة يوسوس فيها.

9 - **الأقيس**: صاحب الصلاة يوسوس فيها.

10 - **مُرّة**: صاحب المزامير وقد كنيّ الشيطان به فقالوا (أبو مرّة).

11 - **الهفهاف**: يكون في الصحارى يضلّ الناس[1] وذكروا أن له بنات، ومن بناته بذخ.

كيف يوسوس في صدور الناس

ويعتقد كثير من الناس أن الشيطان يوسوس في قلب ابن آدم، حيث يسكن في صدره على الدوام قريباً من القلب، ويتصل بالقلب فيغريه بفعل القبيح والمنكر. وعلى هذا الاعتقاد صاغ الرواة الخرافة التالية ونسبوها إلى الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز فذكروا أنه قال:

«إن رجلاً سأل رَبَّهُ أن يريه موقع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى فيما يرى النائم جَسَدَ رجل مُمَهّى (شفاف) يُرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع، له خرطومٌ كخرطوم البعوضة، وقد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله خَنَس»[2].

وجاء في (اللسان/ مادة: وَسَس): الوَسواسُ: الشيطان وقد وَسْوَسَ في صدره ووَسوَس إليه. وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾، أراد ذي الوسواس وهو الشيطان يوسوسُ في صدور الناس. وقيل في التفسير: إنّ له رأساً كرأس الحيّة يجثمُ على القلب، فإذا ذكر العبدُ الله خَنس، وإذا ترك ذكرَ الله، رجع إلى القلب يُوسوس، والوسوسة: الكلام الخفيّ.

وهكذا صارت لدينا صورتان للشيطان: صورة الضفدع وصورة الحيّة، وزاد بعضهم عليها فقال: إن لها عُرْفاً قبيح المنظر. والشيطان لا يرى ولكنّه يُستَشْعَرُ أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولو رُئي لَرُئِيَ في أقبح صورة[3].

---

(1) **تفسير القرطبي**، 10/ 421.

(2) **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، محمود بن عمر الزمخشري، 1/ 389، ط. وزارة الأوقاف، بغداد.

(3) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة شطن.

السِّعلاة وماهيَّته

السِّعلاة في الفصحى بكسر السين أو ضَمِّها. وفي العامية (سِعْلُوّة) وأحياناً (سِعيلو) للتصغير. كائن خرافي يخوّف به الصغار فيقال لهم (جَتَّك السعلوة) أو (إجَه السعيلو) فيخافون ويرتعبون. وكذلك يخاف منها كثير من الكبار الذين يؤمنون بوجودها ويروون قصصاً عن مقابلتهم إياها.

وهي أنثى على طول الأزمان وتعيش في آجام الشجر. وجاء في (تاج العروس) أنها تألف الأرض التي ينبت فيها صنف من الخشخاش الأبيض أطلق عليه العرب اسم (رُمّان السعالى)[1].

ويعتقد البعض أنها كائن برمائي تعيش دائماً على شواطئ الأنهار وبيتها داخل الماء وتخرج منه لغسل ثيابها ونشرها على الشاطئ. ولها عواطف بشرية فقد تحب إنساناً من البشر وتتزوجه وتأخذه إلى بيتها في الماء ليعيش معها زماناً فيولدها ثم تعيده ثانية إلى أهله.

وقيل إن لها ثديين طويلين يتدليان على بطنها، وعندما تريد إرضاع أطفالها الذين تحملهم دائماً على ظهرها ترمي لهم ثدييها فوق كتفيها فيرتضعون منهما حليبها.

وهي تشبه المرأة في الشكل ولكنها مشعرة. وقسم من الناس يصفها بوجود ذيل بدل الساقين يشبه ذيل السمكة[2].

وإذا أحبت إنساناً أهدته مهنة يعتاش بواسطتها وهي مهنة الإشفاء من أمراض معينة.

ولكنها قد تقتل من يقابلها إذا عزم على مصادقتها ليصبح غنياً بالارتزاق من منحتها الشفائية، لذلك ابتكر أحد الأذكياء طريقة للحصول منها على ما يريد وهي التسلل إليها من خلفها أثناء غسلها ثيابها وقد ألقت ثدييها خلف ظهرها ثم - وبسرعة فائقة - يلتقم أحد الثديين فيرضع منه، وعند ذلك يصبح كأحد أبنائها فتسعفه بما يريد.

---

(1) **معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس**، جمع وتحقيق مصطفى الدمياطي / 4، 6 . وسمي بذلك لكون علبة بذوره تشبه الرمّانة ويستخرج منها الأفيون .

(2) **الحكاية الشعبية**، كاظم سعد الدين، ص 92.

وفي مأثورات العرب أن السِّعلاة أخت الغيلان وكذلك السعلاء يمدّ ويقصر والجمع السعالى[1].

وقال السهيلي: السِّعلاة ما يتراءى للناس بالنهار والغول: الذي يتراءى بالليل.

السَّعلاة في الفولكلور العراقي

هنا يكثر التحدث عنها في مكانات مختلفة من القطر. فمن تلك الأحاديث ما أخبرني به صديقنا الدكتور (عبد الكاظم عبد الكريم) طبيب الباطنية في كربلاء، وهو من أهالي المسيب، أن شخصاً معروفاً في المسيب اسمه (عبود) كان بيته على شاطئ النهر - والشواطئ مشهورة بأنها مواطن السعالى - فأحبته سعلوة ويبدو أنه أحبها كذلك فأخذته إلى بيتها داخل الماء وعاشرته معاشرة الأزواج وبقي معها مدة، ثم أعادته إلى البرّ ومنحته قدرة إشفاء الناس من مرض الفقرات بالدوس. فما إن يدوس بقدمه على المكان المصاب يشفى المريض، وقد جنى الرجل من هذه المنحة مالاً كثيراً.

ويصفها أهالي (حديثة) بأنها تشبه العنز إلا أنها أكبر منها خمس مرات، لون بعضها أسود ولون البعض الآخر أصفر بلون الغبار، وهي تعيش بالماء ولا تستطيع أن تخرج إلى الجرف لأن أقدامها كالخرق.

وتدور قصة حولها بين أهالي ناحية (بروانة) التابعة لقضاء حديثة مفادها: أن رجلاً من هذه الناحية اسمه (أحمد البروانة) كان شهماً نبيلاً كريماً شمل كرمه حتى السعلاة فكان يطعمها أرغفة الخبز و(الحنيني) وهو التمر المقلو بالدهن الحرّ. ولما ذهب أحمد إلى رحمة الله، انقطع رزق السعلوة فأخذت تبكي عليه وراحت تبكي مع الباكين عليه وتنوح بهذه الأبيات التي اشتهرت بين أهالي بروانة:

تبچي حـديثه وعـانــه   على أحـمـد البـروانــه
لـمعيّش السـعلـــوة   عَ الـحنيني ورغفـانــه[2]

وعلى هذا تكون السعلاة شاعرة تقول الشعر الشعبي الرثائي.

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي، 60/ 33.0

(2) صور من حياتنا الشعبية، طلال سالم الحديثي، ص13.

أما في سامراء فإن العجائز يصفن السعلاة بأنها تشبه العَنز أيضاً كما هي عند أهالي حديثة، إلا أن لون شعرها أخضر وهي على نوعين: سعلوة البرّ وسعلوة النهر[1].

ويعتقد أهل تكريت أن للسعلوة على شاطئ دجلة غابة تسمى (زور السعلوة) تعيش فيه وقد اعتقلت رجلاً من أهالي تكريت وحبسته عندها في الزور وعاشرته معاشرة الأزواج وأنجبت منه طفلها الأول المسمى (دبيب الليل)[2].

أما أهل بغداد فيعتقدون أن السعلوة امرأة سوداء اللون طويلة القامة تأكل ولا تشبع وتؤذي كلَّ من وقعت عليه[3].

وفي الفولكلور الكربلائي سمعت في صغري حكاية من أمنا عن سعلوة مرض ولدها، فذهبت إلى جارتها تطلب منها (حوايج) أي أدوية لعلاج ولدها.

قالت أُمّنا: كانت سعلوة تعيش على النهر فمرض ابنها بمرض في فؤاده فلم يستطع النوم طول الليل من شدة الألم، فذهبت إلى جارتها قائلة بلغة السعالى:

- يَدايدو . . يَدادو، ما عندچ حوايج للِّوايج، طول الليل يبَحلج من افّايدو؟

فأجابتها: لا وحگ ديدَح صُمِّديَدَح صُمِّنه الحجر والطيب ما عندي حوايجو.

وتنتهي الحكاية عند هذا الحدّ لأنني نسيت بقيّتها، وإنّما أذكر هذا المقطع المهم منها هنا ليطلع القارئ على لغة وضعها الشعب تتكلم بها السّعالى تتمثل بإلحاق حرف الواو بالاسم ويلفظ كما يلفظ حرف الـ(o) باللغة الإنكليزية:

يدايدو . . يدايدو، ومعناها ياداده أي يا أختي.

وكذلك كلمة (افّايدو) ومعناها (أُفّاده) أي فؤاده.

وكذلك (حوايجو) ومعناها حوايج وهي أدوية عطارية توضع في البيوت لعلاج الأمراض مثل وجع الرأس والمعده والنشلة وغيرها.

وقولها (للّوايج) أي للَّذي يلوج من الألم. ويبحلج أي مبحلق عينيه، أما ديدح

---

(1) **مجلة التراث الشعبي**، عدد 2 ، 3، ص 227 ، سنة 1975.

(2) **موسوعة الكنايات البغدادية**، عبود الشالجي، 2/ 161.

(3) المصدر نفسه.

وصمديدح وصمنه الحجر والطيب فهم أسماء أولاد السعلوة، وقد حلفت بهم لتصدقها زميلتها السعلوة أم المريض.

السعلاة مع حسان بن ثابت

ويبدو أن فكرة إيذاء السعلاة الناس قد استمدت من أساطير إسلامية قديمة، فذكر عن الشاعر حسان بن ثابت (ت 54هـ / 674م) أن السِّعلاة لقيته في بعض أزقة المدينة فصرعته وقعدت على صدره وقالت له: أنت الذي يأمل قومك أن تكون شاعرهم؟

فقال: نعم.

قالت: والله لا ينجيك منّي إلّا أن تقول ثلاثة أبيات على رويٍّ واحد. فقال حسان:

إذا مـا ترعـرع فينـا الغـلام فمـا إن يقـال لـه مَنْ هُـوَه

فقالت: ثَنِّه.

فقال حسان:

إذا لـم يَسُـد قبـل شـدِّ الإزار فذلـك فينـا الذي لا هُـوَه

فقالت: ثَلّثْهُ. فقال:

ولي صاحبٌ من بني الشيصبان فطـوراً أقـول وطـوراً هُـوَه[1]

ومن خلال هذه الأسطورة يمكننا أن نضيف صفة أخرى إلى صفات السعلاة، وهي استطاعتها التجوّل في المدينة ومقدرتها على مغالبة الناس وإلقائهم على الأرض كأقوى مصارعة، بالإضافة إلى معرفتها بصناعة الشعر.

السعلاة في التوراة

والواقع أن هذه الحكايات عن السعالى وعن غيرها من الكوائن الهلامية المرعبة كالجن والعفاريت والشياطين قد يكون أصلها وجوداً حقيقياً لوحوش ضخمة تسكن الغابات والأحراش والفلوات والقفار، ولم يكن الإنسان قديماً قد تعرّف عليها

---

(1) انظر: اللّسان، مادة: شَصَب.

وشاهدها لأول مرة فاستطار منها وفزع وهرب وراح يتحدث عنها للناس، مبرراً هربه منها بالمبالغة والتهويل بوصفها، وربما حدّثهم بعكس ذلك مظهراً شجاعته في السيطرة عليها وقتلها وربما الزواج منها.

ولا تخلو ثقافة شعبٍ من شعوب الأرض من هذه المخلوقات، فلكل شعب (سعلاته) الخاصة ولكن باسم آخر. وهذا الاسم خاص بالعرب، حيث إنه وارد في فولكلورهم، وقد بحث العلماء عن أصله ولهم في هذا الباب نظريات عديدة أهمها رأي العلامة الفريق أمين المعلوف الذي احتمل أن تكون السعلاة:

هي (سعيريم الواردة في سفر اشعياء)[1] في التوراة. ففي الترجمة الأمريكية: (فترقص هناك (مَعْزُ الوحش). وفي الترجمة اليسوعية (فترقص هناك الأشاعر) وهي أحسن لتأدية المعنى، فإن علماء التوراة يظنون أن (سعير)[2] شيطان أو صنم له شعرٌ كالمعز، ولعلّ لفظة (سعلاة) أيضاً معناها: شعراء أو زبّاء فالسين والشين واحد في اللغات السامية والراء واللام يتبادلان فالسعلاة والشعراء واحد[3].

وقال العلامة المذكور إن (السعلاة) هي الغوريلّا وهي القرود الشبيهة بالإنسان وهي شرسة جداً[4].

السعلاة في لندن

وتميل (الليدي داروور) إلى الاعتقاد بأن (السعلوة) أسطورة مركبة تألفت من طقوس عبادة إحدى الآلهة النهرية القديمة ومن إحدى النوادر الأفريقية التي حكاها العبيد عن القرود الكبيرة. ويمكن أن أسرد عليكم نادرة – والقول للسيدة دراوور- تؤكد ذلك.

«كنت ذات يوم أتحدث مع رئيس خدمي البحراني عن السعلوة، وقلت له: هل توجد مثل هذه المخلوقات في البحرين؟ فأجاب: نعم وإنها تهاجم الناس أحياناً

---

(1) **التوراة**، سفر أشعياء، 13/21.

(2) سعير في العبرانية معناها: كثير الشعر.

(3) كتابه: **معجم الحيوان**، ص15، ط. دار الرائد العربي . بيروت – لبنان . والفريق أمين المعلوف مدير الأمور الطبية في الجيش العراقي سابقاً وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

(4) المصدر نفسه، 117.

في الصحراء. وسألته هل رأيت يوماً واحدة منها؟ قال: نعم. فقلت له: أخبرني كيف وأين؟ فأجابني: في لندن، عندما ذهبتُ إليها عند نهاية الحرب. وعندما ألححتُ عليه في طلب التفاصيل واصل قوله: أخذنا أحدهم في يوم من الأيام إلى إحدى الحدائق الكبيرة حيث توجد حيوانات كثيرة، وكانت هناك (السعلوة) ورأيت اثنين منها ذكراً وأنثى في قفص. ولم يسمح لأحد الاقتراب منها إلا رجل إنكليزي حارس لهما. فقلت: إن ما رأيت يا مبروك هو القرود. فأجاب لا خاتون، رأيت القرود قبل ذلك)[1].

أقول: ولا شك أنه رأى الغوريلا هذا الحيوان الأسود ولم يكن رآه في البحرين وإنما رأى القرود فيها فربط بين هذا الحيوانات وبين ما يختزن ذهنه عن السعلوة، فقدّر أنها هي لا غيرها.

الحياة الزوجية مع السعلاة

نعود إلى المعتقد الشعبي الذي يرى أن السعلاة قد تتزوج الإنسان وتمكث معه فترة من الزمان وتلد له بنين وبنات، فنجد أن هذا المعتقد معروف عنها قديماً، آمن به العرب وسارت بينهم أسطورة تقول إن أحد الأشخاص واسمه (عمرو بن يربوع) تزوّج منها، ويبدو أن هذا الزواج كان نتيجة حبّ حيث ذكروا أنه (مشى) إلى أهلها ولو لم يكن عاشقاً لها لما (مشى) إلى أهلها خاطباً. ولسنا ندري ماذا رأى فيها حتى يعشقها؟ ولعله عشقها لكونه مصاباً بـ(عمى الحب) وهو مرض يرى فيه المحب كل شيء قبيح في محبوبه جميلاً.

وبهذه المناسبة أذكر أن صديقنا المرحوم يوسف ناصر نصر الله روى لي أن عمه كان مصاباً بهذا الداء أعني (عمى الحب) حيث تزوج من امرأة سوداء تشبه السعلاة[2] -على حد وصفه- اسمها (تاضي) أي (المضيئة) وكانت في غاية البشاعة حتى إن صديقي يوسف عندما كان طفلاً رآها فهرب منها رعباً وكان زوجها يحبها غاية الحب،

(1 **الحكاية الشعبية العراقية**، مصدرسابق، ص 91. مقال مترجم (الحكاية الشعبية في الفولكلور العراقي) كتبته السيدة المذكورة.

(2) وصف المرأة بالسعلاة وصف قديم ورد في الشعر العربي . قال الأعشى:

ونساءً كأنهن السعالى

(ينظر: لسان العرب، مادة: سَعَل).

ومنذ ذلك الحين ظهرت السعلوة (Ogress) في كثير من الأعمال مثل (توم عقلة الأصبع) و (هانس وگريتل) حيث تظهر فيها الساحرة كنوع من السعالى تتقصّد أكل الأطفال.

ويعتبر (السايكلوب) المخلوق الأسطوري ذو العين الواحدة[1] واحداً من المخلوقات الأخرى التي تلتهم البشر وهو نوع من الغيلان (ogre) وهو ذكر السعلاة.

إن الفكرة عن الغول يمكن أن تظهر أيضاً بصورة أكثر اتساعاً في الكتابات الأدبية وكذلك السياسية، حيث استخدمت الغيلان أكلة لحوم البشر كرمز يمثل الطغيان السياسي، أو كرمز للدكتاتور الذي يسيطر على الشعب ويبتلعه عن طريق إفنائه بالحروب. والدكتاتور أيضاً يتقصد إفناء الحيوات خلال تشريعه الحروب ويمثل الوحشية كهؤلاء الذين ارتكبوا الجرائم خلال حرب (النازي). وقد وظف الارتباط بين السعالى والنازي في رواية (الغول) لميخائيل تورنر[2].

وفي الميثولوجيا اليابانية يطلق على السعلاة (Ogress) اسم (Kishi-Mojin). وفي الميثولوجيا البوذية (Hariti) وهو غول من طبعه افتراس الأطفال. ويقال إنه غيّر طبيعته الافتراسية بواسطة (بودها Buddha) فأصبح أو أصبحت حامية للأطفال تخبئ صغارها الخمس مئة تحت إناء الاستجداء الخاص بها. وغالباً ما تظهر محاطة بالأطفال أو تحمل طفلاً أو رمانةً أو قرناً مملوءاً بالفواكه. وقد انتقلت ثقافتها شمالاً إلى وسط آسيا والصين حيث اعتبرت كحارسة خصوصية للأطفال وللنساء في فترة النفاس[3].

أما الروس فلديهم من هذا النوع واحدة تسمى (Baba-Jaga) وهي سعلاة تختطف وتطبخ وتأكل البشر وخاصة الأطفال، وتعيش مع أختين لها أو ثلاثة، وجمعيهن يعرفن بالاسم نفسه في كوخ في الغابة سياجه مكلّل بالجماجم البشرية.

---

(1) ظهر هذا السايكلوب في إحدى رحلات السندباد البحري.

(2) **Ency. Brita**, Ogress Item

(3) Ibd. Hariti Item

وعندما توفيت جاءه الأصدقاء يعزّونه ويقولون: إن الله تعالى سيعوضك في الجنّة أحسن وأجمل منها، فقال: إن الجنة التي ليس فيها (تاضي) لا أريدها.

نعود إلى صاحبنا عمرو بن يربوع، فإنه لما مشى إلى أهلها وافقوا ـ حسب ما تذكر الرواية ـ وقالوا له: إنك ستجد فيها خير امرأة ولكنهم حذّروه من البرق لأنها إذا رأت البرق تذكرت أهلها وحنّت إليهم فتطير نحوهم وتترك الزوج والأولاد. ثم أوصوه بأن يستِّر بيته جيداً ولا يدع ضوء البرق ينفذ إليها من خلل الستور. فرضي بذلك وتزوجها وستر بيته ـ ولم يكن سوى خيمة ـ ومكثت عنده وولدت له بنين وبنات. وفي ذات يوم غامت السماء وأرعدت وأبرقت، فرأت البرق من خلل البيت فهاج بها الشوق إلى أهلها فقالت لزوجها:

إلزم بنيك ـ عمرو ـ إني آبق　　　بَرقٌ على أرض السعالى آلِق

ثم طارت إلى أهلها وتركته وأبناءها ولم يرها ثانية. وكبر أبناؤها وكثروا وعرفوا بين العرب ببني السعلاة فهجاهم أحد الشعراء قائلاً:

يا قبّح الله بني السِّعلاة　　　عمرو بن يربوع شرار الناتِ

ليسوا بأبطالٍ ولا أكيات

أراد الشاعر: شرار الناس وكذلك أكياس جمع كيس فقلب السين تاءً على لغة السعالى[1].

لكلِّ شعبٍ سِعلاته

لقد قلنا في الباب الرابع إن لكل شعب (سِعْلاته) الخاصة به ولكن باسم آخر، وهذا الاسم أي السعلاة خاص بالعرب، ونضيف إلى هذا الباب سعلاة الغربيين التي تسمى (Ogress) وتصور في حكايات الجان كأنثى عملاقة بشعة الصورة تأكل لحوم البشر.

وقد اشتهر هذا الاسم في الاستعمال الشعبي خلال نهاية القرن السابع عشر بواسطة (تشارلز پيروت)[2] مؤلف (حكايات الوزّة الأم) بالفرنسية.

---

(1) **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، 19/ 411، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

(2) شاعر فرنسي وناثر وكاتب قصص (1628 – 1703).

الحياة مع الغيلان

ماهيّة الغُول:

الغول كائن خرافي، يُتَحَدَّثُ عنه مرةً بضمير الأنثى (هي) ومرَّة بضمير الذكر (هو) قال أبو المطراب الذي رآه في القفر:

وغولاً قفرةٍ ذكراً وأنثى . . إلخ

وسمي بهذا الاسم لتغوّله أي لتلوّنه من حالة إلى حالة. وجاء في الحديث (لا غول . .) فيه إبطال كلام العرب حوله. أما قوله ﷺ «إذا تغوّلت بكم الغيلان فأذِّنوا»، فيمكن أن يكون الأذان لدفع الخيال[1].

والغولُ: أحد الغيلان وهي جنسٌ من الجنّ والشياطين وكانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى فتغول تغوّلاً أي تتلون تلوناً في صور شتى وتغلوهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبيﷺ[2].

1 - شكلها:

كانت الغول تأتي على هيئة السنّور، وكان يدخل بيت الصحابي أبي أيوب فتسرق الطعام من السلّة، ويبدو أنه كانت له سلّة يضع فيها الطعام ويعلقها في سقف الغرفة فيستطيع هذا الحيوان أن يقفز قفزة بارعة وينتشل الطعام منها. فلما شكى أمرها إلى الرسول وعلمت بذلك قالت له: دعني هذه المرّة فوالله لا أعود ثانية فتركها أبو أيوب[3].

ويبدو لنا من خلال حديث أبي أيوب - إن صح - أنها نوع من الحيوانات الظلامية التي تتسترُ بالليل وتدخل القرى وتسرق الطعام، ولم يكن هذا النوع من الحيوان معروفاً لدى أبي أيوب فأسماه (غول)، أما مسألة تكلمه بالعربية وخوفه من رسول الله فهو من باب الفبركات الأسطورية.

---

(1) **الذكرى**، الشهيد الأول، ص 175، طبعة حجر غير مرقمة الصفحات خط كرماني سنة 1273هـ.

(2) **الحدائق الناضرة**، المحقق البحراني، 7/ 365، تحقيق محمد تقي الإيرواني، الناشر: جماعة المدرسين - قم.

(3) **مستدرك سفينة البحار**، علي النمازي، 8/ 37، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

ولاقاه (أبو المطراب) ووصفه بأنه حيوان مخطّط الجسم وكانت ملاقاته له في الصحراء - كما سيأتي ذلك - وقد يكون نوعاً من الحيوان غير معروف أيضاً.

ووصفه بعضهم بأنه كخلقة الإنسان ولكن رجلاه كرجلي حمار وهو طويل غاية الطول[1].

ورآها ثابت بن جابر (تأبّط شراً) فوصفها بأن لها رأساً كرأس الهر مشقوق اللسان، وساقاها كساقي طفل خديج، وقحف رأسها كقحف رأس الكلب، تلبس ثوباً من الجلد وسيأتي تفصيل ذلك فيما يلي.

2 - صوتها:

وصوتها يقال له (العزيف) وهو صوت الجنّ أيضاً. وكان العرب الجاهليون يعتقدون بأن الجنّ تعزف بالمفاوز بالليل. والعَزْفُ والعزيف صوت الجنّ وهو جرسٌ بشع يسمع بالمفاوز كالطبل. وروي عن ابن عباس قوله: «كانت الجنّ تعزف بالليل كله بين الصفا والمروة». وأشهر المواضع التي كان يسمع فيها عزيف الجنّ (أبرق العزاف)[2].

ومما لا شك فيه أن تلك الأصوات التي تسمع في المكانات المذكورة هي أصوات ارتطام الرياح العاصفة إذا اصطدمت بالصخور والشواخص الحجرية وانسربت بين فرجات الحصى والجلاميد فإنها تصدر أصواتاً ضخمة بألحان مختلفة حسب ضيق الفرجة أو اتساعها، كما الحال في نفخ بوق عملاق متعدد التجاويف، فيعتقد سامعها بأنها عزف مخلوقات غير مرئية ونسبها إلى الغيلان أو الجنّ.

أبو المطراب . . خليل الغول

أبو المطراب عبيد بن أيوب، شاعرٌ بدويّ من بني العَنْبر من شعراء العصر الأموي، كان لِصّاً حاذقاً فأباح السلطان دمه وبرئَ منه قومه، فهرب في مجاهل الأرض، وصحب الوحوش وذكرها في شعره.

---

(1) **مستدرك سفينة البحار**، علي النمازي، 8/ 37، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

(2) **معجم البلدان** ، 1/ 68.

وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة ويبايت الأفاعي والذئاب ويؤاكل الظباء[1]. يقول:

وحالفتُ الوحوش وحـالفتني | بقرب عهـودهـن وبـالبعـاد
وأمسى الذئب يرصدني مِخَشّاً | لخفَّـةِ ضربتـي ولضعـفِ آدي
وغـولا قـفـرةٍ ذكـراً وأنثـى | كـأنَّ عليهمـا قطع البجـاد[2]

ولهذا عرف بخليل الغول والذئب بين النساء وكذلك عرف بينهن بأنه يهيم بربّات الحِجال الجميلات:

تقول وقد ألممتُ بالأنسِ لَـمّـةً | مُخضَّبة الأطراف خرس الخلاخل
أهذا خليل الغول والذئب والذي | يهيم بربـات الحِجال الهراكل[3]

وكان خوفه المستمر من الطلب يدفعه دائماً إلى الترامي في أحضان الفلوات والصحاري بغية الاختباء عن أعين رجال السلطان، ثم يبعد حتى يصل مكامن الظباء في الأقاصي فينفرن منه أول وهلة ثم يعتدن عليه عندما يرين جسمه الضرير النحيل العاري:

رأين ضرير الشخص يظهر تارة | ويخفى مراراً ناحل الجسم عاريا

فيدركن أنه ليس يمكن أن يخاف من هذا المخلوق وخاصة عندما يرين أنه يأكل مما يأكلن من العشب فيألفنه فيصبح كواحد منهن ويختفي بينهن وهو على هذه الصورة:

ألا يا ظباء الوحش لا تشمِتنَّ بي | واخفينني إن كنت فيكن خـافيا[4]

---

(1) **الحيوان**، 6/ 159 تحقيق عبد السلام هارون.

(2) المخش: بكسر الميم وفتح الخاء. الجريء على هول الليل. والآد: القوة. والبجاد: كساء مخطط يلبسه الأعراب. يريد أن جسمها مخطط.

(3) **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة الدينوري، ص 405، تحقيق مفيد قميحة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان. وقوله: خرس الخلاخل يعني أطرافهن ممتلئة فلا تصوت الخلاخل إذا مشت. والهراكل: جمع هركلة وهي المرأة الحسنة الجسم.

(4) **الشعر والشعراء** ، المصدر السابق، ص 405.

ويبدو أن من طبيعة الظباء أنهن يألفن الكائن البشري إذا كان على تلك الصورة ولا يخشين منه. ويمكننا أن نستشهد على ذلك بموقفهن مع (أنكيدو) البطل الثاني في (ملحمة گلگامش) السومرية الأصل الذي وصف بأنه:

(لا يعرف الناس ولا البلاد

ومع الظباء يأكل العشب

ويستقي مع الحيوان من موارد الماء

ويطربُ لُبُّه عندما يسمع ضجيج الحيوان

في مورد الماء)[1].

إن هذا الطرب لضجيج الحيوان عند (أنكيدو) يقابله عند أبي المطراب طربٌ لصوت كائن آخر هو صوت رفيقته الغول:

فلِلّه دَرّ الغـــول أيُّ رفيقـــة ... لصاحب قفرٍ خائفٍ مُتَقَفِّـرِ

أرنَّت بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدت ... حواليَّ نيراناً تبوخ وتزهـر

والظاهر أنها أرادت بإيقادها النار أن تستجلبه إليها وهو بعيد، ثم راحت تغريه بلحون الغيلان التي لم يسمعها أحد سوى المتوحدين في الفلوات.

ومن يدري فربما كانت بإيقادها النار تريد أن تقوده إليها للعبث به وتخبيله، فقد كانت العرب تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخبيل واختلال السابلة. وهذا يجعلنا نحكم على تراثه الشعري بأنه يقوم على أسس معتقدات كان العرب يؤمنون بها، ومنها قوله:

وغـــولاً قفرةٍ ذكراً وأنثى ... كأنَّ عليهما قطع البجـاد

فجعل الغيلان ذكراً وأنثى[2].

ويبدو لنا أنه كان يهدف من خلال اختلاقاته الخرافية إثبات شجاعته وهو في الواقع كان خائفاً من بطش السلطان فيتوسل به قائلاً:

---

(1) **ملحمة گلگامش**، طه باقر، ص 55.

(2) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 159.

أذقني طعم الأمن أو سَلْ حقيقةً | عليَّ فإن قامت فَفَصِّل بنانيا
خَلعْتَ فؤادي فاستطير فأصبحت | ترامى بي البيدُ القفار تراميا

هكذا كان واقعه الذي يعيشه وهو حالة مزرية مقهورة ساقطة مُخِلَّةٌ بصفة الشجاعة والبطولة التي يحلم بها، والتي يجب عليه أن يكونها كبطلٍ لصٍّ خارج على السلطة والقانون حسبما كان الناس ينظرون إلى اللصوص في ذلك الزمان، ولا يزال بعضهم إلى اليوم على هذه النظرة إلى اللصِّ، حيث نجد الكثيرين يستمتعون بأحاديث اللصوص ويتتبعون أخبارهم ويتناقلونها. وأحياناً يكون (البطل) حاضراً في المجلس فيستزيدون من مغامراته فيزيدهم من خياله الخِصب أشياءَ لا تصدق ولكنهم يؤمنون ويصدقون لأن طبيعة التوحش الهاجعة في لاوعيهم والموروثة من حياتهم البدائية في البراري والمفازات تستثيرها مثل هذه الحكايات، حيث يستعيدون بواسطتها تلك الحيوات الملغيّة في حياتهم الحاضرة التي تقيدها القوانين والمحرمات.

وقد استطاع شاعرنا الاستفادة من هذا التعلق الفطري الموجود عند الناس بخرافات البطولة ليظهر أمامهم كبطل شجاع رغم جبنه أمام السلطان فيتحدث لهم عن مقارعته السباع وصراعه مع الغيلان. اسمعه يقول:

وقد لقيت من السباع بليةً | وقد لاقت الغيلان مني الدواهيا
ومنهن قد لاقيت ذاك فلم أكن | جباناً إذا هول الجبان اعترانيا
أذقتُ المنايا بعضهنّ بأسهمي | وقدَّدنَ لحمي وامتشقنَ ردائيا[1]

تأبَّط شراً . . مغتصب الغول

اسمه ثابت بن جابر بن سفيان. قتل حوالي (80ق.هـ/ 540م)[2]. بدويٌّ قحٌّ، غارق في البداوة، شرّير غائصٌ في الشر، لم ينجُ من كيده إنسانٌ ولا حيوان، فكان يقتل النمور في مآلفها ويستطيع أن يَصرَعَ نمراً وحده، حتى زواحف الأرض لم تسلم من عبثه، فكان يتربص لها عند أوجارها، فإذا رجعت بعد انحسار الليل اصطادها

(1) **الشعر والشعراء**، المصدر السابق، ص405.
(2) **الأعلام**، الزركلي، 2/ 97، الطبعة الخامسة، دار العلم.

وراح يتسلّى بإفزاع الناس بها وكانت أمه من جملتهم، فذكر أنها قالت له ذات يوم: كلّ أخوتك يأتيني بشيء إذا راح عداك. فقال: سآتيك الليلة بشيء. ومضى فصادف أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه ووضعها في جراب تأبطّه وألقاه بين يدي أمه، ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت مذعورة وخرجت. فقالت لها نساء الحي: ماذا أتاك به ثابت؟ قالت: أتاني بأفاع في جراب. قلن: كيف حملها؟ قالت: تأبطها. قلن: تأبط شراً فلزمه (تأبط شراً) بعد ذلك[1].

وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه ويذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله، ولهذا وصفه أخوه بأنه أعدى ذي رجلين:

وكان قليل غرار النوم أكبرُ هَمّه … دمُ الثـأر أو يـلـقى كميّاً مقنّعـا

قليل ادخـار الـزاد إلا تَعِلَّـــةً … وقد نشزَ الشرسوف والتصق المعى[2]

وكان أسمع العرب، يستطيع أن يصيخ بأذنه نحو الأرض فيسمع وجيب قلوب الرجال إذا جاؤوا في طلبه.

وكان أَكْيَد العرب وأغدرهم وأفتكهم وقصصه في الفتك والكيد مفصلة في الأغاني[3].

وخلاصة الكلام عنه أنه كان وحشاً في صورة إنسان. يقول عن نفسه:

يـظـلّ بـمـومـاة ويـمـسـي بـقَـفـرةٍ … جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي … بحيثُ اهتدت أمُّ النجوم الشوابك[4]

لذلك كثر الطلب عليه وأصبح على شفا حفرة من الموت ومع ذلك فقد خطب امرأة من هذيل. فقال لها قائل: لا تنكحيه فإنه لأول نصل غداً يفقد. أي يموت لأول ضربة وقد تحقق ذلك.

---

(1) وقد قيلت روايات أخرى في سبب تسميته بهذا الاسم. انظرها في **الأغاني**، 21/ 127، ط. دار الكتب.

(2) أعدى من العدو وهو الركض. الكميّ: الشجاع. الشرسوف: الطرف اللين من الضلع الذي يلي البطن. وقوله: التصق المعى: من الجوع.

(3) **الأغاني**: 21 / 127 وما بعدها. ط. دار الكتب.

(4) **الحيوان**، 6/ 256 . الموماة: الفلاة . الجحيش: المنفرد . ومعنى ذلك أنه يهتدي بالنجوم.

وقيل إنه لما مات ألقيت جثته في غار يسمى (غار رُخمان) فصار لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات، فأيُّ نوعٍ من الأناسي هذا الذي يميت الأحياء وهو ميت. فلا عجب إذا ارتعبت منه الأبطال وأخاف اسمه شجعان الرجال. وقد سأله أبو وهب: بِمَ تغلب الرجال يا ثابت فأنت كما أرى دميمٌ ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول للرجل ساعة ما ألتقيه: أنا تأبط شراً فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أبتغيه[1].

وكان خياله المتسع يختلق كائنات خرافية مخيفة يصارعها فينتصر عليها، ويصور هذا الصراع في رسائل شفاهية شعرية يوصلها إلى خصومه عن طريق الرواة لبث الرعب في نفوسهم. ومن جملة هذه الرسائل رسالة بثّها بين (بني فَهم) يخبرهم فيها أنه لاقى (الغول) عند (رحى بطان) وهي تهوي بسهب كالصحيفة ليس فيه أحد:

ألا من مبلغٍ فتيان فهمٍ ... بما لاقيت عند رحى بطانِ
وأني قد رأيت الغول تهوي ... بسهبٍ كالصحيفة صحصحانِ

فطلب منها أن تخلي له الطريق لكونه على سفر، فامتنعت وشدّت نحوه شدّةً فأهوى لها كفّه بسيفٍ صقيل وجعل يضربها فخرّت صريعة وقالت له: (عُد كرةً أخرى)، فلم يفعل لأنه كان يعلم أنه لو ضربها ثانية فستعود إلى الحياة، فماتت وبات متكئاً عليها إلى الصباح فنظر إليها وتبين ملامحها على الضوء:

إذا عينان في رأس قبيحٍ ... كرأس الهرّ مشقوق اللسان
وساقا مخدجٍ وشواة كلبٍ ... وثوب من عباءٍ أو شنان[2]

وكما كان يتعامل مع الناس بأسلوبه القبيح تعامل مع مخلوقاته الخرافية. وكانت الخيانة من طبائعه، فخان جيرة إحدى الغيلان وقد جاورته فحاول أن يغتصبها عنوة ولكنها التوت عليه وكاد أن يفعل معها الفعل الشنيع. اسمعه يقول:

فأصبحت الغول لي جارةً ... فيا جارتا لك ما أهولا
فطالبتها بُضعَها فالتوت ... عليَّ وحاولت أن أفعلا

---

(1) **الأغاني**، 21/ 130.

(2) مخدج: خديج وهو المولود قبل أوانه. والشواة: قحف الرأس. والشنان: جمع شنٍّ وهو القربة من الجلد.

فمن كـان يسأل عن جـارتي　　فـإن لـهـا بـاللّـوى منزلا[1]

ولسنا ندري هل فعل أم لا فقد جعل اكتشاف الأمر موكولاً بالسامع حيث يمكنه أن يذهب إليها في منزلها بـ(اللّوى) ويسألها.

ولدى مقارنتنا بين خرافات هذا الشاعر وبين خرافات الشاعر أبي المطراب نجد فرقاً يتمثل بكون الشخصية المختلقة عند تأبط شراً تمثل كائناً متوحشاً شريراً معادياً للبشر كطبيعته هو، الأمر الذي يستوجب قتلها. ويُمثِّل هذا إسقاطاً لا واعياً على الذات، بينما نجد الشخصية المختلقة عند أبي المطراب على العكس، مسالمةٍ تألف البشر ويمكنهم أن يأتلفوا معها مثلما ائتلف هو معها ألفةً حميمة فصار يكنى بخليل الغول وصديقها وخدينها. وإذا جاز لنا أن نطلق تسمية على تأبط شراً كأبي المطراب لما انطبقت عليه تسمية صالحة سوى تسميته (بقاتل الغول ومغتصبها).

والسبب في ذلك يعود إلى تأثير البيئة المعاشة للإنسان على تصوراته الخرافية، فكلما كان الشخص مغرقاً في البداوة والتوحش، توحشت مخلوقاته، وكلما كان قريباً من الحاضرة تهذبت مخلوقاته. وقد كان أبو المطراب شاعراً مدنياً رغم كونه لصاً، فلما أهدر السلطان دمه هرب إلى البادية اضطراراً ولكنه بقي محافظاً على تقاليد الحاضرة ولوازمها الاجتماعية، فحالف الغول وتصادق مع الذئاب وتآلف مع الظباء الوديعة وصار كفردٍ منها، في الوقت الذي بقي فيه تأبط شراً على البداوة القحَّة، يصارع الطبيعة وعناصرها أعنف صراع من أجل البقاء فيطارد الظباء الوديعة ويذبحها ويأكلها بسبب الجوع، بينما كان أبو المطراب يأكل العشب مع الظباء ويرتعي معها ويشرب مما تشرب، أما ميله الجنسي فكان مهذباً (يهيم بربّات الحجال الهراكل) ويصفهن الوصف التقليدي الذي كان عليه الشعراء الغزلون. أما ما جاء في بعض شعره من الصراع مع الغيلان والوحوش فما كان إلا لإبداء الشجاعة ليس غير. بينما كان الميل الجنسي لتأبط شراً ميلاً وحشياً يقوم على الاغتصاب والإكراه.

الحكم بن عمرو البهراني . . الزواج من الغول

هو شاعر توزعت حياته بين البداوة والحضارة، فقد سكن البادية أول الأمر بين

---

(1) الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص 144. قوله: ما أهولا: أي ما أهولك والبُضْعُ بضم الباء: الفَرج.

قبيلة بني العنبر، على أن العنبر من بهراء ولكنهم طردوه ونفوه إلى الحاضرة بسبب التنافس بين القبيلتين، فبهراء نسبهم في اليمن وأما العنبر فنسبهم في مضر[1].

وبنفيه إلى الحاضرة تثقف بثقافة الحضر وبذلك جمع بين الثقافتين، ثقافة الأعراب وثقافة الحضر (فكان يتفقّه ويفتي بفتيا الأعراب)[2] وهذا ما ذكره الجاحظ وأضاف (وكان مكفوفاً دُهرياً عُدْ مُلِيّاً).

وقوله (دُهرياً) بضم الدال يفهم منه أنه كان يعتقد بفلسفة الدهريين الذين يقولون بقدم الدهر وأن العالم موجود أزلاً وأبداً لا صانع له وإنما يخلقنا ويهلكنا الدهر لا الله. وكان من هؤلاء الدهريين عبد الكريم بن أبي العوجاء صاحب الأحاديث الباطلة عن النبي ﷺ .

وقال الجاحظ: وللحكم بن عمرو البهراني شعرٌ عجيب، وقد ذكر فيه ضروباً كلها طريف وغريب وكلها باطل، والأعراب تؤمن بها أجمع[3]. ثم أورد له من ذلك الشعر قصيدة وحيدة فريدة نستطيع أن نعتبرها من نوادر حكايات الجان (Fairy Tales).

وهذه القصيدة تتألف من واحدٍ وأربعين بيتاً خصّص تسعة أبيات منها كمقدمة عامة، بسط فيها مجموعة من المعتقدات الشائعة بين الأعراب كعقيدتهم في (المسخ) التي يقولون فيها إن الله مسخ كل ماكسٍ وجابي خراج وإتاوة إذا كان ظالماً يمسخُهُ شيئاً قبيحاً، وإن الله مسخ ماكسين اثنين كانا على ذلك الديدن، مسخ أحدهما ذئباً والآخر ضبعاً[4].

ومنها عقيدتهم بالعقاب الإلهي الذي يصيب الشعوب الظالمة الكافرة حيث يسلط النمل والذر والجراد عليهم ويصيبهم بالرعاف. وقد سلط ذلك على (حيّ بكر) وهم بكر بن عبد مناة:

بعثَ النمـــل والجـــراد وقفّـى   بنجيع الـرّعـــاف في حيٍّ بكـر

---

(1) **الحيوان،** 6/ 80 ، وانظر هامش المحقق.

(2) المصدر السابق، وانظر الهامش عن **فتيا الأعراب ومقامات الحريري** (المقامة الثانية والثلاثون).

(3) **الحيوان،** 6/ 80.

(4) **المصدر نفسه.**

ومنها إرسال الفأرة التي خرقت السدّ المعروف بسدّ مأرب، فكان السيل والكارثة التاريخية التي نزلت بأهل سبأ:

خرقت فـــأرة بـــأنفٍ ضئيـــل عرمـاً مـحكم الأسـاس بصخر[1]

كما يذكر (أبا رغال) ويقول فيه:

والذي كـــان يكتنـى برغـــال جعـــل الله قـــبره شـــرَّ قَبـــر[2]

وأبو رغال هو أحد عتاة جباة الضرائب زمن النبي صالح، وقيل كان دليل الأحباش الذين جاؤوا بقيادة أبرهة لهدم البيت، فهلك فيمن هلك ودفن بين مكة والطائف، فمر النبي ﷺ بقبره فأمر برجمه فصار ذلك سُنة[3].

ثم ينتقل بعد ذلك من هذه المقدمات إلى الغرض الذي جاء من أجله وهو زواجه من الغول فيقول:

وتـزوجـتُ في الشبـيبـة غـولاً بغـزالٍ وصدقـتـي زقُّ خـمـر[4]

ثم يمضي بعد هذا يسرد فصول الأحداث الغريبة والمغامرات العجيبة التي وقعت عليه من جراء هذا الزواج الذي لا يراود الإنسان إلا في الخيال.

ويظهر لدارس القصيدة أن الرجل كان موسوعياً بالمعتقدات الخرافية المتصلة بحيوات الكائنات الخفية كالغيلان والسعالى والجان وأشباهها، وقد أراد أن يجمعها في وثيقة واحدة فاتخذ لها أسلوب المدونة الملحمية، وجعل نفسه بطلها، وجعل الأحداث والمغامرات والشخوص الثانويين كل ذلك تلتقي معه في تناسق محكم بديع، وهو ما نراه يتطابق مع رأي الكسندر كراب عن قصص الجان عندما يقول: إن قصص الجان تتألف من عدد من الجزئيات (الموتيفات Motifs) المتناثرة وإن لم يكن تناثرها عفوياً، ذلك أنها تتساوق معاً في ارتباط بالبطل أو البطلة باعتباره الشخصية المحورية[5].

---

(1) **الحيوان**، 6/ 81.

(2) المصدر نفسه.

(3) **معجم البلدان**، 3/ 53.

(4) **الحيوان**، 6/ 81، وقوله صدقتي يعني مهره كان زقاً من الخمر.

(5) كتابه: **علم الفولكلور**، ص 28، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة والنشر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

وعلى هذا يتبين لنا أن البهراني قد كدَّ ذهنه في التوصل إلى وسيلة يربط بها تلك الجزئيات المتناثرة ربطاً محكماً متناسقاً متسلسلاً يمتع المتلقي ولا يجهده بالمشي الطويل وراء البحث عنها وانتقائها، من خلال قراءة نصوص متناثرة بين مطاوي الكتب، فأوصله تفكيره إلى ابتكار حكاية (الزواج من الغول) ثم جعل الجزئيات (الموتيفات) المتناثرة تنتظم بشكل فني إعجازي في إطار ذلك الزواج فانطلق يقول:

وتزوجتُ في الشبيبة غـــولاً　　　بغـزالٍ وصدقـتـي زقُّ خـمـر

لقد كان يعلم أنه سيثير بذلك زوبعةً من النقد والتسفيه والاعتراض. كيف يتزوج شاب مثله في عنفوان شبيبته بزوجة (غول) والغول (حيوان مشوّه لم تحكمه الطبيعة)[1] و(هو من السعالى وتغتال الإنسان فتهلكه[2] و(أن رجليها رجلا حمار)[3] و(هي تتلون في ضروب الصور والثياب، وأنها تعبث بالإنسان فتغيّر عقله فتداخله عند ذلك)[4] وما إلى ذلك من المعتقدات المهولة.

في الواقع أن تلك المعتقدات لم تكن خافية عليه وإنما أراد توظيفها في هذا الإطار للتوصل إلى أبطالها عن طريق استخدام أسلوب التهكم والسخرية. ويمكننا أن نشبهها برواية (دون كيهوتا) أو (دون كيشوت) (Don Guixote) للروائي الإسباني (سرڤانتس) الذي ألفها سنة (1605) مبتكراً فيها شخصية فارس أضحوكة مغامر سماه (دون كيهوتا) للسخرية من بطولات الفرسان الأوروبيين ومغامراتهم. وكانت مغامرات شاعرنا الحكم بن عمرو البهراني مع زوجته الغول وأبنائه منها شبيهة من ناحية الهدف بتلك الرواية. قال البهراني:

وتزوجتُ في الـشبيبة غـــولاً　　　بغــزالٍ وصدقـتـي زقُّ خـمـر

فزعم أنه جعل صداقها غزالاً وزقّ خمر. فالخمر لِطِيبِ رائحته، والغزال لتجعله مركباً فإن الظباء من مركب الجنّ[5].

---

(1) **عجائب المخلوقات**، القزويني، ص370، مطبوع على هامش **حياة الحيوان الكبرى** للدميري.

(2) **حياة الحيوان الكبرى** للدميري، 2/ 16.

(3) **مروج الذهب**، المسعودي، 3/ 314.

(4) **الحيوان** ، الجاحظ، 6/ 158.

(5) **المصدر نفسه**، 6/ 235.

وهنا قد يتساءل المتلقّي لماذا تزوج غولاً. ألم يكن أولى به أن يتزوج من بنات جنسه، فلماذا اختار الزواج من جنس آخر لم تحكمه الطبيعة، يتزيا بكل زِيّ ويتلون بكل لون؟

يجيب الشاعر نفسه على هذا التساؤل بما يفهم منه أنه تزوج منها لأسباب هو التلون، إذ إنها تتلون حسب ما يشتهيها:

ثـيِّـبٌ إن هويـتُ ذلك منهـا   وإذا شئتُ لـم أجـد غيـر بكـرِ[1]

وهذا ما لا يجده عند بنات الإنس حيث الرجل ميال إلى التغيير، ولذلك حلّل الله له الزواج من أربع. وربما كانت هذه الغول تجمع في ذاتها صفات أربع نساءٍ أو أكثر من السراري إذا أراد. هذا من جانب، ومن جانب آخر إن هذه الغول ثرية غنية تمتلك (خِطّةً) قطعة أرض في (وَبار) أرض الجنّ فمسحوها فكان له منها نصف شطر:

ولـها خِطّـةٌ بـأرضِ وبـار   مسحوها فكان لي نصفُ شطر[2]

وهذا سبب يمكن أن يضاف إلى السببين السابقين، فمن من البشر يستطيع أن يمتلك شبراً في تلك الأرض التي يمتلكها الجن؟

إلّا أن الجانب الأهم في المسألة هو أنه كان - كما يظهر من شعره - يريد تحقيق مزيّة (الاغتراب) التي كان الناس يؤمنون بها، وهي فكرة تعتمد على استحباب تزاوج الإِنس من المخلوقات الخفيّة لإنتاج نسل نجيب من عرق نجيب[3] وكانت الغول التي تزوج منها شاعرنا من هذا العرق قال:

غلبتني على النجـابـة عرسـي   بـعدَ أن طار في النجابـة ذكري

وأرى فيـهـم شـمـائـل أنـس   غير أن النـجـار صـورة عِفـرِ[4]

يقول: لما تركَّب الولد مني ومنها كان شبهها فيه أكثر، وهذا ما كان يبغيه إذا كانت نجابة الجنّ غالبة في الولد. قال القعقاع بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن

---

(1) **الحيوان**، 6/ 225 والثيّب هي المرأة غير البكر.

(2) قوله: فكان لي نصف شطر أي الربع. وإنما استحق الربع لكون زوجته أنجبت منه (الحيوان، 6/ 228)

(3) انظر ما مرّ سابقاً حول فكرة (الاغتراب).

(4) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 235. والنجار: الأصل، والعِفر بكسر العين: العفريت والمتشيطن.

القعقاع: والله لَـمَا أرى من شمائل الجنّ في عوف أكثر من شمائل الإِنس[1]. وإذا كانت نجابة الجنّ غالبة على الولد فاق الولد أقرانه ولمع نجمه وذاع صيته كما حدث لـملك اليمن (الهدهاد بن شرحبيل) الذي تزوج جنية فولدت له (بلقيس) ملكة اليمن التي طار صيتها في التواريخ. ومن الواضح أن هذا المعتقد يرجع إلى إيمان الناس بتغلب الصفات الأمومية على الصفات الأبوية.

ولا يزال هذا الإيمان موصولاً بمعتقداتنا الشعبية حيث يقال: «ثلثي الولد على خاله». وفيه إشارة كذلك إلى الحديث النبوي القائل: «تخيروا نساءكم فإن العِرق دَسَّاس» ولهذا السبب تزوج البهراني من (غولة) وراح يفخر بأهلها وزعم أنهم من سادة الجنّ الذين يوحون للشعراء شعرهم:

بنت عمروٍ وخالها مسحل الخير وخـالـي هُـميم صـاحب عَمْـرِ

فزعم أن هذه الجنية بنت عمرو صاحب الشاعر (المخبّل السعدي) وهو شاعر مشهور من المخضرمين مات في خلافة عمر أو عثمان.

كما زعم أن خالها هو (مِسحل) شيطان الشاعر الأعشى وزعم أن خاله (هُـمَيم) وهو الفرزدق وشيطانه عمرو.

إن هذا المعتقد الذي يرجع الشعر إلى وحي كائنات خفية كالجن والشياطين قد فصلناه في (جن الشعراء) من كتابنا هذا.

نعود إلى بيت الشاعر:

وتزوجتُ في الشبيبـة غـولاً بغـزالٍ وصدقـتي زقُّ خـمـر

نعود بالذات إلى حكاية الغزال التي يقول عنها الجاحظ إنه أهداها غزالاً لتركبه وهو أفضل مراكب الجن وفي بعض الأحيان يركبه هو أيضاً ويجوب عليه البلاد كما سيأتي. وليس الغزال وحده من مراكب الجن وإنما عندهم مراكب أخرى وقد عدّدها في قوله:

وبـهـا كنتُ راكبـاً حشـراتٍ ملجمـاً قنفـذاً ومُسـرِجَ وَبْـرِ[2]

---

(1) **الحيوان**، 6/ 235.

(2) البيت السادس والعشرون من القصيدة، **الحيوان**، مصدر سابق، ص 83 - والوَبْر: حيوان بحجم القط من حيوانات الصحراء لا ذيل لها تدجَّن في البيوت. (**اللسان**/ وبر).

والعرب يعتقدون أن الحشرات من المخلوقات التي تركبها الجن فلا يصيدونها[1]. وكذلك الوَرَل وهو زاحف شِبه الضبّ وكذلك النعام والظباء. ثم عدّد الحيوانات التي يحرم الجن ركوبها وبين سبب ذلك فقال:

كنتُ لا أركب الأرانب للحيض ولا الضَّبع إنها ذات نُكرِ

والأعراب يعتقدون أن الأرنب والضبع ليست من مراكب الجنّ لأن الأرنب تحيض والضبع تمارس الجنس مع جثث القتلى.

ثم يتطرق بعد ذلك إلى طعام الجن فيقول:

تأكل (الفُول) ذا البساطة مسيًّا بعد روث الحمار في كل فجر[2]

وأكل الجن الفول معتقد شائع بين العرب وكذلك أكلهم للروث عموماً وقد بحثناه مفصلاً في هذا الكتاب في (أطعمة الجنّ وأشربتهم) فلا داعي لإعادته. وإنما نقول إن الشاعر خصهم بأكل روث الحمار بالذات زيادة في السخرية من هذا المعتقد: وقد تمنّى أن يجعل الله ذلك الروث بيضاً من بيض الأنوق أو النسور.

جَعَل الله ذلك الروث بيضاً من أنوقٍ ومن طروقةِ نَسرِ[3]

وطروقة النسر أنثاه، أما الأنوق فطير يبيض في الجبال العالية فلا يوصل إلى بيضه. وجاء في المثل «أبعد من بيض الأنوق».

وتمضي حياة البهراني مع عائلته المتكونة من زوجته الغول واسمها (هُرير) أو (هَريرة) وأولاده التسعة منها، يكدّ بتوفير المأكل لهم من البلدان البعيدة فيجلب لهم الماء من نيل مصر ويحلّي زوجته من أصداف البحر ويجلب لها الفلفل والعطور:

---

(1) يعتقد العرب أن الحشرات والهوام جميعاً من الجن . وقد حدثت أعظم مقتلة للحشرات في الحرب التي دارت بين قبيلة (بني سهم) وبين (الجنّ) عندما قتل أحد بني سهم شاباً من الجن فثارت الجن وقتلت رجالاً من بني سهم . فصعد بنو سهم الجبال فما تركوا حية ولا عقرباً ولا عظاية ولا خنفساء ولا شيئاً من الهوام يدبّ على وجه الأرض إلا قتلوه حتى ضجّت الجنّ وطلبت وساطة قريش بينهم وبين بني سهم فتوسطت قريش بينهم وانتهى الأمر بالصلح. (ينظر: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** 6/ 712.

(2) البيت الثامن عشر من القصيدة ، ص 82 من **الحيوان.**

(3) البيت التاسع عشر من القصيدة، المصدر نفسه.

جائباً للبحار أهدي لعرسي   فلفلاً مجتنى وهضمة عِطر
وأحلّي (هرير) من صدف البحر   وأسقي العيال من نيل مصر
ويُسَنّى (المعقودَ) نفثي وحَلّي   ثم يخفى على السواحر سحري
وأجوب البلاد تحتي ظبيٌ   ضاحكٌ سِنُّهُ كثير التَّمَرِّي
بحسب الناظرون أني ابن ماءٍ   ذاكرٌ عُشَّهُ بضفّةِ نهرِ[1]

ويفهم من هذه الأبيات أنه يستخدم الظبي في ركوبه إلى تلك البلدان، وهذا الظبي يطير به فيحسبه الناس وهم ينظرون إليه طائراً مائياً يريد الذهاب إلى عشه الكائن في ضفة النهر.

ويفهم من هذه الأبيات كذلك أنه تعلم من الجنّ صيغة السحر بالنفث وحلّ المعقود. وكان يُعتقد أن الساحر لا يكون ساحراً ماهراً إلا إذا استطاع جلب الفلفل من (سرنديب) لذلك ركب الظبي وطار إلى جنوب الهند وجلب العطر والفلفل[2]. وبعد أن جلب ذلك صار من جملة السواحر (يُسَنِّي المعقود) أي يفتح عقدة المسحور بنفثه وتعزيمه.

ثم يقول بعد ذلك:

ربَّ يومٍ أكلتُ من كبد اللَّيث   وأعقبتُ بين ذئبٍ ونَسر[3]

وقصده من أكل كبد الّليث والذئب والنسر هو اكتساب شجاعة هذه الحيوانات حيث كان الناس يعتقدون أن شجاعة تلك الحيوانات تكمن في أكبادها، فإذا أكل شخص كبدها انتقلت الشجاعة إليه، وهذا ما يعرف بالسحر الانتقالي. وبعضهم كان يعتقد بأن شجاعتها تتركز في قلوبها فيعمدون إلى أكل قلب الأسد أو النمر وغيرها من الحيوانات المفترسة لتنتقل إليهم طبائعها.

---

(1) **الحيوان**، 6/ 83، البيت الثامن والعشرون وما بعده.

(2) المصدر نفسه، 6/ 281.

(3) البيت الرابع والثلاثون من القصيدة، المصدر نفسه، 6/ 83.

إن جميع هذه الأمور قد استفاد منها شاعرنا البهراني وكلها من فضل زوجته الغول. ثم ينهي قصيدته بعد أن شاخ وكبر بطلب المغفرة من الله والرحمة بسبب ما ناله من ذلك الفضل المحرّم:

فلعلَّ الإلـه يرحـم ضعـفي ويرى كَبْرتي ويقبـل عذري[1]

الغول في أدب الغرب

من خلال ما كتبته الموسوعة البريطانية عن الغول[2]، يظهر لنا أن أساطيرها الشائعة قبل الإسلام وبعده قد سارت براً وبحراً إلى الغرب الأوروبي، فعرفها الناس هناك باسمها العربي نفسه حيث (تأنكلز) الاسم (Anglicized) – حسب تعبير الموسوعة – ودخل اللغة الإنكليزية بلفظة (ghoul) وهي في قاموس (ويبستر) – حسب القصص الشرقية – روح تسرق القبور وتأكل الجثث واسمها جاء من العربية[3].

ثم أبحرت الغول إلى أمريكا وظهرت في كتابات وقصص الكاتب والشاعر والناقد الأمريكي (أدكار آلان پو) (Edgar Allan Poe)[4] الذي برع في كتابة قصص الجريمة والرعب فاستخدمها في قصصه ووصفها بأنها (ليست رجلاً ولا امرأة وليست وحشية ولا إنسيّة) وتظهر راكبة على الكلاب والأرانب البريّة. وفي الليل تشعل النيران لجذب السُّفار إليها وتحيدهم عن مسار طريقهم الصحيح، ولا ينفك شكلها لا يتغيّر متسماً بحافر حمار.

وتمضي الموسوعة بالقول إنها ترتبط بالسعلاة (Sila) التي هي أنثى أيضاً، والسعلاة يعتقد أنها ساحرات الجنّ.

كما تظهر الغول بشكل دائمي بصورة امرأة جذّابة تحاول أن تغوي المسافرين. وعندما تنجح في ذلك تقتلهم وتأكلهم. أما كيفية الخلاص منها فيكون بضربها ضربةً واحدة تصيب منها مقتلاً ولا تضرب ضربتين لأنها بالضربة الثانية تعود إلى الحياة.

---

(1) البيت الحادي والأربعون من القصيدة، **الحيوان**، 6/ 84.

(2) **Ency. Brita**. Ghoul Item

(3) **New Webster's Dict**. And Thesaurus - ghul

(4) 1809 - 1849

وتقول الموسوعة أيضاً: إن الغول ظهرت في شمال أفريقيا واستوعبت الفولكلور البربري الغنيّ بأساطير الأرواح الشريرة والمخلوقات الوهمية. ويستخدم العرب المعاصرون الغول لإرعاب الأطفال غير المطيعين.

أقول: ولا شك أن هذه المعلومات التي أوردتها الموسوعة عن الغول مستمدة من الفولكلور العربي وخاصة فيما يتعلق بجنسها، حيث أكثر ما تذكر مؤنثةً ورجلها ذات الحافر الحماري ومرافقتها الناس لقتلهم ومراكبها من الأرانب والكلاب[1] وتلوّنها[2] والنار التي تشعلها لاجتذاب السفّار[3] وطريقة قتلها بضربة واحدة لا ضربتين[4] وقد ذكر أن عمر بن الخطاب رآها وهو في طريقه إلى الشام فقتلها بضربة واحدة.

أما ما ذكرته الموسوعة عن أكلها البشر فوارد كثيراً في الكتب العربية التي تحدثت عنها منها ما جاء في كتاب: إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق: أن الغيلان تسكن في جزيرة في البحر، وإذا صادف أن انكسرت سفينة فإنهن ينتهزن فرصة أن يجيء إليهن الرجال الناجون فيتناكحن معهم ثم يقتلنهم ويأكلنهم[5].

كما إنهن يختطفن الأطفال. وفي حديث الأرقم بن أبي الأرقم إن غولاً اختطفت صبياً له وذهبت به[6].

وبالإضافة إلى ذلك فإنها تسرق الطعام وتأكله وقد قدمنا ذلك فلا حاجة لإعادته.

---

(1) **الحيوان**، 1/ 309.

(2) المصدر نفسه، 6/ 158.

(3) المصدر نفسه، 5/ 123.

(4) المصدر نفسه، 1/ 309.

(5) **إكمال الدين وإتمام النعمة**، الشيخ الصدوق، ص 634.

(6) **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، 169/14.

ارتباط السحرة بالأبالسة والشياطين

الساحر عبد الله بن هلال . . مصاهر إبليس

كان عبد الله بن هلال هذا يسكن الكوفة القريبة من بابل القديمة المعروفة بكونها موطن السحر والسحرة.

وذاع عنه بين ناس الكوفة بأنه صديق إبليس وختنه، أي صهر إبليس وزوج ابنته. وكان بعض ناس الكوفة يؤمنون أن إبليس جَدُّه من قبل أمهاته[1]. وكان الشاعر عمر بن أبي ربيعة[2] ينزل بيته بسبب وجود قينتين له تجيدان الغناء فقال عمر في ذلك:

يـا أهل بـابـل ما نفستُ عليكمُ	من عيشكـم إلّا ثـلاث خــلال
مـاءَ الفـرات وطيـبَ ليـلٍ باردٍ	وغنـاء مسمعتيـن لابن هــلال

يريد أن يقول: يا أهل بابل ويقصد أهل الكوفة لأن الكوفة من أعمال بابل، إنني أحسدكم على أمور ثلاثة: طيب بلدكم وبرودة لياليه، وعذب ماء فراتكم والغناء المنبعث من قينتي ابن هلال.

ويبدو لنا من خلال ذلك أن ابن هلال جعل منزله داراً لطالبي اللذة يأتون إليه من مكانات بعيدة، يقضون أياماً فيه تطول أو تقصر، يلهون ويقصفون ويشربون ويسمعون، وكان ذلك غالباً على ثقافة أهل تلك المنطقة.

---

(1) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 190.

(2) 23ـ93 هـ / 644ـ712م.

ويبدو لنا من خلال ذلك أيضاً أن ابن هلال كان خفيف الدين متحرراً من التزاماته التعبدية، فكان يصلي ولكنه يترك صلاة العصر حسبما أُثِر عنه. وكان متعلقاً بأعمال السحر والشعوذة، وكان الانضمام إلى جمعيات السحر والشعوذة سهلاً في الكوفة، حيث كان العمل السحري يمثل الطابع الحياتي لأهلها، فهم ورثة ثقافة (بابل) المنعوتة بقوة سحرها. وكان الناس يذهبون إليها ليتعلموا فَنَّ السّحر. فمن ذلك ما ذكر أن امرأة جاءت عائشة رضي الله عنها فقالت لها: إني ساحرة فهل لي من توبة؟ قالت: وما سحرك؟ قالت: سرتُ إلى الموضع الذي فيه (هاروت وماروت) ببابل لطلب السحر. ثم تحدثت المرأة كيف أنها قابلت هاروت وماروت، وطلبت منهما أن يعلماها السحر، فرفضا أول الأمر تعليمها ولكنها أصّرت فعلماها ففقدت إيمانها وصلتها بالله. فقالت عائشة لها: لا توبة لك[1].

السحر في بابل

وقد ذكر ياقوت (بابَل) قائلاً: إنها ناحية من الكوفة والحِلَّة ينسب إليها السِّحر والخمر[2]. والسحر فيها قديم فجاء في (التوراة) ذمّ البابليين لارتياحهم إلى مُدَّعيات سحرتهم[3]. ولذلك فرضت هذه الخلفية الثقافية للمكان على ابن هلال أن يتعلم طرائق السحر فبرع بها واعتبر واحداً من السحرة الكبار مثل آريوس الرومي ولوهق ابن عرفج وأحمد بن هلال وصالح المديبري وعقبة الأذرعي[4].

خاتم إبليس

ولما كان السحر يعتمد على الطقوس التي يقوم بها الساحر للتوصل إلى الشيطان[5]. فقد مارس صاحبنا تلك الطقوس وحصل على أول مقابلة له مع الشيطان وذلك في أحد أزقة الكوفة، فذكر أنه بينما كان ماشياً هناك إذ أُهريق عَسَلٌ لرجل على الأرض فاجتمع الصبيان يلعقونه ويقولون:

---

(1) **دائرة معارف بطرس البستاني**، مصدر سابق، مادة: سحر.

(2) **معجم البلدان**، مادة: بابل.

(3) **دائرة المعارف** ، المصدر السابق، مادة : سحر.

(4) الفهرست، ابن النديم، ص431، ط. دار المعرفة . بيروت . لبنان.

(5) ينظر: **لسان العرب**، مادة : سحر

- أخزى الله إبليس . . أخزى الله إبليس . .

فقال لهم عبد الله: لا تقولوا هكذا وقولوا: جزى الله إبليس عَنَّا خيراً، فإنه أراق العسل وجَعَلنا نلعقه.

فجاء إبليس إلى عبد الله وقال له:

- إن لك عندي يداً إذ نهيت الصبيان عن سبِّي وأنا أكافئك عليها.

فدفع إليه خاتماً وقال: كل حاجة تبدو لك مقضيّة إذا مسحت على هذا الخاتم. فكان عبد الله إذا أراد شيئاً مسح على الخاتم فيتهيَّأ له إبليس في الحال فيقضي حوائجه.

وهكذا عرف عبد الله بن هلال بأنه (صاحب الخاتم)[1].

السحر الأسود والسحر الأبيض

ولكن هل كان ابن هلال يتعاطى السحر الأسود الذي فيه ضررٌ للناس ويقوم به من أجل التكسب؟

يجيب ابن النديم على هذا التساؤل بقوله: إن عبد الله بن هلال وجماعته كانوا يعملون بـ(الطريقة المحمودة)[2] أي، إنه يتعاطى (السحر الأبيض) الذي فيه منفعة الناس.

وكان الناس يعرفون فيه هذه الصفة فكانوا يأتونه ويطلبون المساعدة منه.

طَلْسَمة القصور

وقد اشتهر عبد الله بن هلال بعمل (طلاسم القصور)، وهذا تقليد كان متبعاً منذ القدم يطلب فيه الملك من السحرة أن يطلسموا قصره أو المدينة التي يبنيها حتى لا يدخلها العدو . . ونجد مثل هذه الطلاسم على بوابة عشتار في بابل، وهي طلاسم حيوانات أسطورية، وفي مدخل نينوى ثيران مجنحة، والحية على باب الطلسم في مدينة بغداد.

---

(1) روى هذه الحادثة ابن المرزبان في كتابه: **فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب**، ص9، طبعة الناشر إبراهيم يوسف.

(2) **الفهرست**، مصدر سابق، ص 431.

وعندما بنى الحجاج قصره في واسط أرسل إلى ابن هلال وطلب منه أن يعمل طلسماً لقصره، فقال له: أنا أعمل فيه شيئاً فلا ترى فيه ما تكره. فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءه عبد الله بن هلال يخطر بين الصفَّين وفي يده قُلَّةٌ مختومة. فقال: أيها الأمير تأمر بالقصر أن يُمسح ثم تدفن هذه القلّة في وسطه فلا ترى فيه ما تكرهه أبداً. فقال له الحجاج: يا ابن هلال وما علامة ذلك؟ قال: أن يأمر الإمير برجلٍ من أصحابه بعد آخر من أشداء أصحابه حتى يأتي على عشرة منهم فليجهدوا أن يستقلّوا بها من الأرض فإنهم لا يقدرون. فأمر الحجاجُ مِحضَرَهُ بذلك فكان كما قال ابن هلال، وكان بين يدي الحجاج مِخْصرةٌ فوضعها في عروة القلّة ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[1]، ثم شال القلّة فارتفعت عن المخصرة فوضعها ثم فكر مُنكساً رأسه ساعة ثم التفت إلى عبد الله بن هلال فقال له: خذ قُلّتك والحق بأهلك. قال: ولم؟ قال: إن هذا القصر سيخرب بعدي وينزله غيري فيحتفر مُحتَفر فيجد هذه القُلّة فيقول: لعن الله الحجاج إنما كان يبدأ أمره بالسحر. فأخذها ولحق بأهله[2].

معالجة الجنون

وذكر أن الحجاج كان جالساً ذات يوم في قصره إذ جاء بعض خدمه فأخبره أن جارية من جواريه – وكان يحبها – أصابها لَمَم (أي جنون) فغمه ذلك ووجّه إلى الكوفة في إشخاص عبد الله بن هلال الذي يقال له (صديق إبليس) فلما قدم عليه أخبره بذلك فقال: أنا أحلّ السحر عنها فعمل شيئاً أزال ما عليها[3].

التقريب بين المحبّين

وكان يستخدم سحره للجمع بين المحبين. فمن ذلك ما روي أن عاملاً (موظفاً) كان يعمل في قصر الحجاج نظر إلى جارية للحجاج فأحبها، فجاء إلى ابن هلال وكان يخدمه فشكا إليه حاله، فقال له: الليلة آتيك بها. فجاءه لما جنّ الليل والجارية معه

(1) سورة الأعراف، الآية: 54.

(2) **معجم البلدان**، 5/ 349.

(3) المصدر نفسه، 5/ 249.

فباتت عنده إلى الصباح وبقيا على هذه الحالة مدةً حتى علم الحجاج بالأمر، فاستنطق الجارية فاعترفت فألقى القبض على ابن هلال وأحضر السيف والنِّطع لقتله. فأخرج عبد الله كُبَّةَ غزلٍ فأعطى للحجاج طرفها وقال له: أمسك هذا حتى أريك عجباً قبل أن تقتلني، ورمى الكبة إلى الهواء وتعلق بالخيط فارتفع، فلما صار على القصر قال: يأمر الأمير بشيء؟ ثم ذهب.

الهروب من سجن الحجاج بسفينة سحرية

وأورد محمد بن المنذر المعروف بـ(شكر) في كتاب (العجائب) شيئاً من أخبار عبد الله منها قصة هروبه من سجن الحجاج. فإنه لما ألقي القبض عليه وسجن قال للسجناء: من يشاء أن ينحدر معي إلى البصرة فليركب هذه السفينة. ثم خطَّ على الأرض مثل السفينة فدخل معه بعضهم وامتنع آخرون، فنجا هو ومن معه في السفينة السحرية.

كتابة الرسائل إلى إبليس

وكان عبد الله بن هلال يكتب الرسائل إلى إبليس يتوسط إليه لقضاء بعض حاجات الناس ثم يختم الرسالة بالخاتم المذكور الذي أعطاه إياه. وأورد ابن المرزبان حكاية بهذا الخصوص مفادها أن جاراً لابن هلال سأله أن يكتب كتاباً إلى إبليس في حاجة له. فكتب إليه الكتاب وأكّده غاية التأكيد، ومضى الرجل فأوصل الكتاب إلى إبليس فقرأه وقبَّلَهُ ووضعه على عينيه وقال: السمع والطاعة لأبي محمد فما حاجتك؟ قال:

- لي جارٌ كريم شديد الميل إليَّ شفوق عليَّ وعلى أولادي، إن كانت لي حاجة قضاها أو احتجتُ إلى قرضٍ أقرضني وأوسعني، وإن غبتُ خلفني في أهلي وولدي يبرّهم بكل ما يجد إليه سبيلاً، وكان إبليس كلما سمع منه يقول: هذا حَسَن، وهذا جميل.

فلما فرغ من وصفه الجار قال: فما تحبُّ أن أفعل به؟ قال: أريد أن تزيل نعمته وتفقره فقد غاظني أمره وكثرة مالِهِ وبقاءه وطول سلامته!! فصرخ إبليس صرخة لم يسمع بمثلها منه قط، فاجتمع إليه عفاريته وجنده فقالوا: ما الخبر يا سيدهم ومولاهم؟ فقال لهم: هل تعلمون أن الله عز وجلَّ خلق خلقاً هم شرٌّ من هذا؟[1]

---

(1) **فضل الكلاب**، مصدر سابق، ص9.

ويقطع ابن المرزبان القصة عند هذا الحد ويترك التكملة لفطنة القارئ الذي يقرأ كتابه (فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) فيقارن بين عطف إبليس وجحود الإنسان.

ترك صلاة العصر إرضاء لإبليس

وكان من طقوس ابن هلال لإرضاء إبليس ترك صلاة العصر له. وترك صلاة العصر هو إحدى الوسائل التي يمارسها السحرة لإرضاء إبليس كما يقول ابن النديم، وكأنما هم يترضونه بما يغضب الله تعالى الذي جعل الصلوات في خمسة أوقات.

وقد سار على منهج (إغضاب الله) عُبّاد الشيطان الجُدد أصحاب المتمرد على الله (أنطون ساندور لافي 1930-1995) حيث إنهم في عبادتهم الشيطان يقومون بإهانة رموز الكنيسة المسيحية، فيكسرون الصليب ويتبولون عليه، ويشتمون السيد المسيح ويبصقون على صورته وما إلى ذلك من أفعال مهينة وهو ما سنفصله لاحقاً.

الساحر عُبَيد مُجّ . . استحضار الشيطان

لا يستطيع أحد أن يلج عالم الخفاء والاتصال بأبطاله أو مقابلتهم إلا بعد أن يتبع قواعد السحر وفنونه المنصوص عليها في كتب السحر المعروفة، وهي كثيرة ومتوفرة في المكتبات وعلى الأرصفة وفي أسواق الكتب الشعبية.

وتقضي التعاليم على الشخص المريد مجاهدة النفس بالرياضة الجسديّة الصعبة وامتلاك قلب ثابت شجاع لا يهتز أو يرتعب عند حضورهم وإلا تعرّض للجنون والخبال ثم الموت.

ويدّعي أكابر أرباب السحر أن التوصّل إلى هذه الدرجة يقتضي ذكاءً مفرطاً فائق الحدّ، ومواظبة وانعكافاً على الدرس والتمرين وجسارةً دائمة وإرادة قوية وكتمان السرّ والتقوى، والصمت الدائم الذي لا يشوّشه شيء من أحداث العالم المحيط به.

وكانوا يختبرون ويمتحنون جسارة الطلبة وقوتهم بتعريضهم للمخاوف المرعبة، فمن أثبت عدم ارتياعه من الحرائق والغرق والزوابع والظلام استطاع أن يتسلط على الشياطين والمردة والجان والأرواح. كما إن من أشراطهم أن يكون الساحر عديم التأثر، رزيناً عفيفاً، عديم الطمع، لا يخاف الضرّ ولا يريعه أمر[1].

---

(1) دائرة معارف البستاني، مصدر سابق، مادة: سحر.

المخدُومون

فمن اكتملت فيه تلك الصفات خدمته تلك المخلوقات فيطلق عليه حينئذ اسم (مخدُوم)، ويقصدون بذلك أنه إذا عزم على الشياطين والأرواح والعُمّار أجابوه وأطاعوه[1]. والمصطلح هذا معروف عند أهل السحر. فقد جاء في (محيط المحيط) أن (الاستخدام) عند أهل السحر: اتخاذ الشيطان خادماً بواسطة رياضة يستعملها الساحر مُدَّةً معلومة تحت شرط معلوم فيزعم أنه استخدم الشيطان[2].

المعزِّمون

ومن شروط الساحر أن يعرف (العزيمة) التي تستجلب الشيطان. والعزيمة نصٌّ سحري فيه قَسَمٌ بأسماء تؤثر في الكائن الخفي فتستحضره إذعاناً لتلك الأسماء.

وجاء في اللسان: (عزائم القرآن): الآيات التي تُقرأ على ذوي الآفات لما يُرجّى من البُرءِ بها. والعزيمة من الرُّقى التي يعزّم بها على الجن والأرواح[3].

ويطلق على مستخدمي العزيمة اسم (المعزّمين) وعددهم بلا شك كثير، وذكر الجاحظ أشخاصاً منهم مثل: عبد الله بن هلال الحميري الذي تناولناه في الباب السابق والذي قيل إنه ختن إبليس. ومنهم كرياش الهندي وعبيد مُج[4] وصالح المديبري نسبة إلى (مدبير) موضع قرب الحلّة المتاخمة لبابل.

وقد ذكره ابن النديم مع عبد الله بن هلال وعقبة الأزرعي وأبي خالد الخراساني في جماعة المعزّمين وقال: إن هؤلاء يعملون بالطريقة المحمودة[5].

أسلوب عبيد مُجّ في استحضار الشيطان

أما عبيد مُجّ فقد كان من المعزّمين الداخلين إلى عالم الجن عن طريق الرياضة الروحية والجسمانية ومجاهدة النفس فكان يقول:

---

(1) **الحيوان**، مصدر سابق، 6/ 198.

(2) **تكملة المعاجم العربية**، دوزي،4/ 33، منشورات وزارة الإعلام العراقية، 1981م.

(3) **لسان العرب**، مادة: عزم

(4) هكذا ضبطه محقق كتاب الحيوان الأستاذ عبد السلام هارون بضم الميم، ولم يعثر له على ترجمة.

(5) **الفهرست**، مصدر سابق، ص 199.

«إن العامر (الجني) حريصٌ على إجابة العزيمة، ولكن البدن إذا لم يصلح أن يكون له هيكلاً لم يستطع دخوله، والحيلة في ذلك أن يتبخّر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري ويغتسل بالماء القراح، ويدع الجماع وأكل الزهومات ويتوحش في الفيافي ويكثر دخول الخرابات، حتى يرق ويصفو ويلطف ويصبح فيه مشابهاً الجنّ. فإن عزم عند ذلك ولم يُجَب، فلا يعود لمثلها فإنّه مِمَّن لا يصلح لأن يكون بدنه هيكلاً لها، ومتى عاد خُبِط فربما جُنَّ وربما مات».

ولدى تحليلنا لهذه الممارسة نجدها تقوم على القواعد التالية:

1- ترويض الجسم لكي يكون هيكلاً صالحاً لدخول الجني فيه أو الشيطان. ومعنى هذا أن عبيد مُجّ يؤمن بالحلول أو (التلبيس) ويقال له في الإنكليزية (Spiritism).

2- للوصول إلى هذه الدرجة ينبغي تطهير الجسم من كل ما ينجّسه ويزهّم رائحته، حتى الجماع يعتبره تنجيساً.

3- تعطير الجسم بالبخورات التي تجتذب الجني.

4- معرفة سير النجوم بمعنى أن يتعلم المريد معرفة مجرى الفلك والكواكب.

5- التوحش في الفيافي والتوحد في الخرابات وهي مواطن الجن والشياطين في المعتقدات السحرية.

وكل ذلك من أجل أن يتحول البدن من حالة الكثافة إلى حالة الرقّة والشفافية، فيصبح مشابهاً للجن التي يعتقد أن أجسامها لطيفة شفافة لا ترى بالعين. فإذا أتمّ المريد ذلك وأتمَّ فترة التأهيل الصعبة صلح بدنه لأن يستقبل تلك المخلوقات الخفية.

وقد كان السحرة منذ القدم يواظبون على مثل هذه الرياضات الصعبة. يقول ابن خلدون: ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذليل[1].

أسلوب الغربيين في استحضار الشيطان

هذا وسيلاحظ القارئ خلال الفصول اللاحقة أن التوصّل إلى استحضار الشيطان من أجل استخدامه يمارس عند الغربيين أيضاً. إلا أن الأسلوب يختلف.

---

(1) المقدمة، ص 498، طبعة مطبعة دار الكشاف . بيروت.

فالشرقيون أمثال عبيد مُجّ وأصحابه استخدموا التطهير في ذلك، بينما سنجد أن السحرة الغربيين يستخدمون أسلوب التنجيس: كممارسة الجنس الجماعي المحرم مع بعضهم البعض وشرب أبوال بعضهم البعض، والتبول على بعضهم البعض، حسبما يفعل أصحاب الساحر الأمريكي المعاصر أنطون ساندور لاڤي في (كنيسة الشيطان)، وكذلك جماعة الشيطان المحدثون في العالم العربي يمارسون التنجيس أيضاً.

وفي القرن الخامس عشر استخدم الساحر الفرنسي (جيل دي رتز) هذا الأسلوب، وذلك عن طريق شرب دماء الضحايا من الأطفال وارتكاب الفحش والفجور كما سنفصله فيما يلي.

الساحر جيل دي راي . . استخدام الشيطان

ويلفظ (جيل دي راي Gilles de Rais) ويلفظ كذلك (Rays). فارس فرنسي شجاع لعب دوراً كبيراً في الحرب الوطنية الفرنسية التي قادتها القدّيسة (جان دارك) ضدّ الإنكليز الذين احتلوا بلادها، وكان في بداية أمره مسيحياً مؤمناً ولكنه ارتد عن ديانته واتبع ديانة عبادة الشيطان، وذلك بعد سقوط القديسة وفشل ثورتها وإحراقها من قبل الإنكليز. لقد فعل ذلك انتقاماً من الله لأن الله خيَّب أمله في نصرة القدّيسة وتركها لمحرقة الإنكليز.

ولد في بريتوني (مقاطعة فرنسية) في مدينة (تشابتوس Chaptoce) في سبتمبر/ أيلول أو أكتوبر/ تشرين الأول سنة 1404م وانتهى معدوماً حرقاً في (نانتيس Nanttes) في 26 أكتوبر/ تشرين الأول سنة 1440م. وقد اقترن اسمه بعد تعلقه بعبادة الشيطان باسم (الرجل ذي اللحية الزرقاء La Barbe bleue).

بدأ حياته العسكرية محارباً ضد الإنكليز، وعندما رفعت القديسة جان دارك علم الثورة ضد الإنكليز تولى القيادة في جيشها وحارب في عدة معارك معها، ثم صار بمنصب حارس لها، وكان معها في حصار الإنكليز لباريس.

ولكن القديسة هُزمت وألقي الإنكليز القبض عليها وحاكموها بتهمة الهرطقة (الإلحاد)، وصدر الأمرُ بإحراقها حيّةً فأحرقت علناً أمام الجماهير فاعتبرها بعد ذلك قومها من الشهداء.

وبعد فشل الثورة انكبّ (راي) على ضياعه الواسعة يديرها، وكان ورث ضياعه من أبيه وجده لأمه (جاي دي لاڤال). ثم جاءته ثروة إضافية من زوجة غنية جداً سنة 1420م.

ولما شاهدت عائلته تبذيره أقامت الدعوى بالحجر عليه، فنجحت في الحكم القضائي الصادر من الملك في يوليو/ حزيران 1435م فمنع من بيع أو رهن بقية أراضيه فكان أن افتقر وأصبح لا يملك شيئاً، لذلك نصحه أصدقاؤه لكي يستعيد ثروته أن يلجأ إلى (الشيطان) وأن يستخدم (السيمياء)[1] و(السحر) فاستقدم أعظم السحرة والسيميائيين حتى غدا قصره معهداً للسيمياء والشعوذة.

ثم حمله أصحابه السحرة على أن يلتمس (محالفة الشيطان) بطريقة المراسلة -ويبدو أنها الطريق نفسها التي اتبعها الساحر الشرقي عبد الله بن هلال- فوجّه رسالة إلى الشيطان وقّعها بدمه يلتمس منه (العلم والقوة والمال) متعهداً نظير ذلك القيام بكل ما يطلبه منه سوى الحياة والروح. ثم ألقى الرسالة في مرجٍ من مروج (مشكول)، وبقي ينتظر ظهور الشيطان ولكن الشيطان لم يظهر ولم يجبْ رغم التضرعات التي سيقت إليه والطقوس التي أقيمت لذكره.

عندئذ عكف على استعطافه بالوسائل التي يحبها الشيطان نفسه، ومنها إقامة القداس الأسود والإمعان في ممارسة المحرمات الدينية وارتكاب الفحش والفجور وإراقة الدماء البشرية والتضحية بالأطفال بخاصة. فأرسل أعوانه في جميع البلاد يسرقون له الأطفال، وقد ذكر أنه اغتال أو ضحى بأكثر من (140) طفلاً بين سنة 1432 و1440م.

وكان يقوم بنفسه بتعذيب الأطفال وإزهاق أرواحهم بأبشع الأساليب. فضجَّ أهل الأنحاء من هذه الجرائم واستعانوا بالسلطات الكنسية والمدنية. ووصلت إلى أسقف (نانتز Nantz) عدة بلاغات سرّية عما يرتكبه راي من الفسق والفجور وسفك الدماء. وثبتت له الحقيقة من تحرّياته السرية فسعى إلى البابا بإصدار قرار كنسي بأن

---

(1) **السيمياء**: نوع من أنواع السحر المعقد يسميه ابن خلدون بـ(علم أسرار الحروف)، واستعمل بهذا المعنى عند غلاة المتصوفة الذين قالوا إنهم قادرون على التصرف في العالم الطبيعي بهذه الحروف والأسماء والأشكال الناشئة عنها . للتفصيل انظر: (**دائرة المعارف الإسلامية المترجمة** / مادة سيمياء. والكلمة عبرانية الأصل مركبة من (**شم**) أي اسم و(**يه**) أي الله .



جيل دي راي

(جيل دي راي) (قد احتوى عليه الروح الخبيثة ونسِيَ سلامه) فألقي القبض عليه في سبتمبر/ أيلول سنة 1440 وقدم أولاً للمحاكمة الكنسية ثم المدنية بتهمة الكفر والرِّدة والاتصال بالشياطين وقتل الأطفال.

بدأت محاكمة (راي) في أكتوبر/ تشرين الأول من سنة 1440م وكانت لائحة الاتهام طويلة، أسند فيها إليه انتهاك حرمة الدين ومحاولة الاتصال بالشيطان وقتل الأطفال تقرباً إليه وتدنيس الهواء الذي يستنشق والفجور وتدنيس القداس[1] وغيره من رسوم الكنيسة وقراءة الكتب المحرّمة وغيرها.

ثم وُصف الماريشال راي بأنه كافر فاسق أخٌ للأرواح الخبيثة، مشعوذ قاتل للأطفال مزاول للسحر وغير ذلك.

ثم أصدرت المحكمة حكمها بإدانة الماريشال. فثار الماريشال بادئ الأمر ورفض أن يعترف بذنبه، وعندما هدّد بالحرمان الكنسي لم يعترف بالمحكمة وأعلن نفسه بأنه ليس مذنباً. غير أنه عاد بعد ذلك بيومين خاضعاً ذليلاً باكياً واعترف بجرائمه

---

(1) القداس: طقس كنسي يقيمه الكاهن في الكنيسة يمثل ذبيحة جسد المسيح ودمه يقدّمان على الهيكل تحت شكلي الخبز والخمر والكلمة من الآرامية (Qoudosha). **المنجد**، مادة: قدس.

اعترافاً تاماً، (وكان الاعتراف هائلاً مروعاً حتى إن القضاة والكهنة الذين اعتادوا الوقوف على أشنع الأسرار والجرائم ارتجفوا رعباً لتلك الأمور التي لم يسمع بمثلها).

ثم صدر الحكم بحرمان الماريشال من الكنيسة للهرطقة وحكم عليه بالموت من قبل المحكمة المدنية من أجل الاغتيال، فشنق وأحرق في اليوم نفسه[1].

---

(1) عن: Ency. Brita. Rais Item، وتاريخ الجمعيات والحركات السرية الهدامة، محمد عبد الله عنان، ص 68.

الفصل العاشر:

الديانة الشيطانية الجديدة

تمهيد:

لا شك أن ذهن القارئ سينصرف إلى عبدة الشيطان في العراق الذين أطلق عليهم قديماً اسم (اليزيديين) وحديثاً اسم (الإيزيديين). وفي الواقع ليس هؤلاء هم المعنيون ببحثنا - وإن كانت الديانة الجديدة تستمد منهم بعض طقوسياتهم - وإنما الذين نحن بصددهم أتباع داعية أمريكي اسمه (أنطون لاڤي) أو (ليڤي)، دعا الشباب في العالم إلى نبذ عبادة الله والتمسك بعبادة نقيضه الشيطان.

لقد استطاع الرجل بما يمتلك من ثقافة دينية واسعة مطلّة على الأديان المهمة في العالم الشرقي والغربي أن يأخذ منها ما يتعلق بشخصية الشيطان، وهو فيها إما منبوذ أو معبود، فيصوغ منه صنماً للفتنة، فسحر به الشباب بخاصة، فعبدوه يأساً من عبادة الله التي مسخها الكهنة ورجال الدين.

ووصلت عبادة الشيطان إلى العالم العربي فسارع الكثير من الشباب إلى السقوط في هذه العبادة فحدث ما سنعرضه لاحقاً.

أنطون لاڤي Anton Lavey مؤسس الديانة

هو جنس من الرجال لا يستطيع أحدٌ ممن رآه أن يتخيَّل شخصاً أقرب إلى الشيطان منه. برأس حليق كرؤوس العمالقة في منازلات المصارعة الوحشية، ولحية سوداء كلحية (ميفستوفيلس Mephistopheles) أحد شياطينه التي تُعبد في كنيسته.



أنطون لافي ورموزه الشيطانية

وقد جعلها تصعد بشكل خطين رفيعين نحو شفتيه فتحيط بهما. عيناه ذواتا اللون الكهرماني تظهرانه بصورة أقرب إلى الأسد منه إلى الإنسان. وقرطه الذهبي الدائري في أذنه اليمنى يهيّئه للظهور بمظهر أبناء الغجر أو قراصنة البحار. ويحسبه الكثير من الناس كأحد الأرواح الشريرة التي تظهر في كوابيسهم أو كأحد الجلادين القدماء حليقي الرؤوس الذين كانت مهمتهم إعدام المحكومين.

لقد كان شكله مزيجاً من عدة أشكال: فرنسي، إلزاسي ألماني، روسي وروماني باختصار قد كان صاحب مظهر وحشي بربري وقيل عنه إنه أخطر رجل في العالم[1].

ولد في ليلة مظلمة عاصفة من يوم 1930/3/11 في شيكاغو بالولايات المتحدة، وقضى أكثر سني طفولته في القرى المجاورة للمدينة حيث تعوّد على الانطلاق في تلك البراري الحرّة والمستنقعات الموحشة قبل أن تصبح تلك المكانات عمارات وأسواقاً تجارية.

---

(1) The Secret life of a Satanist. Blanche P. 5 . The Intruduction.

نشأ (Tony) وهو اسمه في الطفولة من أمٍّ وأبٍ يعمل موزعاً لشراب الليكور (Liqueur)[1] وبمرور الوقت عندما أصبح في السابعة تشرَّب بالحكايات الخرافية وثقافات الشعوب البدائية مما أثّر ذلك في أفكاره المستقبلية.

ولما لم يكن يفهم ما يقرؤه بسبب صغر سنه راح يسأل جدّته لأُمه التي ولدت من أبٍ غجري وأم يهودية. وقد أخذ من جدته خرافات ترانسلـڤـانيا المتعلقة بالوحوش العملاقة والخفافيش مصاصة الدماء والأشخاص الأسطوريين كدراكولا الذي يمتص دماء الناس وما إلى ذلك من أحاديث. وقد وجَّهته جدته إلى قراءة قصص (الأبوكريڤا)[2].

وقد دمجته كل تلك الثقافات مع عقيدة الكنيسة التي أسسها في ليلة 30 أبريل/ نيسان 1966 وهي ليلة الأول من مايو/ أيار، ليلة عيد القديس والپورجا (Walpurga night) حيث يعتقد أن في هذه الليلة تقوم العرافات والساحرات بالعربدة والقصف والسكر ومراقصة الشيطان وأطلق على كنيسته اسم (الكنيسة الشيطانية The Satanic Church).

وكان لظهور أنطون لاڤـي في التلفزيون الأمريكي أثر في جذب المتشككين في عقائدهم والمتحولين عن العقيدة المسيحية إليه، وكانوا ليس أكثر من بضع مئات من الأعضاء[3].

ثم راح يجعل بيته ككنيسة تقام فيها الطقوس المبهجة من حفلات داعرة من المجون والشرب، الأمر الذي يجعلنا نستعيد -رغم بعد الزمان والمكان- صورة بيت الشيطاني الكوفي عبد الله بن هلال الذي جعله موطناً لطالبي اللّذة والشرب والعربدة.

وكان اللون السائد في بيت أنطون لاڤـي هو اللون الأسود وقد جذب إليه بعض مشاهير الفنانين كالممثلة الهوليوودية الشهيرة (جين مانسفيلد) والممثل الشهير (سامي دافيز) فانضموا إلى الكنيسة السوداء، وكان هو يظهر أمامهم ببزّة سوداء أيضاً، فأطلق عليه الكثير من أتباعه اسم (البابا الأسود).

---

(1) شراب مسكر معطّر ومحلّى.

(2) الأبوكريـڤـا كلمة يونانية تعني (الخفيّ) أو (السري المكتوم) والأسفار الأبوكريـڤـية هي كتابات يهودية ومسيحية ذات طابع سرّي. (**المحيط الجامع**، مصدر سابق، ص4).

(3) **Ency. Brita**. Church of Satan Item

وقد سجّل (لافي) جميع تعاليم كنيسته في كتاب عنوانه (The Santanic Bible) (الكتاب الشيطاني) وهو عنوان اتخذه من (بايبل) الكنيسة الذي يضم بين دفتيه التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد). ثم طبعه سنة 1969 بغلاف أسود، تحلّيه دائرة كبيرة في وسطها دائرة أصغر، وفي داخلها نجمة خماسية متقاطعة الخطوط، ينتج من تقاطعها فراغ مضلّع رسم في داخله وجه تيس أسود وهو وجه الشيطان التقليدي عندهم، وهو شعارهم الذي يرسم باللون الأحمر عادة[1]. وقد اتخذه شباب (الإيمو) فيما بعد شعاراً لهم.

ويتألف الكتاب من (272) صفحة من القطع الصغير[2] ثم ألّف كتاباً آخر سماه (الطقوس الشيطانية The Satanic Rituals) وهو ملحق بالأول وهو عبارة عن الطقوس بصورة مفصلة مع نصوص إنشادية ويتألف من (220) صفحة من القطع الصغير[3].

كما أن له ثلاثة كتب أخرى لم أستطع الحصول عليها هي :

الساحرة الشيطانية ومفكرة الشيطان والشيطان يتكلم.

وله أيضاً مقالات عديدة منها: التصريحات الشيطانية التسع. الأحد عشر قانوناً للشيطان في الأرض. الذنوب الشيطانية التسع. أقوى دين في العالم: الشيطانية. كيف تنطق لغة الشياطين. رسائل من الشيطان. وغير ذلك من المقالات.

وفي خلال السنوات الأولى من عمر كنيسة الشيطان، سمح لافي بتأسيس القاعات العامة أو: (الكهوف) (Caves) حسب تسميته لها، فانتشرت هذه الكهوف في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

ولم يستمر الوضع على حالة الانسجام وبقاء (لافي) كرئيس لجميع المنظمات الشيطانية إذ جرى انشقاق فيها حيث انفصل عنه أحد أعوانه وهو (ميخائيل أكيونيو)

---

(1) كان الشيطان في لاهوت النصارى في القرون الوسطى يمثّل بصورة شخص أسود اللون له عينان ملتهبتان ويخرج منه رائحة كبريتية وله قرون وذنب وأظلاف منقسمة. (**دائرة معارف البستاني** / مصدر سابق / مادة شيطان).

(2) حسب طبعة (Avon) في مطابع (Collin) وقد كتب مقدمته المجوسي (Peter H. Gilmore) وسعره 7.99 دولاراً.

(3) طبع بالمطبعة نفسها.

الذي أسس معبداً منافساً هو (معبد ست) (Temple of Set)، نسبة إلى معبود فرعوني شهير، يعرف بهذا الاسم، وكردَّة فعلٍ لهذا الانشقاق فكّك لافـي جميع الكهوف ولكن الكنيسة استمرت كمؤسسة حرّة بأعضاء فرديين مرتبطين بمراكز القيادة الرئيسية.

وفي سنة 1997 بعد موت لافـي أصبحت (بلانش بارتون Blanche Barton) رئيسة للكنيسة الشيطانية[1].

شياطين أنطون لافي

يقول أنطون لافـي في (بايبله الشيطاني) إن اللاهوتيين أوردوا في قوائمهم بعض أسماء الشيطان، ولكن الجدول الآتي يحتوي على أسماء الشياطين الأكثر تأثيراً والتي تستخدم في طقوس العبادة[2].

ولدى الاطلاع على هذه القائمة نجدها مرتبة حسب الأبجدية الإنكليزية، وتضمُّ سبعة وسبعين اسماً للشيطان المعبود عند غالبية الشعوب والديانات في العالم، وهي عبارة عن آلهة وإلهات ذكوراً وإناثاً وقد وضع أمام كل اسم مرجعه اللغوي ومكان عبادته.

وتتصدر القائمة أسماء أربعة شياطين وشيطانات رئيسية سماهم (أميرات الجحيم المتوّجات الأربعة The Four Crown Princes of Hell) وهم:

1ـ الشيطان Satan من اللغة العبرية.

2ـ لوسيفر Lucifer من الرومانية.

3ـ بليعال Belial من العبرية.

4ـ ليفياثان Leviathan من العبرية أيضاً.

والاسم الأول والثالث شيطانان ذكران، أما الثاني وهو (لوسيفر) فشيطانةٌ أنثى وهي نجمة الصباح وقد تقدم تعريفها.

Ency. Brita. Church of Satan Item (1)

The Satinic Bible P. 57 (2)

أما (ليفياثان) فهو من الحيوانات المائية العملاقة وقد اختُلف في نوعه، فقيل إنه التمساح، وقيل إنه جَبّارٌ من جبابرة حيوانات البحر كالحوت وغيرها، وقيل إنه يرمز إلى فرعون[1].

وقد ورد اسم (ليفياثان) بلفظ (لَوِياثان) في (سفر أيوب)[2] واحتج به أيوب على قدرة الله تعالى على خلق أشياء مرعبة قوية تذل الظالم.

وجاء في السِّفر نفسه مخلوق آخر اسمه (بهيموث) أي: البهيمة في العبرية[3] ويتبين من وصفه أنه قد يكون فرس نهرٍ أو وحيد قرن، وهو رمز إلى قوة الشرّ التي لا يقدر عليها سوى الله[4]. ونظراً إلى أن الحيوان يرمز إلى قوة الشر فقد أخذه لافي وجعله ضمن قائمة الشياطين المعبودة، حيث إنه يبحث عن كل رمزٍ من رموز الشرّ فيأمر بعبادته.

وعلى هذا تكون تشكيلة شياطينه تشكيلة غريبة من المخلوقات المنفرة والشريرة المرعبة كـ(بعل زبوب Baal Zabub) أي إله الذُّباب وهو إله كنعاني كان يُعبد في (عقرون) وأطلق اليهود عليه اسم (بعل زبول) أي إله الأقذار وذلك بسبب احتقارهم لآلهة الكنعانيين خصومهم[5].

وبعض معبوداته ذئاب مثل (Fenriz) الإله التيوتوني وبعضها ثعابين مثل (Midyard) وهو ابن الإله السابق ومن معبوداته قطط مثل الإلهة (باست Bast) إلهة مصرية معبودة تجسَّدَت بشكل قطة.

وبعض هذه الشياطين جسدت بشكل طاووس مثل (Melek Taus) شيطان اليزيديين الملقب بـ(طاووس الملائكة) لشدة عبادته الله قبل سقوطه فاستعاره (لافي) منهم وأمر أتباعه بعبادته وبقراءة كتاب (الجلوة) كتاب اليزيديين المقدس[6].

---

(1) **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست، مادة: لوياثان.

(2) انظر **سفر أيوب**، 41/1.

(3) **سفر أيوب**، 25/40.

(4) **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، مصدر سابق، مادة: بهيموث.

(5) **معجم الحضارات السامية**، مصدر سابق، ص 231.

(6) **The Satanic Bible**. P. 161

وقد أخذ من البابليين آلهتهم فمسخها شياطين مثل (مردوخ Marduk) سيّد آلهة بابل و(نيرجال Nergal) قال عنها إنها إلهة هاديس أرض الموتى. والإلهة (عشتار Ishtar) إلهة الخصب البابلية جعلها إلهة للجحيم بسبب ما ذكر من أمر نزولها إلى عالم الموتى لإنقاذ زوجها تموز من شياطين العالم السفلي.

ومن شيطاناته (ليليث Lilith) التي ورد ذكرها في أعراف الربانيين اليهود، وقد تكون ذات أصلٍ آشوري وقد فصّلنا عنها فيما تقدم.

ومن شياطينه المعبودة (أهريمان Ahriman) إله الشرّ المزدكي الفارسي. كما جعل (الشيطان Shaitan) باسمه الإسلامي معبوداً أيضاً ويقابل (Satan) ذا اللفظ العبراني و(Saitan) في اللغة (الأينوكية) وهي لغة سحرية تستعمل في العبادة الشيطانية اخترعها الساحر والمنجم المشهور في القرن السادس (John Dee)[(1)].

ثم أخذ (لاڤي) من الهنود أقبح آلهتهم المعبودة وهي (كالي) الخناقة التي تقتل ضحاياها بطريقة خنقهم، وعبادها يطلق عليهم اسم (الثوج)، وقد عانى منهم العراقيون شراً عظيماً منذ العصر العباسي وحتى الاحتلال الإنكليزي للعراق ويعرفون باسم (الگورگه)[(2)].

وهكذا تتنوع الشياطين في القائمة، وكل الشياطين الذين فيها يعتبرون مقدسين ومعبودين في ديانة أنطون لاڤي. فإذا نادى الشخص باسم أحدهم مستجيراً به مستعيناً بحوله وقوته فإن جميعهم يهرعون إلى نجدته . . هكذا يقول أنطون لاڤي.

كما يعترف بأن طقوس الشيطانية خليط من مبادئ منظمات وفلسفات مختلفة كالغنوصية والكابالية والهرمسية السحرية والماسونية السرية، وتتحد في مصطلحات وألفاظ فضفاضة متحركة تعبّر عن قوة الشرّ وعلى هذا يكون من السهل إدراك المعاني الباطنية للثقافات المختلفة. وإليك نصٌّ من نصوص صلواتهم إلى الشيطان:

«باسم الشيطان حاكم الأرض وملك العالم أدعو جيوش الظلام لكي تسبغ عليّ قواها اللامتناهية.

---

(1) ibd. 155

(2) للمزيد عنهم ينظر كتابنا: **الخناقون ورسيس القتل الطقسي**.

افتحوا - أيتُها الشياطين - أبواب الجحيم على مصاريعها وتقدموا من الهاوية إلى الأمام لكي تحيّوني كأخٍ لكم (أو أخت) وكصديق.

امنحوني الغفران لما سأقول: لقد اتخذت اسمكم كجزءٍ مني فأنا أحيا كوحوش الحقول فرحاً بالحياة الشهوانية، أستعطف الإنصاف وألعنُ الفساد، بحق كلّ آلهة الجحيم آمر تلك الأشياء التي تكلّمت عنها أن تمحى. اخرجوا واستجيبوا لأسمائكم لتحقيق أمنياتي».

وهذا النوع من الصلوات يقال لها في مصطلحات السحر الشعبي الإسلامي (التعزيم). والإنسان يعزم على الشياطين والأرواح والعمّار. وإذا عزّم عليهم أجابوه وأطاعوه وإذا صار إلى ذلك سمي (مخدوماً). وأشهر المعزّمين كرباش الهندي وصالح المديبري وعبد الله بن هلال الحميري الذي كان يُقال له (صديق إبليس)[1].

صلاة مجوسيٍّ للشيطان:

وردت هذه الصلاة في كتاب من الكتب الخفيّة عنوانه (كتابي سِياه) (Ketabe Siah) وقد ترجم من الفارسية إلى الإنكليزية بالاسم الفارسي نفسه الذي معناه (الكتاب الأسود). ومؤلفه كاهن مجوسي فارسي اسمه (تْسِرك سوسيج) (Tsirk Susej) وهو أحد كهنة المعابد الشيطانية، وقد أطلق على نفسه لقب (كاهن سيد الظلام)، والمقصود بسيد الظلام الشيطان كمعاكسة لسيّد النور الذي هو حسب التقليد المجوسي (أهورا مزدا) أو (أهوار مزد).

والكتاب يتألف من (469) صفحة كلها أدعية وصلوات موجهة إلى الشيطان. ولم يذكر في الكتاب اسم المطبعة التي طبعته بسبب ما يبدو أنه من الكتب المحرّمة التي يخشى التصريح باسم طابعها.

يقول (سوسيج) في صلاته:

«المجد لك أيها الواحد

---

(1) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الثعالبي، ص 57، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1384هـ / 1965م.

القرمزيّ الذي يلتمع في أحلك الظلمات

الذي هو إله العالم

وأمير قوى الظلام

وأمير صولة العاصفة

آه أيها السيد المبارك

ظلالك الأبدية هي نور حياتي

في كلٍّ من جسدي وروحي

إني أعتبِرُ اسمك كجزءٍ من ذاتي

وأتمجَّدُ بروحك،

لأن ظلال سيّد الظلام

حبٌّ ودفء

وهناك النور الذي لا يفنى

يا ملك الأرض الجبّار

يا سيد الظلام القهّار

يا ملك الليل القوي

لك التمجيد إلى الأبد . .

آمين»[1]

ولا نعرف شيئاً عن هذا المجوسي مؤلف الكتاب، غير أننا نعرف عن المجوس (Magus) بأنهم كهنة زرادشت وكانوا يؤلفون أيام الساسانيين طبقةً دينية مميزة. أما الكائن الذي توجّه إليه في الصلاة فهو (أهِرمَنْ Ahir man) روح الشرّ عند الفرس، وكانوا يعتقدون أنه يحكم العالم وفي العالم مبدآن متضادان متخاصمان وهما روحان

(1) Ketabe Siah. P.2

أحدهما صالح والآخر شرّير، فالأول صانع كل خير وينبوع النور ومَلِكُه، والثاني صانع كل شرّ وهو مبدأ الظلام وصانعه ومَلِكه. واسم الأول (أورمزد) أو (أهورا مزدا) والثاني (أهرمن) روح الشر عندهم ومبدؤه، وهذان المبدآن يقعان في خصام دائم ومِن غَلَبة الواحد على الآخر بالتبادل يومياً ينتج خيرٌ وشرٌ يتبادلان وهما النور والظلام أو النهار والليل. الأمر الذي يخالف مبدأ الديانات التوحيدية حيث الليل والنهار في الإسلام من صنع الله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1] وفي التوراة: أمر الله: ليكن نور فصار نورٌ فاستحسنه وفصل بينه وبين الظلام وسمى الله النور نهاراً أما الظلام فسمّاه ليلاً[2].

ويذهب المجوس إلى القول بأن الله تعالى هو النور الأعلى وهو (يزدان)، وأن الشيطان من جنس الظلمة وهو (أهرمن)[3].

وقد عرف عن المجوس نكاحهم للمحارم كالأم والأخت، ولذلك اعتبرهم (أنطون لاڤي) كروافد تَصُبُ في ديانته التي تقوم على الإباحية والزنى بالمحارم. وهو بذلك يضادد الديانة المسيحية التي تحرِّم هذا النكاح وكذلك اليهودية والإسلامية.

لقد أخذ لاڤي من كل الديانات التي تعاكس الديانة التوحيدية وتقدس الشيطان حتى البعيدة عنه كيزيدية العراق، أخذ منهم كتابيهم وترجمهما إلى الإنكليزية وهما (مصحف رش) و(كتاب الجلوة)، ثم تعبد لشيطانهم المسمى (طاووس ملك) على غرار طقوس عبادتهم مع بعض التحوير الذي رآه ملائماً لجماعته كما سنراه فيما يلي.

طقس تعبدي لشيطان اليزيديين

يبدأ الطقس - حسبما قرر لاڤي ترتيباته - بعد ساعة من الغروب في إحدى حجر كنيسة الشيطان. يدخل المجتمعون الحجرة ويجلسون على مخادّ موضوعة على الأرض بشكل نصف دائرة مقابل ملك طاووس (Melek Taus) أو طاووس ملك.

---

(1) سورة فصّلت، الآية: 37.

(2) سفر التكوين، 3/1.

(3) رسائل الشريف المرتضى، 2/ 284.

ثمة ماء يجري فوق صخور محيطة بالسنجق (Sanjak) (وهو تمثال يرمز إلى طاووس ملك) ويصبّ في بركة تقع تحت الجالسين. البخور يحرق في مباخر موضوعة على كل ركن من أركان المعبد.

(القوالون) (Kawwals) الموسيقيون يقفون بمواجهة جدار المعبد العمودي يعزفون مقدمة موسيقية على أنغام المزمار (Flute) وإيقاعات الطبول والطنبورات.

ملاحظة: بما أن الاستجابة العاطفية هي عنصر أساس خلال إجراء طقوس معينة، فإن الأمريكيين والأوروبيين يحتاجون إلى موسيقى من أنواع ملطّفة. وهناك تختار من هذه الموسيقى مقطوعات من أعمال (يرودين) و(كوي) و(رمسكي كورساكوف) و (ايبولتيف إيفانوف). ويمكن أن تتخللها مجالات للهزل).

ثم يقف الكاهن أمام (المقام) ومساعدوه عن يمينه وعن شماله ورأس الكاهن حليق. والموسى الذي استعمل في حلاقته كان مسبقاً قد طُهّر بماء زمزم السحري (The magical water of zamzam).

تتوقف جميع الموسيقى. جرسٌ يدقُ دقة واحدة ويأخذ المزمار بالعزف بصوتٍ خافت وبطيء، بينما يأخذ الكاهن بالتعزيم بقراءة نص (المفتاح الإِينوكي الثالث) (The Third Enochian Key) الموجود في الكتاب الشيطاني (The Satanic Bible).

وعندما ينتهي الكاهن من التلاوة يتوقف عزف الناي وتبدأ فترة صمت ويدق الجرسُ ثانية.

بعد ذلك يأخذ الناي بالعزف بينما يقوم الكاهن بقراءة نصوص من كتاب (الجلوة Al-Jalwah) ومن الكتاب الأسود (The Black Book) الذي يطلق عليه اليزيديون اسم (مصحف رش)[1].

إضاءة على مصطلحات الطقس

1 - طاووس ملك:

طاووس ملك (Malak Taus): هو الشيطان حسب عرف اليزيديين، وهو خالق الشرّ ومسبّبه، ولهذا يتحاشون ذكر اسمه فيكنون عنه باسم (طاووس ملك). ولا يجوز

---

(1) The Satanic Rituals, Ibd, P. 159

التلفظ بكلمة شيطان ولا أية كلمة فيها حرف من حروفه مثل (شط، بط، نط، حط إلخ) وإذا قال أحدهم شيطان حلَّ قتله، وإذا لعنه حَلَّ قتله كذلك. وهم في هذا التقليد يشبهون تحاشي اليهود ذكر اسم إلههم (يهوه) فيكنون عنه بأحد أوصافه مثل (شدّاي) أي الشديد.

وأذكر عندما تأسس مجلس النواب في العراق بعد الاحتلال الأمريكي سنة (2003) كانت كل الطوائف ممثلة فيه ومنهم اليزيدية، فكانت جلسة المجلس تفتتح في العادة بقراءة آي من القرآن الكريم مسبوقة بجملة الاستعاذة المعروفة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، فاعترض النواب اليزيديون على ذكر هذه التعويذة وطلبوا حذفها والابتداء ببسم الله الرحمن الرحيم.

أما ترميز الشيطان بالطاووس فراجع إلى إيمان اليزيدية بأن الشيطان هو الطاووس الذي طرد من الجنة حسب حكاية آدم والحية والطاووس.

أما مبدؤهم في عبادة الشيطان فينطلق من حقيقة كون الله إلهاً صالحاً ولا حدَّ لحدود صلاحه ولا حدَّ لحدود محبته للخلائق لهذا فهو لا يفعل الشرّ. أما الشيطان فهو منقاد طبعاً إلى عمل الشرّ لأنه مصدر الشرّ ومبدؤه. وعلى ذلك فالفطنة تقضي على من يريد سعادة الحياة أن يهمل عبادة الله الصالح بطبيعته، الذي لا يشاء عمل الشرّ ويطلب ولاء الشيطان وحمايته تخلصاً من أذاه[1].

2 - طاووس مَلَك في عبادة الصابئة المندائيين:

وقد جاء ذكر الطاووس كملك في كتاب الصابئة المندائيين المقدس (دراشة أديهيا) أي (تعاليم يحيى)، جاء بصورة واعظ يعظ الناس ويقف عند الجانب الآخر من اليَمِّ (الموج) والمقصود البحر يقول:

(من يشبهني؟

من هو شبيهي؟

---

1) **اليزيديون . . حاضرهم وماضيهم**، عبد الرزاق الحسني، ص46.

جعلوني حارساً عند نهاية العالم

حتى تفنى الأرض ويفنى أبناء الظلام

ويحجب عنهم نبع ماء الحياة.

أنا طاووس، أغضبت آبائي

فجعلوني حارساً عند نهاية العالم

إذ خامرني الشكُّ وارتاب قلبي)

وهو يشير بهذا إلى عصيانه ولكنه في النهاية يعود إلى الرشد وينصح الأسياد ويقول لهم:

«كلُّ من أساء يصبح خاسراً وتثقله الحياة

الأخرى بالمتاعب. وعندما سمع

آبائي حديثي كتبوا لي رسالة العهد وأخبروني

أن الحياة العظمى ستمنحني الهدوء وصفاء

الفكر. وستنطفئ النار التي تتقد في أعماقي

بعدها هدأت وابتدأت القوة تعود إلى

قلبي فَسَجَدتُ للخالق العظيم وسبّحتُهُ حتى النهاية»[1]

ويقصد الصابئة بالطاووس الملاك (يوشامن) وهو ملاك (أثرا) يمثل الحياة الثانية في تكوين الخليفة السماوية في حين يمثل (أثرا) الحياة الثالثة.

وتصف النصوص المندائية هذا الملاك بـ(الملاك الطاهر) (يوشامن دخيا) فمقامه يقع عند كنوز النور، عند المنابع العظيمة للحياة. وقد جلا سِرَّ الحياة. وهو مساعد للنفس ويلقب بالطاووس لغروره[2].

وعلى هذا يكون الطاووس معبوداً لدى الصابئة كذلك.

---

(1) كتاب: دراشه أديهيا، ص 217، ط. الأولى، بغداد 2001م.

(2) المصدر نفسه، ص 219 وما بعدها.

3 - السَّنجَق (Sanjak):

هو تمثال يرمز إلى طاووس مَلَك. يتكون مما يشبه الشمعدان يقف فوقه طائر يتخيلونه طاووساً. وهو حسب ما صُوِّر في المؤلفات العربية الأخيرة على هيئة (بطة) بلا أرجل تقف على شمعدان فيه ما يشبه الكأس. وكان لدى اليزيديين سبعة سناجق يرمزون بكل واحدٍ منها إلى إله من آلهتهم السبعة ويطوفون بهذه السناجق في المناطق التي يكثر فيها اليزيديون.

4 - هم (يزيدية) وليسوا (إيزيدية):

وقد ظهرت في الأيام الأخيرة تسمية لهم باسم (إيزيدية) نسبة إلى إله قالوا إنهم يعبدونه اسمه (إيزيد). ولكن هذه التسمية رُفضت واعترض عليها. جاء ذلك في المادة الأولى من (الدستور العدوي) المعدّل. حيث تقول المادة ما نصُّه:

(لقد تقرر اسم ملّتنا والمؤمنين باسم (يزيدية) بدلاً من شمسانية أو إيزيدية أو برهمية أو عدوية أو زردشتية أو أوسية أو فرزية أو إسماعيلية أو صوفية)[1].

ويبدو أن أنطون لاقـي اتخذ هذه التسمية لهم تبعاً لدستورهم أو تبعاً للتسمية الشائعة عنهم قديماً.

5 - تأليه يزيد بن معاوية:

وهم عند كثير من الباحثين وكذلك الناس الذين يعرفونهم ويجاورونهم أنهم يؤلهون يزيد بن معاوية. وقد عَلّل الأستاذ عباس محمود العقاد ذلك فقال:

(وغير بعيد أن يكون اسمهم منسوباً إلى يزيد الخليفة الأموي لأن النزاع بين الكرد والفرس قد فرّق بين عصيانهم في السياسة وفي الدين، فكان الكرد من غلاة السنيين وكان الفرس من غلاة الشيعة، وربما كانت الطائفة الكردية التي تؤله (يزيد) في صورة الإله الأرضي مقابلة للطائفة الفارسية التي عرفت باسم (علي إلهي) لأنها تغلو في حب الإمام علي رضي الله عنه إلى حدّ العبادة)[2].

---

(1) **اليزيديون**، د. سامي سعيد الأحمد، 1/ 143.

(2) كتابه: **إبليس**، ص 163، ط. الثانية 1969، بيروت . لبنان.

بينما ينفي الباحث (جورج حبيب) فكرة تأليه يزيد وبالتالي انتساب اليزيدية إليه وذلك لعدة أسباب منها:

1- تفاهة شخصية يزيد نفسها وبخاصة إذا قيست بشخصية أبيه معاوية.

2- إنّ الحديث عن تأليه هذه الشخصية لم يرد في أيِّ مدوّن يرتقي تاريخه إلى زمن مقارب إلى زمن يزيد رغماً عن إشارة الكثير من المؤرخين على الغلوّ في معاوية غلواً يقرب من حدّ التأليه.

ثم يثبت الباحث المذكور بعد دراسة موسعة أن اسم اليزيدية وأجدادهم الأعلون مشتق من أصل التنظيم الإلهي لدى الشعوب الهندية الإيرانية التي كانت تعبد (ليزاتا) الذي هو (أهورا مزدا). ثم يقول: وأنا لا أستبعد أن يكون اسم اليزيدية قد جاءهم من هذا الأصل، أي (يزاتية)[1].

6 – القوّالون

هم المنشدون (Chanters) مُرَتِّلُو الأناشيد والقصائد الدينية. والقوال اليزيدي يتلو المدائح الروحية عند دفن الموتى وفي أوقات الزيارات، وقد اختصوا وحدهم بشرف مصاحبة (السَّنجق) المذكور كما أنهم هم الموسيقيون الذين يضربون بشبّاباتهم ودفوفهم وطنابيرهم.

وأعداد القوالين قليلة حيث قدرت بـ(46) قوالاً[2] والظاهر أن أنطون لاڤـي قد استعار منهم تقليد استخدام آلاتهم في طقوس تعبدياته.

7 – حول حلق شعر الرأس بالموسى:

أما ما قاله (لاڤـي) حول رأس الكاهن الحليق بالموسى المطهّر بماء زمزم، فقد خرج بهذا التقليد عن تعاليم اليزيديين الأصليين. فهم لا يحلقون شعورهم، ويحرم على اليزيدي حلق شاربيه أو استئصالهما بالمقص أو غيره. نعم قد يقومون بتخفيف لحاهم دون إزالتها. وقد جاء في (مصحف رش) ما نصّه:

(من قوانيننا أن (القوال) لا يعبر موسى على وجوههم)[3].

---

(1) تنظر: مقالته (طاووس ملك)، مج. **التراث الشعبي البغدادية**، العدد السابع والثامن، 1970م، ص 24.

(2) **اليزيديون . . أحوالهم ومعتقداتهم**، مصدر سابق، 163/2.

(3) المصدر نفسه، ص108.

8 - غسل الموسى بماء زمزم:

أما ما قاله (لافـي) عن الموسى الذي حلق الكاهن به شعر رأسه بأنه مغسول بـ(ماء زمزم السحري) فلم يذكر أية زمزم هذه التي يعنيها. هل هي زمزم الكعبة الإسلامية أم زمزم كعبة اليزيديين الموجودة عند قبر مقدسهم (الشيخ عادي) حيث يوجد عند هذا القبر عين ماء يطلقون عليها اسم زمزم، ويعتقدون أنها تتصل بزمزم الكعبة بقنوات في باطن الأرض. ويحج اليزيديون إلى هذا القبر كحج المسلمين إلى الكعبة ويتبركون بزمزم كما يتبرك المسلمون بزمزم الكعبة.

ويبدو لنا أن (لافـي) لا يقصد زمزم المسلمين في مكة ولا زمزم الشيخ عادي في جبال (الهكاري) شمال العراق، وذلك لصعوبة جلب الماء من تينك الزمزمين، وإنما يقصد بزمزمه هو أي التي بناها في كهف كنيسته المذكورة، كنيسة الشيطان.

9 - كتاب الجلوة:

وهو الكتاب الأول لليزيديين وهو منسوب إلى إمامهم الشيخ عدي بن مسافر الأموي. وقد ترجمه لافـي إلى الإنكليزية وعدد فصوله خمس وتقرأ جميعها في كنيسة الشيطان[1].

10 - الكتاب الأسود (مصحف رش):

ويسميه (لافـي) The Black Bible وهو ترجمة لاسمه في الكردية (مصحف رش) ورش معناها الأسود وهو الكتاب المقدس الثاني لليزيديين، ويزعمون أنه من وضع الشيخ حسن البصري، وأنه كتب بعد وفاة الشيخ المذكور بمئتي سنة. والزعم هذا باطل لأن الشيخ من كبار المتصوفة المسلمين ولا علاقة له بعبدة الشيطان، وقد ترجم (لافـي) الكتاب إلى الإنكليزية ويقرؤه الشيطانيون مع كتاب الجلوة.

11 - المفاتيح الإينوكية The Enochian Keys:

وعددها تسعة عشر مفتاحاً، وهي عبارة عن نصوص فيها تضرعات إلى الشيطان وإرشادات ووصايا منه إلى عُبّاده، تهديهم إلى السبل الواجب اتخاذها لإدارة شؤون

---

(1) **The Satanic Retual**. Ibd. P. 164-169

حيواتهم. وهي مكتوبة بلغة سريّة غير مفهومة يطلقون عليها اسم اللغة الإِينوكية The Enochian Language. ويقرأ الشيطانيون في كنيسة الشيطان هذه المفاتيح بهذه اللغة وبترجمتها الإنكليزية حيث إنهم لا يفهمونها فتترجم إلى الإنكليزية.

واللغة هذه هي لغة طقوسهم، ويعتقد أنها أقدم في الوجود من اللغة السنسكريتية (اللغة الهندية القديمة)، ولها أصوات ذوات قواعد وأصول إعرابية. وهي تشبه العربية في بعض أصواتها وفي بعضها الآخر تشبه العبرية واللاتينية. وقد ظهرت في المطبعة سنة 1659م في سيرة حياة (جون دي John Dee) أشهر المتنبئين في القرن السادس عشر وأكبر منجمي البلاط الملكي، ثم استعملت هذه اللغة بعد ذلك في السحر، ثم اتخذها (لافـي) في كتاباته وشؤونه الخاصة بالسحر[1].

أما ما ذكرناه عن قراءة المفتاح الإينوكي الثالث خلال الطقس التعبدي، فإنه يقرأ لتثبيت قيادة الأرض على أيدي أولئك السحرة العظام الذين سيطروا خلال العصور المتعاقبة على سيادة كافة البشر[2].

احتفالية شيطانية لتعميد الأطفال

تُقام هذه الاحتفالية بدعوة من ذوي الطفل المراد تعميده، فيرتدي المدعوون العباءات السود باستثناء الطفل الذي يرتدي ثوباً أحمر لماعاً ذا قلنسوة مفتوحة من جهة الوجه، ويكون قد طوِّق بسلسلة أو شريط حول عنقه وقد تدلت منه (تعويذة الشيطان).

يُجلس الطفل أو يضجع إذا كان صغيراً جداً على منصة المذبح أمام رمز الشيطان باتجاه الجدار الغربي للغرفة، وتكون هناك مستلزمات الطقوس الشيطانية، وتتكون من التراب وماء البحر، وتوضع هذه داخل أوعية فخارية.

ويلاحظ أن (البخور) لا يستخدم في هذه المناسك الخاصة بالأطفال كما هي العادة في كثير من الطقوس الدينية وفي تعميد الكبار، وإنما تستخدم الروائح الخفيفة المستَحبّة للأطفال، ولهذا يتعمد ذوو الشأن بجلب روائح مشجعة للطفل مع الحليب والشكولاتة أو أطعمة أخرى مفضلة عنده.

---

(1) **The Satanic Bible** Ibd. 155

(2) Ibd. 170

وتصاحب هذه الطقوس موسيقى مختارة للأطفال الصغار وخصوصاً الموسيقى الهادئة على وتيرة بطيئة مشجعة أكثر من غيرها.

ويقف الكاهن مباشرة أمام المذبح ويقف مساعده إلى يساره، ويقف ذوو الطفل إلى يمينه، وتبدأ الاحتفالية بالطريقة التقليدية، فيقرأ الكاهن المفتاح الإينوكي الأول الموجود نصّه في الكتاب المقدس الشيطاني[1] وهو عبارة عن دعاء للشيطان مكتوب باللغة المذكورة يقول فيه:

«باسم الشيطان بليعال، لوايثان

وباسم جميع الشياطين الذين لهم أسماء أو ليست لهم أسماء

السائرين في الدرب المخملي الناعم، المظلم . .

أنصتوا لنا . . يا أيتها العناصر المظلمة والمستظلة

والمعتمة والملتوية والمخلوقات غير المرئية.

التي تتراءى من وراء حجابٍ ضبابيّ من الليالي الأبدية

تقرّبي بالحضور إلينا . .

وساعدينا على إحياء هذه الليلة

رَحِّبي بأختٍ جديدة (أو أخ جديد، ويذكر اسم الطفل أو الطفلة)

مخلوقةٍ من ضوء السِّحر بنشوة الانضمام إلينا.

قولي معنا: مرحباً بك يا طفل الفرح (أو يا طفلة الفرح) في هذه الليلة المملوءة بالبهجة.

قولي معنا: مرحباً بك أيها المشعوذ (أو المشعوذة)

يا صغير اليدين اللتين تمتلكان القوة لسحب خزائن

السماوات . . صدقاً أنك تستحق عن جدارة حصولك

---

(1) الكتاب المقدّس الشّيطاني، ص 161، طبعة (Avon)، الولايات المتحدة.

على هيمنة عالم مليء بالخوف حيث يرتعد الرجال الشجعان

فرقاً ورعباً».

بعد ذلك يحمل الكاهن شمعة سوداء فيها لهب ويمرّرها أربع مرات تحت قدم الطفل قائلاً:

«باسم الشيطان . . نضعُ أقدامنا على الطريق

فوق اللهب يمكننا المرور بشهوة

نحن ندعوك باسمك الوامض أن تُدخل السُّحب

واللهب فيه (ويذكر اسم الطفل)»

ثم يقوم الكاهن بتدوير شعلة الشمعة حول الطفل وبعد ذلك يمسك جرساً ويقرع فيه قرعاً خفيفاً حول الطفل قائلاً:

«باسم الشيطان نقرع لك

بشروق الهواء، مع أصوات رنين الحكمة. .

تستقبل عيناك التنوّر وأذناك تدركان الحقيقة

وأنماط الحياة الفردية.

ندعو باسمك في الليل . . آه . . أسمعنا أيها

اللطيف».

يعود الكاهن حاملاً الجرس وقليلاً من تراب الأرض، ويقوم بتدويرها حول راحتي الطفل وقدميه قائلاً:

«باسم بليعال نضع في خدمتك شعاره»

ثم يتناول قليلاً من التراب وقليلاً من ماء البحر وقليلاً من الزيت ويمسح يدي الطفل وقدميه قائلاً:

«باسم الحوت الكبير وبملح البحر العظيم

نرتدي مادة الخلق الصلبة وسكنى جهنم

نضع (فلاناً) على محبتك وتندفع المحيطات

بالأناشيد لتمجيدك».

يعود الكاهن ليأخذ سيفاً يضعه على جبهة الطفل قائلاً:

«بواسطة جميع الأشياء أن تكون ثورةً طبق الأصل

من الزواحف. وأن تجعله يقوم بأعماله بسرعة ومثلما

تفعل الكائنات الليلية كالضفادع والقطط

والكلاب والخفافيش والحيتان.

وبحق جميع أقربائك وأصدقائك أن يكون واحداً منهم.

بارك فيه (أو فيها) وتطهره (أو تطهرها)

مثلك وأن تعيش تلك الأشياء في ذهنه

(أو ذهنها) وبأنّك رَبّهُ وسيده وتظهر

له عظمة وقوة الشيطان».

ثم يرفع الكاهن السيف أمام جبهة الطفل وبإشارة يرفعه إلى الأعلى ويقلبه وهنا يقوم جميع الحاضرين بمواجهة المذبح ويرفعون أذرعهم اليمنى فيصيح الكاهن:

- ليحيا فلان (ويذكر اسم الطفل)

ويردد الجميع:

ليحيا فلان (ويذكرون الاسم)

ثم يصيح الكاهن:

- ليحيا الشيطان

ويردد الجميع:

- ليحيا الشيطان[1].

The Satanic Rituals P. 214 - 218 (1)

هذا بالنسبة إلى احتفاليات التعميد، أما بالنسبة إلى الاحتفاليات الجماعية التي يقيمها أنطون لافي لاستحضار الشيطان لطلب الحاجات منه فلها طقوس أخرى لا مجال لذكرها تجنباً للإطالة، ويمكن الاطلاع عليها في كتاب (The Secret life of a Satanist)[1].

رموز أنطوني لافي

1 ـ النجمة الخماسية

اتخذ أنطون لافي النجمة الخماسية رمزاً لنحلته. والنجمة الخماسية ـ حسبما يقول دان براون ـ من أقدم الرموز على وجه الأرض، وقد استخدم منذ أربعة آلاف سنة ق.م. وهي في حقيقتها رمز وثني يدلُّ على عبادة الطبيعة. فقد كان القدماء يتصورون عالمهم منقسماً إلى نصفين، المذكر والمؤنث وكان إلههم وإلهتهم يعملان معاً ليحافظا على توازن القوى: الْيَن واليانغ (الذكر والأنثى).

وعندما يكون الذكر والأنثى في توازن يكون هناك تناغم في العالم. وعندما يكونان غير متوازنين تعمّ الفوضى في العالم.

إن هذه النجمة الخماسية تمثل النصف المؤنث في كل الأشياء، وهو مفهوم يطلق عليه المؤرخون الدنيويون اسم (الأنثى المقدّسة) أو الإلهة المقدسة. وبمعنى أدق ترمز النجمة الخماسية إلى ڤينوس إلهة الحب والجمال الأنثوي الجنسي.

وكان الدين العبراني يرتكز على نظام الطبيعة المقدس، وكانت الإلهة ڤينوس والكوكب ڤينوس كلاً واحداً لا يختلف أحدهما عن الآخر. وكان للإلهة مكان في سماء الليل. وكانت تُعرف بأسماء عديدة: ڤينوس والنجمة الشرقية وعشتار وعشتروت، وكلها مفاهيم أنثوية قوية ترتبط بالطبيعة والأرض الأُم.

وأروع ما في هذا الكوكب أنه ـ كما يعرف علماء الفلك ـ يُحَدِّد نجمة خماسية كلّ أربع سنوات لدى دورته في السماء.

---

(1) **The secret life of a satanist**, Blauche Barton, p.73

ومن الغريب أن القدماء لاحظوا هذه الظاهرة فجعلوا ڤينوس ونجمتها الخماسية رمزاً للكمال والطبيعة الدورية للحب الجنسي، وتقديراً لسحر ڤينوس قام اليونانيون باستخدام دورتها ذات السنوات الأربع أساساً لتنظيم دورة ألعابهم الأولمبية.

واليوم القليل من الناس يعرف أن برنامج الأربع سنوات للدورة الأولمبية لا زال يتبع دورة ڤينوس. وأقل منهم من يعرف أن النجمة ذات النقاط الخمس كادت أن تكون الطابع الرسمي الأولمبي، ولكن تمّ تعديلها في اللحظة الأخيرة حيث تبدّلت نقاطها الخمس بثلاث دوائر متقاطعة لتعكس روح الألعاب المقدسة بالتناغم والوجود الجماعي.

ثم أصبحت النجمة اليوم طابعاً أساسياً في أفلام الرعب والقتل الأمريكية التي تصنعها (هوليوود) في أفلام القاتل الشيطاني، والتي عادة ما ترسم على جدران شقّة أحد عباد الشيطان ترافقها مجموعة من الرموز الشيطانية المزعومة، وقد كانت الأصول الحقيقية للنجمة الخماسية هي في الواقع أصولاً إلهية حيث إنها كانت ترمز إلى الإلهة (ڤينوس) إلهة الحب والجمال[1].

وقد عبد العرب هذه النجمة باسم (الزهرة)، وهي عندهم ترمز إلى الجنس المحرم والإباحية، كما ترمز إلى الحب والجمال وكانوا يسمونها (نجمة الصباح). وكانوا يُقسمون بها، وكانت النساء تفخر بالانتساب إليها ومن ذلك قول هند:

«نحنُ بنات طارق»

وطارق هي نجمة الصبح. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾[2] تنويه بشأنها[3].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي: الطارق: كوكب الصبح.

وقيل إنها الكوكب الذي رآه إبراهيم عليه السلام وأراد أن يعبده فلما رآه قد أفل امتنع عن عبادته.

---

(1) كتابه: **شيفرة دافنشي**، ص 47 وما بعدها.

(2) سورة الطارق، الآية: 2.

(3) **تفسير أبي السعود**، 9/ 140 ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وقال (سمث): إن الكوكب (ڤينوس) أو (لوسيفر) لم تكن إلهة قَبلية وإنما كانت معبودة عرب الشمال بأجمعهم[1].

وقد بُنيت لها المعابد وعبدها غير العرب فجاءت بأسماء مختلفة فهي عند الهنود (مايا) و(بهاڤاني) وعند الفرس (ميترا). وعند الفينيقيين (عشتروت) وعند الآشوريين (أنايتيس) وعند اليونان والرومان (ڤينوس) وعند القبط (بادخت) وكانت عبادتها قائمة باستباحة المنكرات وارتكاب القبائح الناشئة عن روح العشق في الطبيعة البشرية. وسبق لبابل أن مثلتها وهي (عشتار الساميين) بامرأة حسناء عارية[2].

وهكذا عبدها الشيطانيون حيث كانوا يجعلون على المذبح الشيطاني امرأة عارية يمارسون الجنس معها جميعاً.

2 ـ الحَيَّةُ

وهي التي وصفتها التوراة بأنها (أمكر وحوش البَريّة التي صنعها الربّ الإِله)[3] لأنها أغرت المرأة بأكل الثمرة المحرمة في الجنة فأكلتها وأعطت منها لزوجها فخالفا أمر الربّ فطردا من الجنة. ولذلك عاقبها الله بأن جعلها تسعى على بطنها وتأكل التراب طول حياتها وتبقى في حالة عداوة مع الإنسان.

أما ما هي هوية هذه الحيّة؟ فكل ما نجده في التوراة هو تلميحٌ من (سِفر الحكمة) ينسبُ إلى إبليس دخول الموت إلى العالم. وهذا التماهي بين الحيّة وإبليس نجده في العهد الجديد (الإنجيل) بشكلٍ ضِمني وواضح: (التِّنين العظيم، الحيّة القديمة والمسمى إبليس أو الشيطان).

وتبدو الحيّة في ملحمة گلگامش بأنها سارقة، سرقت شجرة الحياة (أو عشبة الخلود) بمعنى أنها السبب في جعل الموت يتلازم بالإنسان وبذلك اقترنت الحيّة بالشيطان.

---

(1) في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمود سليم الحوت، ص 87، ط. الأولى، 1955.

(2) المصدر نفسه، ص 88، ط. الأولى، 1955.

(3) سفر التكوين، 3/ 1.

وقد دلّت الاكتشافات الأركيولوجية على أن عبادة الحيةِ انتشرت في الشرق القديم، واحتلت مكانة هامة في الديانة الكنعانية، ودلّت التوراة على وجود عبادة الحية في بني إسرائيل.

واعتبرت الحيّة في العالم الشرقي حيواناً مقدساً يتصل بعالم الألوهة وبالتالي الحياة والحكمة[1].

وعلى هذا الأساس جعلها (أنطون لاڤي) رمزاً لمعبوده الشيطان، وافتتح بصورتها بداية كل فصول كتابه (الكتاب الشيطاني)، وقد رسمها بشكل تنين ذي رأس ضخم، يبرز فيه الفك الأسفل للأمام، وجسم ملتوٍ على بعضه بحراشف كحراشف التمساح.

والصورة تبدو أنها استنساخ مصغر للصورة التقليدية للتنين الذي له جسم كجسم العظاية وأجنحة كأجنحة الوطواط وينفث النار من فمه. يقول الجاحظ: رأينا بعض الشاميين يزعُمُ أن التنين أعصارٌ فيه نارٌ يخرجُ من قِبلِ البحر في بعض الزمان، فلا يمرُّ بشيءٍ إلا أحرقه، فسمّى ذلك ناس (التنين) ثم جعلوه في صورة حيّة[2].

وكان التنّين البابلي له أربع قوائم وأجنحة، ويقال للتنين باليونانية (Drakon) و بالإنكليزية (Dragon) تستعمل في الأصل للحيّة الكبيرة.

وكان الإله المصري (أپيپي Apepi) يصور على شكل حيّةٍ هائلة ترمزُ لعالم الظلام. وكان التنين بصورة عامة يرمز إلى الشر.

وفي المسيحية صار التنين رمزاً للخطيئة والوثنية وغالباً ما يصوّر تحت أقدام القديسين[3].

ولجميع هذه الأسباب رفع أنطون لاڤي منزلة الحيّة بجعلها تمثل المعبود الظلامي الذي هو الشيطان.

---

(1) ينظر: **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، الأب بولس الفغالي، مادة: حيّة.

(2) كتابه: **الحيوان**، 7/ 106 وجاء في دائرة معارف بطرس البستاني أن الناس في القرون الوسطى كانوا يمثلون الشيطان بشخص أسود اللون له عينان ملتهبتان ويخرج منه ريح كبريتية وله قرون وذنب وأظلاف مشقوقة.

(3) **الأساطير والمعتقدات القديمة والتوراة**، علي الشوك، ص 45.

وقد وجدت الحيّة محفورة على معبد اليزيديين بشكل بارز على طول ركن الباب ويوجه لها اهتمامٌ بالغ إذ تصبغ دائماً باللون الأسود[1].

3 - التَّيْس Goat

وتجد صورته داخل النجمة الخماسية التي يتكون من تقاطع أضلاعها مخمّسٌ مرسوم في داخله رأس تيسٍ بشكلٍ يوحي بأنه صورة شيطان. والتيس معروف بقوة السفاد وشدّة شبقه وقدرته على النَزو على عدة إناث دفعة واحدة، فلذلك اتخذه (لاڤي) رمزاً للجنس المفتوح على كل الاتجاهات وفي كل الأوقات وقد يرسم التيس داخل النجمة بقرنين مجنّحين وأذنين مجنحتين كذلك[2].

ومن الطريف أن أذكر أن صورة التيس التي اتخذها لاڤي رمزاً للشيطانية على أساس أنها هي صورة الشيطان نفسه موجودة في أساطيرنا الشعبية، حيث يعتقد الناس عندنا أن الشيطان قد يتجسدُ بصورة تيس. وأورد صاحب «الوافي بالوفيات» قصة شيخين برز لهما في حجرتهما تيس فحسباه جنيّاً، وسمعاه يصيح وامتقع لون أحدهما وخارت قواه وبهت، أما الثاني فقام إلى التيس وأمسك بقرنيه وجعل يُبسْمل ويقرأ آيات من القرآن الكريم، ولم يزالا كذلك حتى دخل غلامٌ ومعه حبلٌ وسكين وقال: يا سيدي، تنحَّ عنه فأخرجه وذبحه. فقالا: ما هذا؟ فقال: اشترينا هذا التيس لنذبحه ونأكله فهرب ودخل إلى حجرتكما. فقال أحد الشيخين: يا أخي لا جزاك الله خيراً كنت قُلت لنا وإلا طارت عقولنا[3].

وكل هذه المعتقدات إنما ترجع تاريخياً إلى عبادة الإله (ديونيسيوس) إله الخصب والخمر، وكانت عبادته تتصف بالمجون والدعارة وشرب الخمر، وكانوا يتقربون إليه بجدي (تيس) يربونه لهذا الغرض ويصورونه -أي ديوينسوس- في صورة (الساتير) الذي يتزيا بجلد الماعز ويلبس قرونها على جبهته ويجرُّ وراءه ذنباً طويلاً كأذنابها ويمشي بقدمين لهما ظلفان مشقوقان، وكذلك كانت صورة الشيطان في محافل عباد الشيطان[4].

---

(1) **مهد البشرية. الحياة في شرق كوردستان**، ويكرام، ص94، ترجمة: جرجيس فتح الله المحامي، ط. الأولى.

(2) **Secrets of the Satanic Executionars**, by A. B. Humter, P. 1

(3) **موسوعة الكنايات العامية البغدادية**، عبود الشالجي، 3/ 314 **والوافي بالوفيات**، 122/2.

(4) **إبليس**، عباس محمود العقاد، ص 157.

وفي (تراقية) يكرّس لهذا الإله الثور والتيس واللبلاب ويحيط به الجنُّ وقد نشر عبادته الإسكندر الكبير[1].

4 ـ الجُمْجُمة

وهي تميمةٌ من التمائم المهمة في رموز الشيطانيين، حيث ترمز إلى الموت والانتحار، وتستخرج غالباً من مقابر الموتى القديمة مع عظامهم، فتوضع في كأس على المذبح لترمز إلى الموت. وقد وجدت في غرفة أحد الشيطانيين اللبنانيين بعد انتحاره جمجمة بقرة وقد غرست فيها الدبابيس، وإذا عزّ عليهم إحضار الجماجم فيستعاض عنها بجماجم مصنوعة من البرونز. وقد اعتاد بعضهم شرب الدماء النازفة من الحيوانات أو البشر الذين يضحون بهم بهذه الجماجم بجعلها كأساً، وهي طريقة كان الملوك في السابق إذا انتصروا على عدوهم ذبحوه وشربوا دمه بجمجمة أعدت لهذا الغرض. وكانت الجيوش البربرية المنتصرة تفعل هذا الفعل بأعدائها. وسبب ذلك أنه كان يشيع بين الناس بأن في الدماء قوى مُنشّطة شافية. وكان هذا المعتقد عالمياً ذات يوم ثم ظهر كبقايا موروثٍ دارس في آداب العصور الوسطى. وقد زعموا أن الإمبراطور قسطنطين أصيب بداء الجذام، فأشار الأطباء عليه لشفائه أن يستحم بالدماء الدافئة من أطفالٍ مذبوحين[2].

وكان الشيطانيون يحصلون على أطفال التضحية من أبناء الزنى حيث لا يكون لهم سجلات في وثائق الولادات[3].

5ـ القرط الذهبي الدائري

وقد حلى أنطون ساندور لافي أذنه اليمنى بقرط ذهبي صغير على شكل حلقة، فسار على هذا الهدي جميع تابعيه، ولكن ليس كل من يضع مثل هذا القرط في أذنه يعتبر من تابعيه، فإن هذه الممارسة تراها موجودة عند كثير من الشباب وحتى الكهول ومن مختلف الأجناس، إذ إن هذه الحلقة ترمز بدائرتها إلى اللانهاية والأبدية وطول الأمد وهي في مدلولها السحري تطيل عمر صاحبها.

---

(1) **المحيط الجامع**، مصدر سابق، ص 547.

(2) **علم الفولكلور**، الكسندر كراب، ص81.

(3) تقرير عن **(العربية)** السبت 5 محرم 1427هـ. 4 فبراير/ شباط 2006م في www.alarabia.net

وقد أُخذ هذا التقليد من ممارسة قديمة متبعة عند الأمم الهندوأوروبية وعند قدماء الهندوس بأن يتبادل العروسان حلقتي خاتمٍ كرمزٍ لأبدية الزواج. وقد سرت هذه الممارسة إلى اليونان والرومان ثم أصبحت شائعة في العالم. ولكن الكثير من الأزواج يضعون الحلقة في أصابعهم ولا يعرفون معناها السحري[1]. وقد صار التقليد إذا وضع الواحد الحلقة في بُنصر اليد اليمنى اعتبر مخطوباً، وإذا وضعه في بُنصر يده اليسرى اعتبر متزوجاً. وإذا أراد فسخ خطوبته أو زواجه رماها في وجه صاحبه وذهب ولم يعد.

الطقوس الشيطانيّة

القدّاس الأسود وأنواع القداسات:

1 - اشتهر بنو الشيطان بممارسة طقوس بشعة لاسترضاء الشيطان أشهرها (القداس الأسود) الذي أوجدوه كنقيض للقداس الكنسي المعروف بين المسيحيين[2].

ولا بد أن نذكر أن هذه القداسات الشيطانية تختلف حسب مدارسهم الكثيرة التي انشقّت عن المدرسة (اللّاڤية) الأصلية، وقد اتبعت بعض هذه المدارس تعاليم السلفية الشيطانية القديمة، إلا أن (القداس الأسود) هو الشائع حيث يستحضر فيه الشيطان في غرفة مظلمة مرسوم على جدرانها الرموز التي ذكرناها، وفي داخلها مذبح مغطّى بالأسود. ويوضع عليه كأس مليئة بالعظام البشرية أو الخمر إذا لم تتوفر العظام. وخنجر لذبح الضحية ونجمة الشيطان ذات الأطراف الخمسة، وديك أسود الريش وصليب منكّس. ثم تجري تلاوة القداس لاستحضار الشيطان، بعدها يمسك الكاهن الخنجر وبه يذبح الديك ويشرب من دمه ويمرّر الكأس على الجميع بعد أن يملأها بدم الديك.

2 - وهناك قداس آخر يسمونه (القداس الأحمر) يذبح فيه بشرٌ بدلاً عن الديك، ويكون طفلاً على الأرجح، ويكون ابن زنى ليست له سجلات لدى الدولة فيسهل ذبحه دون أن يجد من يبحث عنه فيذبح ويشرب دمه ثم يؤكل[3].

---

(1) **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، د. عبد السلام الترمانيني، ص 72.

(2) القدّاس عند النصارى هو ذبيحة جسد ودم السيد المسيح يقدمان على الهيكل تحت شكلي الخبز والخمر . وهي في الإنكليزية (Mass).

(3) عن تقرير شبكي، **www.alarabia.net**

3 - وهناك قداس آخر يجري في قاعة مظلمة أو (كهف) حسب تعبير (لاڤي) حيث يجتمع الشيطانيون فيه وأمامهم الشموع السود تنير المكان الذي يدعو إلى الرهبة. وتزيده رهبة هيئة الكاهن الذي يرتدي معطفاً أسود وعلى رأسه قلنسوة مقرنة بقرنين صغيرين تُمثلان قرني الشيطان.

ويضعون امرأة كضحية على المذبح المغطى بقماش ثم تبدأ الترانيم مع الموسيقى الصاخبة. ويتجرد الواقفون من الجزء الأعلى تماماً من ملابسهم ويرقصون رقصة (الخلاص) بينما يستَمِّر ترتيل (المفاتيح السبعة) لاستحضار الشيطان، ثم يخلعون ما تبقى من ثيابهم ويمارسون الجنس مع الضحية مع أنواع التعذيب لها حتى ينزف الدم منها فيلعقونه مع لعق الأوساخ على الأجساد.

وفي بعض الأحيان يحمل الكاهن مقشّة طويلة يعبثُ بمقبضها بالأعضاء الجنسية للرجال والسيدات فكأنه يهيجهم.

أما الفتاة التي في الوسط (Dan Fatan) فإنهم يتناوبون ممارسة الجنس معها، ثم تتعالى صيحات المجموعة حتى لا يطلب الشيطان هذه الفتاة لمضاجعتها، والقائد هو الذي يُحدِّدُ رغبة الشيطان. فإذا طلب الشيطان هذه الفتاة أعلن القائد ذلك فعلى المجموعة التضحية بها ودفنها حتى تذهب إلى صديقهم الأعظم الشيطان[1].

التمتع بقذارة الأجساد

ونجد هؤلاء الأتباع – حسبما أوردت التقارير عنهم – أنهم لا يغتسلون بالمرة. والمتشدّدون منهم عندهم السباحة في الشواطئ من المحظورات والجماع بينهم مندوب ومفروض بكافة وسائله وأشكاله. أما أكل الزهومات فلا يتقذّرون من شرب دماء القطط والكلاب أو أكل لحومها، ومعروف عن لحم الكلب أنه زهم لا يمكن استساغته. أما البخور والرائحة الطيبة فلا يقربونها بل تصْدُرُ من غرف طقوسهم روائح كريهة، وقد ذكر ذلك أحد الكويتيين عندما دخل إلى شقةٍ من شققهم وتفاجأ بوجود أشخاص عراة ومعهم نسوة في داخل الشقّة ورائحة العفن تفوح من أرجائها.

---

(1) **كتاب عبادات الشيطان وسلطان القديسين**، كنيسة القديسين مرقس والبابا بطرس، سيدي بشر بالإسكندرية، موقع شبكي.

ومن الأكيد أن هذا العفن ناتج عن أبوال بعضهم يستخدمونها في الطقوس الشيطانية. مثلما جرى لأربع فتيات من مدينة (سانتا مونيكا) بولاية كاليفورنيا، استدرجن سنة 1993 إلى منزلٍ شبه مهجور يقع في غابةٍ بعيدة عن المدينة، وقد أَوهموهن بوجود حفلٍ كبير هناك.

تقول إحدى الفتيات: عندما وصلنا إلى المنزل شاهدنا حشداً من الرجال والنساء يرقصون حول نار مشتعلة وهم شبه عراة، ثم أجبرونا على شرب (الفودكا) واستنشاق نوع من المخدّرات، وبعد ذلك طرحونا أرضاً بالقرب من النار وجرّدونا من جميع ملابسنا، ثم وقف أحدهم وسكب على أجسادنا بولاً آدمياً ودماً وصاح قائلاً:

«في سبيلك أيها الشيطان العظيم»

وقام الجميع بلعق أبداننا وما عليها من نجاسات وهم يتمتمون بكلام غير مفهوم، ثم قام رجلٌ منهم بقراءة في (كتاب الشيطان). وبعد ذلك قام المحتفلون باغتصابنا عشرات المرّات وبأوضاع غريبة جداً، حتى إذا قضوا وطرهم عصبوا أعيننا مرة أخرى وألقونا في أحد شوارع المدينة.

الاحتفاليات الفالوسية في القداسات

ومن طقوسهم المتبعة في قداساتهم نضح المحتفلين بالمنضحة (Sprinkler) المصنوعة من النحاس الأصفر حسب مواصفات أنطون لافي، وتكون قاعدتها عريضة وعنقها طويلاً تنتهي بفوهة مكوّرة تشبه (كمرة) الذكر، مثقبة بعدة ثقوب ويضعون فيها مادة أو عطراً أو ماءً مقدساً ينضحون به الناس أو الضيوف لتبريكهم.

إن المنضحة هذه - حسب رأي لافي - اتخذت موقعاً في المسيحية باسم (منضحة الماء المقدس Holy Water Sprinkler) ينضح بها الكاهن الأشخاص لتطهيرهم فيما يعرف باحتفاليات (الخلاص من الذنب The Guilt-ridden Cermonies) ثم يقول: إنَّ القضيب (Phallus) هو ترجمة لامواربة فيها للمنضحة المستعملة من قبل الكاثوليك، وبعبارة أوضح هي انمساخ لصورة الذكر الاعتيادية (The Common Penis) وعلى هذا فهو يؤكد على ضرورة وجود القضيب متمثلاً بالمنضحة في احتفاليات تأهيل الأفراد الجدد للعضوية، وذلك بأن يمسكها أحد

مساعدي الكاهن بيديه كلتيهما ثم يهزها بانتظام باتجاه طرفي البوصلة الرئيسيين من أجل تبريك جميع المحتفلين[1].

كما يمكن استعمال أي رمز قضيبي إذا تعذر الحصول على المنضحة فمن المستطاع صنعه من الجصّ المستعمل في الجبائر أو من الخشب أو من القماش أو من الطين أو من الشمع وغير ذلك[2].

الجذور التاريخية للاحتفاليات الفالوسية

يذكر المؤرخ أحمد أمين «أن (علي كاكا) هو شخصية غريبة تدلُّ على ولوع المصريين بعلاقاتهم الجنسية، فهي شخصية رجل يلبس الحذاء ويلبسُ في وسطه حِزاماً يتدلّى منه قطعة على شكل الآلة الجنسية في أضخم أنواعها. وكان هذا المنظر يثير ضحك النساء والرجال على العموم ضحكاً بالغاً. وكانوا يصنعون منه نماذج من الحلوى في الموالد»[3].

أقول: عندنا في الأسواق نوع من الحلوى على شكل قضيب سميك وطري يصنع من النشا، يطلق عليه شعبياً بصورة خجولة وساخرة اسم (زُبّ القاضي) ويمسك به المشتري ويهزه كهزّه للذكر ثم يأكله بعد ذلك.

وقد تسأل: لماذا (القاضي) بالذات؟ فأجيبك أنه ليس من البعيد أن هذه التسمية استمدت من تعبير قديم كان ينسب فيه هذا الشيء إلى من يشابه القاضي في المنزلة والمنصب كالحاكم أو الكاهن أو الملك أو الإله الذي تكون آلته الجنسية مثاراً لخصب البلاد ونماء الزرع وفيض الأنهار.

ونجد في النصوص المسمارية لبلاد الرافدين أناشيد كثيرة تمجّد هذه الآلة. نذكر منها هذا النشيد الخاص بالإله (أنكي)[4] جاء فيه:

---

(1) **The Satanic Bible,** Ibd. P. 139

(2) المصدر نفسه.

(3) كتابه: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص 288.

(4) (أنكي) إله سومري معناه سيد الأرض. كان مركز عبادته في أريدو. اشتهر بحكمته ولقب بالسيد ذي العين الحارسة. رمز إليه أولاً بالوعل (يلاحظ: أن الوعل أو التيس من رموز الشيطانية) ثم أعطي شكلاً بشرياً ورقمه المقدس أربعون. (انظر: **معجم الحضارات السامية**، هنري س. عبودي، ص142).

«بعد أن حوّل (أنكي) نظره

على جميع هذه الأماكن

وعندما وجَّه أنكي الموقَّر نظره إلى الفرات

رَفَع قامته وكأنَّه ثورٌ متلهّف

نصب قضيبه ودفق منيَّه

فملأ النهر بالماء المتلألئ

كما لو كان (النهر) بقرةً في المراعي

تخور من أجل عجلها الذي بقيَ في الحظيرة

ثم خضع له نهر دجلة بعد ذلك

كما يخضع لثور متلهّف

وهو منتصب القضيب يدفع بـ(هدية العرس)

وكثورٍ عملاق وحشي في حالة النَّزو

جعل دجلة يشعر باللذة

والماء الذي سكبه هذا كان متلألئاً

عذباً ومسكراً

والحبَّ الذي أنتجه هذا المكان

كان وافراً ومغذياً

فغَمَر على هذا الشكل مسكن (إنليل) بالثراء

وبفضل (أنكي) ابتهج (إنليل)

وعمَّت الأفراح (نُفَّر)[1].

---

(1) ديوان الأساطير: سومر وأكاد وآشور، الكتاب الأول ص 73، نقله إلى العربية وعلق عليه: قاسم الشواف، قدّم له وأشرف عليه: أدونيس، ط. الأولى 1966، دار الساقي.

من خلال هذا النشيد نفهم أن آلة هذا الإله لا تخصه وحده وإنما تخصُّ الشعب بأجمعه، من ناحية أنها تترعُ أنهارهم بالمياه وزروعهم بالحبوب وحيواناتهم تكثرها بالإنجاب وأيضاً زوجاتهم، ولذلك صنعت على نمطها تماثيل لتستعمل كتعاويذ تعلق في الرقاب أو في الأحزمة لتجلب الرزق والخير لمعلّقها وتدفع عنه الشرَّ والمرض. كما صنعت على شكلها أيضاً تماثيل من الحلوى على هيئة تماثيل الحلوى المصرية التي لم أرها أو على شكل الحلوى العراقية التي ذكرناها. وليس من البعيد أن هذه الحلوى كان يعتقد بأنها طعام سحري إذا أكلته المرأة أو الرجل العقيم أنتجا ببركة الإله. وربما كان المتدينون بديانة (أكل الإله) يأكلونه من أجل حلول الإله فيهم[1].

هذا بالنسبة إلى الحلوى. أما بالنسبة إلى (علي كاكا) الذي كان يضع في حزامه قطعة على شكل الآلة الجنسية بأضخم أنواعها فنقول إنه كان يطوف بقضيب رمزي لإله، لعله الإله المصري (أوزيرس) إله الخصب أو إله آخر وعمله مألوف عند كثرة من الشعوب القديمة، فهو من بقايا ما يعرف باسم (ليفالوفوريس) (Lephallophries)، وهم الطوّافون الذين يطوفون بالقضيب المقدس، قضيب الإله، وكانوا يتجوّلون على شكل موكب في شوارع المدن مع قضيبٍ بأضخم ما يمكن مدهون بقوّةٍ باللون الأحمر[2].

وكان يحدثُ هذا في اليونان في عيد إله الخصب (ديونيزوس) حيث يعلق الرجال في أحزمتهم قضباناً مفرطة الطول والنساءُ حولهم متقنعات يتواثبن ويرقصن ويتشاتمن، ولم تكن تلك القفزات سوى قفزات مضحكة، وكانت وضعياتُ أجسادهن غير محتشمة بل أوضاع شبق داعرة.

ولما انتقل هذا العيد إلى مصر أصبح مشهوراً عندهم، فكان الرجال يطوفون بتماثيل صغيرة متحركة لا تتجاوز الخمسين سنتمتراً، ويحركون العضو الذكري بحبالٍ، وكان العضو نفسه أطول من بقية الجسم، وكانت النساء تطوف بهذه التماثيل في القصبات وأمامهن عازف مزمار.

---

(1) ديانة أكل الإله ديانة قديمة معروفة بين الشعوب وعرفها العرب فكانت بعض القبائل تقيم لإلههم عند اشتداد الجدب حلوى من التمر، فإذا خافوا الهلاك اقتسموه وأكلوه لتحل صفات الإله فيهم وهي البقاء وعدم الموت.

(2) **العشق الجنسي والمقدس**، فيليب كامبي، ص71.

وارتبط هذا العيد بإله الخصب المصري (أوزيريس) فكان من طقوس العيد الاحتفاء بقضيب الإله الذي يصنع من القماش بطول عدة أمتار ويوضع على عربة مكلّلة بالزهور ويمشي بحذاء العربة الكاهنات والكهان. وكانت النساء العواقر اللواتي يبغين الإنجاب يتمسحن بهذا العضو لتنتقل إليهن قوة الإخصاب.

وكان الرومان يمارسون هذا النوع من العبادة لإلههم (پريابوس Priapus) الذي يصوّر بتمثال رجل يحمل هراوة ومنجلاً وعضو تذكير منتصباً كدليل على قوته الجنسية. وكانت النساء الرومانيات يلهوَنَّ بخلاعة وهن يحتضنَّ تماثيله التي كانت تقام في الحدائق.

وفي مدينة روما كان (ليبر Liber) يمجَّدُ عن طريق عبادة عضو الرجل، لأن هذا الإله يعتبر إله البذور، وعضو الرجل منبع البذور فشبيه الشيء ينجذب إلى الشيء أو هو نفسه، لذلك كان (العضو المخجل) حسب رواية القديس أوغسطين: «يوضع على عربة وكانوا يطوفون بها في المدينة بعد تجولهم بها في الحقول».

وكان يكرّسُ له في (لاڤينيوم Lavinum) شهرٌ كامل يجري خلاله التلفظ بالكلمات الأكثر فحشاً، إلى أن تكون العربة قد اجتازت الساحة العامة، وعند ذاك كان يجب أن تأتي أشرف امرأة من العائلة لتتوّجَ أمام الجميع هذا النصب الشنيع، وذلك لكي يجعل ليبر يحوّل سحر رجولته إلى الحقول فيتحقق نماء البذور[1].

وهكذا نجد أن (علي كاكا) لم يكن مبتدعاً في كوميديا احتفاليته بالعضو الصناعي، بل كان هذا العضو تجرى له حفلة ضخمة عندما يذهب الإمبراطور الآسيوي (هيليو باغال) إلى روما فيصلها في 218 يوماً بعد مسيرة جنسٍ غريبة، فقد كان يتبعه قضيب بوزن عشرة أطنان يوضع في قفص يجرّه ثلاث مئة ثور يجري تهييجها بواسطة مجموعة من الضباع المزمجرة المقيَّدة، والقضيب موضوع على طنبرٍ منخفض له دواليب عريضة فيجتاز القسم الأوروبي في تركيا ومقدونيا واليونان والبلقان والنمسا الحالية بسرعة حمارٍ وحشيٍّ يركض. وعندما يدخل روما يضع الإمبراطور المذكور أمام الثلاث مئة ثور ثلاث مئة عذراء ذوات أثداء عارية[2].

---

(1) **العشق الجنسي والمقدس**، فيليب كامبي، ص71.

(2) المصدر نفسه.

ولا شك أن هذا الإمبراطور الآسيوي كان يبغي من وراء مهرجانه هذا أن ينقل ديانة قومه الخاصة بعبادة الذكر إلى البلدان التي يفتحها عملاً بمبدأ (تلاقح الثقافات)، وهذه الديانةكانت موجودةً في الصين والهند وما زالت.

وكانت القضبان تعمل على شكل مسلات عملاقة وتقام في مراكز المدن. ففي سورية أقام عُبّاد (باخوس) على شرفه في معبد (هيليوبوليس) عمودين بارتفاع (48) متراً ونقشوا عليهما هذه العبارة: (باخوس أقام هذين القضيبين على شرف حُماته). وفي كلّ عام يعتلي قمة أحد القضيبين كاهن ويمكث هناك سبعة أيام، وخلالها يفد الناس حاملين الذهب والفضة والنحاس فيضعونها على الأرض معلنين أسماءهم. وثمة كاهن آخر يبقى واقفاً يعيد الأسماء للذي في الأعلى وعندما يسمعها يقيم دعاءً لكل واحد منهم.

ويبدو أن الناس الأتقياء الورعين من الذين تديَّنوا بهذه الديانة الشيطانية أحبوا أن يجعلوا مثل هذا الشيء في بيوتهم لكي يكونوا قريبين منه وعلى اتصال دائم معه، لذلك صنعوا تماثيل صغيرة مستنسخة على هيئته من الحجر أو المرمر لكي يتمسحوا بها، أو من الحلوى لكي يأكلوها فيمتلئوا بالطاقة الإخصابية الكامنة في القضيب الإلهي.

الضحيّة البشرية

يقول أنطون لافي: إن الغرض من طقوسية التضحية هو لنشر الطاقة التي يختزنها الدم الحار للضحية المذبوحة في دائرة العمل السحري. وبهذه الوسيلة تتقوى فرص الساحر فينجح في سحره.

وكان الساحر يتخذ ذلك مُذ كان يُعتقد بأن الدم يمثل قوة الحياة. وليست هنالك وسيلة لاسترضاء الآلهة والشياطين أحسن من هذه الوسيلة التي يمكن أن تشبع نَهمَهم بالكميات المناسبة.

صِلْ هذا المبدأ مع حقيقة أنَّ المخلوق المحتضَر ينشُرُ وفرةً مفرطة من الأدرينالين والطاقات البايوكيماوية، لذا سوف يمتلك ما يظهر أنه مزيجٌ من الطاقات التي لا يمكن أن تُقهر.

وكان الساحر الأبيض يخشى من عاقبة استخدام الضحية البشرية فيستخدم في العادة الطيور أو أيّاً من المخلوقات (الواطئة) الأخرى في طقوسه. إنَّ هذه الممارسة - المنافقة الحقيرة - في طبيعتها لا تُشعر بالجرم فهي تأخذ حياة كائن لابشري بمقابل حياة بشرية.

وحقيقة الحالة أنَّ الساحر إذا كان يحترم اسمه يجب عليه أن يكون من الشجاعة والجرأة بشكل خاص لا يمنعه من إطلاق القوة الضرورية من ذات جسمه بدلاً من أخذها من ضحية غير راغبة أو لا تستحق التضحية.

وبعكس جميع النظريات السحرية فإن تحرير هذه الطاقة لا يكون مؤثراً عن طريق الدم المسفوح ولكن بآلام الاحتضار التي تصيب المخلوق الحي[1].

وهكذا زرع لافي في نفوس الشيطانيين الحبُّ الشديد لرؤية الضحية وهي تنزف دماءها وتجود بآخر أنفاسها. وصار أتباعه يتلذّذون بذلك المشهد وغالبيتهم من المرضى السادومازوخيين.

يقول (ريتشارد كفندش): يؤمن عباد الشيطان بأن الكائن الحيّ مستودع للطاقة ولا تتحرر هذه الطاقة إلا حين يذبح ولا بد أن يكون الذبح داخل دائرة حتى تتركز القوة الخارجة منه في مكان واحد. وللحصول على أكبر طاقة ممكنة يشترط في الضحية - سواء أكانت ذكراً أم أنثى - أن تكون صغيرة السنّ وصحيحة البدن وبكراً. وعلى الساحر أن يكون واثقاً من أنه يستطيع التحكّم في هذه الطاقة الكبيرة التي تكون مندفعة من الضحية بقوة جبّارة وقت الذبح فلا يجعلها تفلت منه وإلا دفع حياته ثمناً لذلك.

ويشترط عبدة الشيطان تعذيب الضحية قبل ذبحها. والغرض من التعذيب إيصال الضحية إلى قمة الألم لاعتقادهم أن الهياج والانفعال الشديد الناتج عن الآلام المبرحة بجعل الطاقة الخارجة لحظة وقوع الموت سهلة الاصطياد وبالتالي يسهل التحكم بها[2].

---

(1) **The Satanic Bible**, P. 87

(2) عبدة الشيطان .. التعريف والأفكار، تقرير: صحيفة **(المراقب العراقي)** العدد، ص 472، 15 شباط/ فبراير 2012.

وفي مجال اختيار الضحية صغيرة السن يخاطب أنطون لافي أتباعه بقوله: اقتلوا الأطفال وهم أجنّة في البطون، واشربوا دم الصغار أو اصنعوا منه حساءً. اخبزوا في الأفران لحومهم واصنعوا من عظامهم أدوات للتعذيب[1].



قداس التضحية البشرية

(1) كتاب عبادات الشيطان وشيطان القديسين، كنيسة مار مرقس والبابا بطرس، موقع شبكي (Info@st-takia.org)

الفصل الحادي عشر:

اندياح الموجة الشيطانية

اندياح الموجة الشيطانية باتجاه أوروبا

لقد تأسست كنيسة الشيطان في ليلة الثلاثين من أبريل/ نيسان، سنة 1966، وخلال سنة ونصف من تاريخها توسعت في ثلاث مؤسسات في أمريكا ثم انداحت موجتها نحو العالم[1]. فوصلت أوروبا وامتدت في أقطارها وغزت إنكلترا. وفي فرنسا غرق بها المراهقون من كلا الجنسين وسلطت الصحف الأضواء على ما يحدث فيها من طقوسيات إباحية داعرة واختطاف نساء عن طريق الإغراء، وأشهر ما نشرته الصحف الفرنسية من تلك الاختطافات تقريراً عن فتاة فرنسية جميلة اسمها (إيميلي). تقول التقارير التي نشرتها الصحف الفرنسية عنها:

«نشأت إِيميلي في عائلة كريمة طيبة، وكانت تدرس الموسيقى مع شقيقتها. وكانت لإِيميلي تصرفات شاذة قليلة منذ طفولتها، فقد رسمت نفسها مرةً بصورة امرأة شيطانة تحمل درعاً وسيفاً وترتدي ملابس ممزّقة.

ثم التحقت بمدرسة (بونابارت) وكانت فتاة ممتازة إلى أن انزلقت نحو عبادة الشيطان عن طريق الموسيقى، فقد كان الشيطانيون يجذبون الشباب بنوعٍ من الموسيقى الصاخبة التي تطغى على التوازن ويندفع المستمعون معها في جنونٍ راقص وحركات هستيرية. وعندما انضمَّت إيميلي إلى مجموعة من الشيطانيين بدأ مظهرها يتغيّر هي وصديقتها التي انغمست معها في العبادة نفسها فأخذتا تملآن وجهيهما

(1) The Secret life of a Satanist, Ibd. P. 77

بالمساحيق وطلتا أظفارهما بالطلاء الأسود وصبغتا شعر رأسيهما باللون الأخضر والأحمر ووضعتا حول عنقيهما الصليب المقلوب.

وعندما كانتا تركبان (الأوتوبيس) كانتا ترسمان على زجاج نافذته رقم (666) وهو رقم رمزي من رموز الشيطان. ثم مارستا الجنس بلا حدود واقتنتا كتباً وشرائط فيديو عن السحر ولطّختا تماثيل السيدة العذراء بالدماء. وفي حجرة إحداهما وجدت لافتة مدون عليها هذا النص:

(مطلوب القبض على يسوع الذي يطلقون عليه المسيح للجرائم التي ارتكبها بحق الإنسانية، فهو متَّهم بالتسبب بقتل الملايين من البشر، ولأنه من مؤسسي المسيحية ديانة المتطرفين التي تَعِدُ بالحياة الأبدية ولكنها تؤدي إلى العبودية).

وقد اشتركت إيميلي مع مجموعتها بنبش قبر سيدة ماتت منذ عشرين عاماً في (تولون) وأخرجوا رُمّتها وغرسوا فيها صليباً مقلوباً وجلسوا يمارسون الجنس حولها.

وقد أُخذت لها مع صديقتها صور وهما ترقدان على القبر بملابسهما الداخلية.

وعقب هذه الحادثة انتحرت إيميلي، وبعد انتحارها باثني عشر عاماً راحت جماعتها تنبش اثني عشر قبراً في منطقة مونبيليه[1].

إن أسلوب الحياة اليومية التي عاشتها الفتاتان مع بعضيهما ومع جماعتهما من الشيطانيين هو الأسلوب التقليدي الذي يعيشه هؤلاء هو أسلوب الضياع والفراغ الخاوي الذي ينتهي في أغلب الأحيان إلى الانتحار كما سنرى ذلك عندما تنداح الموجة فتصل إلى بلادنا العربية.

اندياحها نحو العالم العربي

قد يسأل سائل: أين الحكومات عن هذه الأمور؟ فنقول: إن الحكومات تراعي مسألة الحرية الشخصية. فهذه الأمور حسب القانون الشخصي ينظر إليها من هذا الباب، فهي لا تضرّ أحداً سوى أصحابها وهذا هو مشتهاهم وهم يدافعون عن مشتهاهم قانونياً فيكسبون القضية كما سنرى لاحقاً. هذا من جهة ومن جهة أخرى

---

(1) مكتبة الكتب المسيحية، المكتبة القبطية الأرثوذكسية، موقع شبكي.

إن تلك الأمور تجري في مكانات منعزلة كالأبنية المهجورة والمقابر والصحاري والغابات الموحشة البعيدة عن الطرق.

وعندما وصلت الموجة إلى البلاد العربية صارت تلك المناسك تقام في الشقق الخاصة التي لا تستطيع الأجهزة الأمنية دخولها لكونها ملكاً خاصاً.

ففي البحرين مثلاً نُظمت حفلات في إحدى الشقق بمنطقة الحورة بمشاركة عدد من البحرينيين والأجانب، حيث ارتدى جميع المشاركين اللباس الأسود ثم بدأت الحفلة بجو صاخب تمّ فيه القيام بسلوكيات شاذة.

وفي لبنان ذُكر تواجدهم في الكهوف والمقابر[1]. وفي تقارير صحافية نقلت عن وزير الداخلية اللبناني الأسبق (إلياس المُرّ) اعترافه بوجود جماعات تمارس شعائر في القبور. وبتوقيف خمسين مشبوهاً كان من ضمنهم شخص ضبطت في منزله زجاجة فيها أفعى ميّتة، كما وجد عنده مجسم لمدفن عليه صورة هذا الشخص مع صور ورموز شيطانية، جمجمة لبقرة مغروزة بالدبابيس، جمجمة بشرية ورأس شيطاني والأمر الذي يثير الانتباه حول هذا الشاب هو أنه مارس الجنس مع جثة فتاة ميتة وهي في المقبرة[2].

ونشرت جماعات إسلامية حوادث من هذا النوع حصلت في إحدى مقابر العاصمة بيروت حيث عمدت مجموعة من الشيطانيين وهم من الشبان إلى نبش القبور وتشويه الجثث وممارسة جنسية مع الموتى.

وفي مصر كانت المراكب العائمة على النيل تتيح لهؤلاء المنحرفين الحرية في الممارسات الشيطانية دون أن تعلم الحكومة بذلك. وقد ضبطت جماعة على أحد

---

(1) تقرير **موقع العربية** الشبكي في (15 مايو/ أيار 2006).

(2) ممارسة الجنس مع الموتى مرض انحرافي قديم يطلق عليه اسم الـ(Necrophilia) النيكروفيليا وقد ترجمه الدكتور علي كمال إلى العربية باسم (الجثمانية) نسبة إلى الجثمان الذي هو جثة الميت، ويطلق عليه في الإنكليزية (Deads love) حُبّ الموتى. وفي هذا الانحراف يميل الفرد إلى المواقعة الجنسية مع جسد الميت ذكراً كان أم أنثى، وقد يدفع به الانحراف إلى نبش القبور لتحقيق ذلك. ينظر: **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**، د. علي كمال ص 219 ، **وقاموس ويبستر** (Necrophilia Item) . أقول: وقد اتخذه الشيطانيون طقساً لإرضاء الشيطان.

المراكب كان زعيمهم يعمل مهندس كومبيوتر، وهذه الجماعة أطلقت على نفسها اسم (وكالة جنود الرب) يمارسون الشذوذ علناً ويقومون بتصوير أنفسهم في أوضاع شاذة. وكان بينهم أستاذ يشغل منصباً هاماً في كلية طب القاهرة. وقد قال الأستاذ عندما ألقي القبض عليه إنه حُرٌّ فيما يفعل.

وعرف عن الشيطانيين أنهم يحبون الخرابات والأبنية المهجورة لاعتقادهم أنَّ الشياطين تألفها. كما يفضلون الأبنية التي يشاع عنها أنها (مسكونة). ومن أشهر هذه الأبنية قصر (البارون إمبان) في مصر الذي بني سنة 1905 ثم هجر فآل إلى الخراب وأشيع أنه مسكون وتجنَّبه الناس، إلا أن عبدة الشيطان كانوا يجتمعون فيه سراً ويقيمون الحفلات الصاخبة والغريبة في الوقت نفسه. ولا زالت العلامات التي رسموها موجودة على جدران القصر. وقد رتَّب أحد قياديي الجماعة ويدعى (خالد) حفلاً راقصاً فيه فلطّخوا جدرانه بدماء القطط والكلاب والدجاج باعتباره قصراً مهجوراً تسكنه العفاريت.

وفي مصر أيضاً انتهك الشيطانيون أيضاً إحدى مقابر (الكومونويلث) وهم يفضلون (وادي الريّان) بصحراء الفيّوم[1].

وفي (الكويت) يقيمون خيامهم في الصحراء قرب الحدود بحجّةِ الصيد. وقد عثر شاب كويتي اسمه (أحمد) على إحدى هذه الخيام فوجد فيها مجموعة من الرجال والنساء عرايا يرقصون على صوت موسيقى صاخبة وأثناء الرقص تقدم كبير هؤلاء وبيده قطة ونحرها بسكين ثم أخذ الجميع يلطخون أنفسهم بدمائها.

التحدي العلني بالفجور

وفي الوقت ذاته عندما لا تكون طقوسهم مما يخشون منها العقاب كالموسيقى والرقص فإنهم يعلنون عن أنفسهم بإقامة الحفلات الموسيقية الصاخبة في المكانات التي تسمح لهم بذلك والظهور بالملابس المنصوص عليها في دستورهم، كارتداء الثياب الملونة باللونين الأحمر والأسود، واعتمار أغطية الرأس الغريبة كالقبعة الملوّنة، وتعليق التمائم والأقراط والخزامات في الأنوف. وصبغ الأظافر بالأسود

(1) تقرير الكاتب محمد عثمان جبريل عن موقعه الشبكي.

والأحمر للفتيات بخاصة وكذلك الوجوه. وتعليق وسام الشيطان في النحور وهو النجمة الخماسية التي فصلنا عنها[1] وهو أهم تميمة تميِّزهم وغير ذلك.

وقد لا يفعل المتأدبون منهم بأجسامهم تلك البهرجة ولكنهم لا يفارقون وسام الشيطان يُظهرونه أو يخفونه تحت ثيابهم لأنهم يعتبرون أن تركه يُعَدّ بمثابة ترك الإله ويُفارقهم الإله حينذاك، هكذا علمهم نبيهم أنطون لافي أو ليفي أو لاوي:

ولا تمثل هذه المظاهر في بعض المكانات المتسامحة خرقاً للقانون أو اعتداءً على حقوق الغير، فهو شيء خاص بهم، ولكن ثمة ممارسات تعتبر من صلب طقوسهم لا يمكن إظهارها علناً كالمشاعيّة الجنسية والتعري والفُسق المتمثل بـ(السدومية) و(اللِّسبية) أي اللواط والسحاق، وطقس القداس الأسود الذي يتضمن التضحية الدموية بالإنسان والحيوان، فإنهم يخشون إذا أظهروا ذلك أن ينالهم عقاب القانون.

ولما كان بعض الشيطانيين يحبون أن يظهروا في العلن، فإنهم يستغلون تسامح السلطات في المكانات التي تؤمن بحقوق الإنسان، فيقومون بممارسة طقوسهم علناً في الهواء الطلق أو المسارح العامة، ففي عام 1994 أقاموا احتفالاً صاخباً كبيراً على أحد ملاعب (إستاد) القاهرة، وقد تحول هذا الاحتفال إلى مهرجان لممارسة الجنس وتعاطي المخدّرات.

ثم ظهرت في القاهرة عدة فرق موسيقية انخرط فيها أتباع الشيطان ومنها (فريق القَدَر السيئ) الذي قيل إنه كوّن نادياً مقرّه إحدى قاعات الرقص في حيّ الزمالك و(فريق الوردة السوداء) وغيرها.

ويلاحظ القارئ من خلال هذين الاسمين والأسماء التي ستصادفه أثناء القراءة أن الشيطانيين يتقصَّدون الابتعاد عن الأسماء التي تبشر بالخير ويتمسكون بالأسماء المنذرة بالشرّ، ومن ذلك أن أحدهم أبدل اسمه من (محمد) إلى (عزرائيل)[2].

وفي المغرب في (الدار البيضاء) يجتمع الشيطانيون في الحدائق العامة ليصخبوا على موسيقى (البلاك مِيتال)، وهي نوع من أنواع موسيقى (الروك) يمتاز

---

(1) انظر ص .???

(2) عن تقرير محمد عثمان جبريل، موقع شبكي، في 18/ 11/ 2005.

بالعزف على الآلات الموسيقية الصاخبة ذات الضجيج المدوّي[1]. وهم يرتدون رموز الشيطان: اللباس الأسود المرسوم فوقه رسومات غريبة والأقراط في الآذان بالنسبة إلى الشباب، والأقراط هذه تكون في الشفاه والحواجب والأُنوف بالنسبة للشابات. ويحملون أيضاً حُلياً وقلائد تمثل الشيطان ومنها رسم النجمة الخماسية التي ذكرناها سابقاً. ومن حولها دائرة ثم ينفضّ الجمع على إيقاعات الموسيقى الصاخبة.

وعندما أدين بعض هؤلاء وحكمت عليهم المحكمة الابتدائية في الدار البيضاء أحكاماً تراوحت ما بين شهر واحد وسنة، قامت الدنيا ولم تقعد مساندة لهم. وقد أُسست لجنة مساندة للمحكومين في قضية (عبدة الشيطان) وضمّت (30) جمعية حقوقية وفنيّة وبعض الأحزاب السياسية، وقررت اللجنة تنظيم وقفة احتجاجية أمام مقر ولاية الدار البيضاء تضمنت حفلاً غنائياً تضامناً معهم لأن قسماً من المحكومين كانوا مغنين وموسيقيين. واعتبر مسؤول لجنة مساندة الفنّانين أن الوقفة الاجتماعية تعبير عن رفض مكونات المجتمع المدني للأحكام الصادرة في هذه القضية التي تهيِّئُ لمصادرة حريّة التعبير، وطالبت الجمعية المغربية لحقوق الإنسان الحكومة بإطلاق سراح المتهمين الفنّانين.

وأفادت لجنة المساندة في بيانٍ لها أن المحاكمة التي أَجريت بحق المتهمين الأربعة عشر هي محاكمة جائرة، أدينوا على أساس أنهم يلبسون أقمصة سوداء وبحوزتهم أقراص مضغوطة لموسيقى (الهارد روك). واعتبرت أن هذه القضية تطرح مشكلة خطيرة تمسُّ مباشرة بالحرية الشخصية.

وأدان بيان اللجنة العربية لحقوق الإنسان التي يوجد مقرها في باريس حبس (14) معتقلاً وطالبت بإطلاق سراحهم فوراً.

وإزاء هذه الضجّة فإن قضية الشيطانيين لما رفعت إلى محكمة الاستئناف في الدار البيضاء، قضت في 4 أبريل/ نيسان 2003 بتبرئة أحد عشر شاباً من بين المتهمين الأربعة عشر وتخفيض الحكم الابتدائي من سنة إلى 45 يوماً في حق المتهمين الثلاثة الآخرين مع إلغاء قرار ترحيل المصري صاحب المقهى الذي كانوا يجتمعون فيه.

---

(1) ينظر: **Ency. Brita**. Heavey Metal Item.

ولا شك أن مثل هذا التساهل في العقوبات يؤدي إلى إشعال الجمرة الخفية الكامنة تحت رماد المجتمع المغربي، كما أنه يضفي صفة البطولة على هؤلاء الشباب (الثائرين) على تقاليد المجتمع المتخلفة. أضف إلى ذلك أن التربية البيتية كانت تشارك في الوقوف إلى جانب هؤلاء المنحرفين، فقد ظهر في هذه القضية أن بعض عوائل المدانين (الأبرياء) اعترضَت على الحكم وقال أحد أفراد أسرة الشباب: إنهم كانوا ضحية كتابات مُتَسرِّعة في بعض الصحف التي وصفتهم بأنهم عبدة الشيطان، وأنحى كثيرون باللائمة على جهات هاجمت هؤلاء الشباب.

وتحدثت تقارير أخرى أن الشيطانيين في (الأردن) يتخفون تحت مراكز مسموح بها قانوناً كمراكز تدليك الأجسام الرياضية، وأصبحت أعدادها كبيرة لدرجة أن محافظ العاصمة أغلق 45 مركزاً فيها كان منتسبوها يمارسون الرذيلة وقيام النساء بتدليك أجساد الرجال.

المكانة الاجتماعية للشيطانيين في البلدان العربية

تشير التقارير الواردة عن عبدة الشيطان في البلدان العربية أنهم:

1 - طلاب لذويهم مكانة اجتماعية مرموقة في عدد من الدول الخليجية حسب ما جاء في صحيفة الوطن السعودية. وقد كشفت الاستجوابات أن عشرات الطلبة ومن بينهم طلاب من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة يتبعون التنظيم ويقومون بالمشاركة في حفلاته[1].

2 - كشفت التقارير أن أعداداً لا يستهان بها من الفتيان الصغار في المرحلة المتوسطة أصبحوا ضحايا جُدُد للتنظيم في البحرين. وهناك مخاوف جِدّية أن يكون بينهم فتية سعوديون يعيشون هناك مع ذويهم.

3 - قال أحد المنتمين إنه تجاوز عدد الحضور في إحدى المرات عن (150) شخصاً غالبيتهم من الشباب دون الخامسة عشرة.

4 - جرت مثل هذه الاحتفالات في أحد الفنادق في البحرين وأن أعداداً من الشباب من السعودية حضروا إلى الفندق كمتفرجين، بينما شارك بعض المنحرفين

(1) صحيفة الوطن السعودية، الخميس 15 / 12 / 2005.

في ممارسات شاذة. وقال أحد الشهود إن بحرينيين وكويتيين وأشخاصاً من جنسيات أخرى حضروا حفل زفاف جماعي لعدد من الشواذ.

وتَلَقّى أحد الخليجيين من شخص خرج بلباسٍ نسائي يتجوّل ماشياً في أحد شوارع العاصمة البحرينية منشورات تحمل قائمة سريّة بأسماء نسائية تحمل ألقاباً متداولة وعناوين لبحرينيين من الشواذ إضافة إلى فعاليات الشهر مذيَّلة بمواقعها[1].

5 - وفي المغرب لوحظ أن عبدة الشيطان لا ينحصر وجودهم بالمدارس بل يمتد إلى الكليات[2].

وقد اتجهت الشرق الأوسط إلى كلية الحقوق بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وصرح لها طالب أصولي أن عدد أتباع عبدة الشيطان في الكلية حوالي (40) فرداً.

6 - ويحيي عبدة الشيطان احتفالاتهم بحيّ المعاريف الراقي في وسط مركز الأعمال بالدار البيضاء، ولديهم تقاليد لا يستطيع تنفيذها إلا الموسرون كالوشم على الجسم الذي يكلِّف السطر منه الذي لا يتعدى ثلاثة سنتمترات (70) دولاراً. وقد يصل هذا المبلغ إلى الآلاف لمن يريد وشم جسمه كاملاً.

7 - وفي مصر، اتُّهم اثنان وخمسون شاباً من المنتمين إلى عبدة الشيطان وكان من بينهم طبيب بأنهم كانوا يمارسون الجنس الشاذ، وقد أسسوا جماعة أسموها (جماعة أنصار قوم لوط) ووصفوهم بأنهم قوم طيبون وذوو علاقات حميدة وكانوا يقومون بأفعالهم على باخرة سياحية في نيل الزمالك.

أقول: إن هذه المكانة المرموقة التي يتمتع بها الشيطانيون تجعلهم في أمان من ملاحقة القانون لهم وبذلك يزداد عددهم. كما أنها تهيئ لضعاف الدِّين والجهلة من الناس عذراً مقنعاً لاتِّباعهم وجعلهم المقتدين نظراً لكونهم مِن أصحاب الشهادات والأفكار النيّرة وبذلك يزداد عدد تابعيهم. أضف إلى ذلك تغاضي بعض المجتمعات العربية في السعودية ودول الخليج بخاصة عن الممارسات الانحرافية كالزواج المثلي

(1) **العربية**، الثلاثاء 21 أبريل / نيسان، 2005م.

(2) **الشرق الأوسط**، العدد 28، يناير / كانون الثاني 2003م.

بجعله نمطاً من أنماط الزواج المقبول وربما الشرعي، فيتزوج الرجل بالرجل في احتفال علني كما ذكرنا ذلك سابقاً.

أما ظاهرة انتشار الزواج المثلي بين الفتيات في المناطق المذكورة فهو أمرٌ تتقبله كثير من العوائل لبناتها تخلصاً من ارتباط البنت سراً مع شاب تلتقيه في مكان خفيّ مما يسبب عاراً للعائلة وللفتاة، وسنتطرق إلى هذه الأمور بالتفصيل لاحقاً.

الفصل الثاني عشر:

الحياة الأسرية في المجتمع الشيطاني

تبادل الزوجات

تفاجأت (محكمة الأسرة) بحيّ مصر الجديدة بالقاهرة بشابة في حالةٍ هستيرية وهي تطلب الحكم بالطلاق عن زوجها، وقالت إنها تزوجت منه منذ عدة أشهر. وبعد أيام من شهر العسل فوجئت به يطلب منها أن تشترك معه ومع أصدقاء له في حفلات يقيمونها لممارسة الجنس الجماعي حيث يتبادلون الزوجات. وأخبرها أنهم مجموعة من (عبدة الشيطان) لكنها رفضت وراح يلحُّ عليها بشدة فتركت المنزل.

ولما حاولت المحكمة أن تعرض عليها استدعاء زوجها لمناقشته بعد أن شكّت بأقوالها، أخرجت صوراً لزوجها وأصدقائه وزوجاتهم وهم يمارسون الجنس الجماعي عراة ورفضت أيةَ محاولة للصلح معه.

أقول: وعلى الرغم من غرابة هذا التقرير والتقارير الأخرى الكثيرة الواردة عنهم فإن الزواج بين أنصار الشيطان على هذه الشاكلة ليس غريباً، حيث الأساس في حياتهم الزوجية هو المشاعية الجنسية: الرجال لكلّ النساء والنساء لكل الرجال كما أن الرجال لكل الرجال والنساء لكل النساء، الكلُّ (يتزوج) من الكل ويتبادل الجنس مع الكلّ وقرَّت عينك أيها الشيطان.

تبادل الزوجات في التاريخ

وهذا التبادل معروف منذ القدم في الديانات القديمة. وكان شائعاً في بلاد الفرس عندما انتشرت مبادئ (مزدك) الداعية المعاصر للملك الساساني قباذ الأوّل (489-531م) الذي دعا إلى مشاعيّة الهواء والماء والنار والمال والنساء.

وقد اهتمت الأوساط المثقّفة - في ذلك الزمان - بهذه البدعة. وقامت الطبقات الشعبية بتطبيق تعاليمها فعلياً. وقد أُعدم مزدك أخيراً على يد (كسرى أنوشروان). ولكن بدعة ذلك الداعية بقيت تمارسها بعض الفرق حيث تسرّبت في العصر العباسي إلى فرقة الخُرَّمية والخطّابية والميمونية فقالوا بحليّة النساء والأموال.

وكان للخرّمية في مستوطناتهم الجبلية ليلةً يجتمعون فيها على الخمر والزَّمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم[(1)] وهذا الوصف ينطبق على زُمَرِ الشيطانيين المعاصرين في إقامة احتفالاتهم.

وكان مثل ذلك يجري عند الراوندية والقرامطة، وقد ذكر المؤرخون أن (حمدان بن الأشعث) داعية القرامطة كان يأمر مريديه أن يجمعوا النساء في ليلةٍ معروفة ويختلطوا بالرجال، فإن ذلك من جملة الودِّ وعظيم الأُلفة، وكان الرجل يبذل امرأته لأخيه متى أحبّ[(2)].

وكان (ابن أبي الفوارس) الملقب بالصناديقي داعية القرامطة في اليمن يأمر الناس بجمع نسائهم من أزواجهم وبناتهم وأخواتهم إلى داره المسماة (دار الصفوة) ويأمرهم بالاختلاط ويحتفظ بمن تحبل منهن في تلك الليلة وبمن تلد بعد ذلك فيتخذهم لنفسه خولاً ويسميهم (أولاد الصفوة). ولا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن أخوته[(3)].!!

وكذلك كان يفعل (الراوندية)، فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته[(4)].

ويحدثنا ياقوت عن أهل (مرباط) - وهي فرضة مدينة ظفار- فيقول: إنهم عرب وزِيُّهم زي العرب القديم وفيهم صلاح مع شراسةٍ في خلقهم وزُعارة وتعصُّب وفيهم (قِلةُ غيرةٍ) كأنهم اكتسبوها بالعادة، وذلك أنه في كلِّ ليلةٍ تخرج نساؤهم إلى ظاهر مدينتهم ويُسامِرن الرجال الذين لا حُرمة بينهم ويلاعبنهم ويجالسنهم إلى أن يذهب

---

(1) **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص 269.

(2) **كنز الدرر وجامع الغُرَرَ**، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الداواداري، 6/ 50.

(3) المصدر نفسه.

(4) **تاريخ الطبري**، 8/ 83 ، إيران.

أكثر الليل، فيجوز الرجل على زوجته وأخته وأُمه وعمته فإذا هي تلاعب آخر وتحادثه فيعرضُ عنها ويمضي إلى امرأة غيره ويجالسها كما فُعِلَ بزوجته.

ثم يمضي ياقوت بالقول: وقد اجتمعتُ بـ(كيش) ـ وهي جزيرة من أعمال عُمان[1] ـ بجماعة كثيرة منهم رجلٌ عاقل أديب يحفظ شعراً كثيراً وأنشدني أشعاراً وكتبتها عنه، فلما طال الحديث بيني وبينه قلتُ له: بلغني عنكم شيءٌ أنكرته ولا أعرفُ صحته. فبدرني قائلاً: لعلك تعني السَّمَر؟ قلت: ما أردتُ غيره. فقال: الذي بلغكَ من ذلك صحيح، وبالله أقسم إنه لقبيح ولكن عليه نشأنا وإليه مذ خُلِقْنا أَلِفنا، ولو استطعنا أن نزيله لأزلناه ولو قدرنا لغيَّرناه ولكن لا سبيل إلى ذلك مع مرّ السنين واستمرار العادة به[2].

وواضح من كلام الرجل أن عادتهم تلك قد ترسَّخت في مجتمعهم رسوخاً لم تَستطع الديانة الإسلامية إزالتها، وهو راضٍ عنها رغم نعته إياها بالقُبح، ومردُّ ذلك إلى ترسُّخ الديانة (المزدكيّة) في نفوسهم.

وعند بعض الشعوب يجري تبادل الزوجات أيام الأعياد أو في مواسم معيّنة في احتفالات دينية، ويعتقدون أن ذلك يقيهم شرّ الكوارث والأمراض. ويذكر بعض الباحثين: أن تبادل الزوجات والاختلاط الجنسي بصورة عامة كان وما يزال يجري في بعض بلدان أوروبا وأنه كان يجري في روسيا في أعياد الميلاد في يوم تعميد المسيح. على أن تبادل الزوجات ومثله الاختلاط أصبح شائعاً في أوروبا وأميركا ويعتبر من باب التمتع بالحرية الشخصية إذا تمّ بإرادة الطرفين ولم يجرِ التكسب به، وقد أتيحت له نوادٍ مخصوصة يؤمها المتزوجون[3].

وبالرجوع إلى مبادئ أنطون لافي نجده قد أخذ من الأمم القديمة تقاليدهم المنافية للأديان السماوية وأدخلها في ديانته. أما إذا سألت عن هؤلاء الذين يتّبعون ديانته بشغف وسرور فإنهم لا شك مأسورون بدافع رسيس المشاعية الخبيء في لاوعيهم منذ عصور التوحش والهمجية التي كانت عليها المجتمعات البدائية.

---

(1) الجزيرة الآن تحت حكم إيران وقد انقرضت هذه العادة ولا أحد يذكرها من أهل كيش .

(2) **معجم البلدان**، 5/ 97.

3) **الزواج عند العرب والإسلام**، د. عبد السلام الترمانيني، ص 41 وما بعدها.

الأولاد في مجتمع التبادل

ومن الطبيعي أن يثمر تبادل الزوجات نسلاً بنين وبنات فكيف يكون شأنهم في هذا المجتمع المحموم بسعار الجنس المحرّم؟

يتبين لنا من خلال الطقس الشيطاني الخاص بتعميد الأطفال الذي ذكرناه[1] أنهم يُنَشِّئون أولادهم منذ نعومة أظفارهم على مشاهدة المناظر المرعبة، من سماع اسم (الشيطان) يتردّد عالياً في غرفة المعبد المجلّلة باللون الأسود، إلى رؤية الكاهن حليق الرأس بعباءته السوداء وهو يهمهم باللغة الأينوكية التي لا يفهمها، إلى الشمعة السوداء وهي تمرّر بلهيبها تحت قدمي الطفل وتُدار حوله، إلى مسح يديه الصغيرتين بالتراب وماء البحر المالح ثم رؤية السيف المسلول يلتمع أمام جبهته، إلى مشاهدة أبويه يصرخان مع الجمع المحتشد .. يحيا الشيطان . . يحيا الشيطان . . كلُّ ذلك يخلف في ذاكرة الطفل صورة لا تُنسى من صور الرعب والإرهاب.

ثم يتبين لنا أيضاً من خلال التقارير الواردة عن الشيطانيين أنهم يربون أولادهم تربية قاسية، فإنهم عندما يكون الطفل صغيراً يحاولون الإيحاء إليه بأنه (شيطان) ثم يقتلون الشعور الإنساني الرحيم فيه فيذبحون الحيوانات أمامه ثم يضعون الطفل في تابوت يبقونه فيه مدة طويلة كما يحرمونه من الأكل والشرب ويجبرونه على إيذاء الحيوانات وتفجير الدماء منها[2]. وهو نفس ما يفعله (الداعشيون) اليوم حسبما تحدثت التقارير عنهم.

والطفل عندما ينشأ على رؤية هذه الأنواع من المناظر فإنه يستسهل ارتكاب تعذيب الغير وكذلك تعذيب نفسه وهو ما يريدونه. زِد على ذلك أنه عندما يرى أُمّه أو أخته أو عمته أو خالته وهن يمارسن الجنس المحرّم مع الغرباء فإنه سيلذ له أن يفعل هكذا مع أمه أو أخته أو عمته أو خالته فيصبح حاله كحال (ساشَر مازوخ) الذي نسب إليه مرض (المازوخية)، فإنه عندما كان في الثامنة شاهد خالته (زنوبيا) المتزوجة تمارس الجنس المحرّم مع عشيقها، فشعر بشيء من الانجذاب نحو خالته يشبه الانجذاب

---

(1) انظر ص 190.

(2) عن مجلة الشراع اللبنانية، تقرير الصحفية هالة.

الجنسي. وذكر هو أنه عندما طلبت منه خالته مرّةً أن يعقد شريط حذائها المحلول أسرع بتنفيذ أمرها ولم يقاوم نفسه عن تقبيل الحذاء الذي كان منحنياً عليه بشغف.

وعندما كبر (مازوخ) وتزوج راح يستدرج زوجته بدأبٍ وبراعة إلى إساءة معاملته معنوياً وبدنياً. فكان يطلب منها أن تدوسه بقدميها أثناء ما كان يقوم بتقبيل ذينك القدمين[1].

ويكشف هذا الداء لنا السرَّ في تلذذ الشيطانيين بشرب دماء الحيوانات المعذَّبة المذبوحة أو أبوال نسائهم وتجريح أنفسهم ولعق دمائها وذلك ينفعهم -حسب زعمهم- باكتساب الشجاعة وعدم التقزز من الأشياء القذرة التي تشمئز منها النفوس وتقشعر الأبدان كرؤية جثث الموتى، فكانوا يدربونهم على استخراج الجثث حديثة الدفن وممارسة الجنس معها.

من خفايا المجتمعات الشيطانيّة

تاريخ الفعل:

إن فعل الذكور بالذكور المسمى بالعربية (لواطاً) نسبة إلى قوم النبي (لوط)[2] ويسمى بالإنكليزية (Sodomy) نسبة إلى مدينة (Sodom) القديمة في فلسطين والتي سكنها النبي واشتهر أهلها بهذا الفعل. هو من الممارسات الجنسية المتجذرة بين البشر قبل قوم لوط بسبب العزلة بين الجنسين في العصر (المتريركي) (Matriachy) وهو عصر سيادة المرأة الأُم على كافة مفاصل المجتمع، فكان من تقاليده أن يطرد الذكور ويعيشون في تجمعات خاصة بهم، فانتشر بينهم فعل الذكور بالذكور وكانت النساء يعشن في تجمعات خاصة بهن يقمن بإدارة شؤون مجتمعهن فانتشر بينهن فعل الإناث بالإناث.

وكان من مدن الإناث مدينة الرِّسّ انتشر بينهن السحاق، وذكروا من مدن الذكور خمس مدن هي: سدوم وعمورة وأَدَمة وصَبوبيم وبالَع التي هي صوغر انتشر بينهم اللواط[3].

---

(1) **المازوخية**، ساشا ناخت، ص38، ترجمة مي طرابيشي، دار الطليعة، 1983م.

(2) **لوط**: هو ابن أخي النبي إبراهيم. ومعنى لوط في العبرانية (سِتْرٌ) وفي العربية يفيد معنى الالتصاق من المصدر: اللّواط. تقول: لاط حُبُّه بقلبي أي لصق ومنه اشتق اسم النبي (اللسان، لوط).

(3) **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست، مادة: لوط.

ورغم تحذير الأنبياء القدماء واللاحقين وخاتمهم النبيّ محمد ﷺ من خطورة هذه الممارسة ووضع العقوبات الشديدة لمرتكبيها فإن التحذير والعقوبات لم تنهها واستمرت تجري في كافة المجتمعات، حتى إذا حلّ العصر العباسي ازدهرت الممارسة بقوة وصار لها فلاسفة أخضعوها للمنطق والعقل ودعوا الناس إلى ممارستها بحريّة وطلاقة وعدم التحرج منها، فهي تربط الناس ببعضهم وتقوي العلائق الروحانية بينهم حسب زعمهم.

العزاقري فيلسوف الفعل

وقد ظهر في هذا العصر رجل يدعى أبا جعفر محمد بن عليّ الشَّلمغاني - نسبة إلى شلمغان، قريةٍ في واسط جنوب العراق - وعرف كذلك بابن أبي العزاقر، قالوا عنه هو فيلسوف وزنديق، يعني أنه يؤمن بفلسفة الزندقة وهي ديانة ثنوية تقول بوجود إلهين: إله للنور وإله للظلام، وأصحاب هذه الديانة لا يؤمنون بالآخرة ولا بالربوبية ويقولون بأزلية العالم. ثم اتسع معنى الزندقة فشمل الدّهريين والملحدين والمجوس وكلّ متحرر من أحكام الدين الإسلامي فكراً وعملاً[1].

1 - إباحته الفروج:

وقد أباح الشلمغاني أو (العزاقري) حسبما يطلق عليه أحياناً، للمؤمنين به ترك الصلاة والصوم، كما حلّل لهم إصابة الفروج على زعم أن الفاضل لا بد أن ينكح المفضول ليولج فيه النور. ومن امتنع عن ذلك يعاقب بالانمساخ في الدور الثاني (يقصد العودة الثانية إلى الحياة). وقال بالتناسخ وبحلول الألوهية فيه وأن الله جَلّ وعزّ يَحِلُّ في كل شيء بِقَدرْ ما يحتمله (أي بقدر ما يحتمله ذلك الشيء من حلول الله فيه).

وكان له قوم يدَّعون أنه إلههم وأن روح الله حلَّ في آدم ثم في شيت ثم في واحدٍ من الأنبياء والأوصياء والأئمة حتى حلّ في (الحسن العسكري) وإنه حَلَّ فيه بعد ذلك. ووضع كتاباً اسمه (الحاسة السادسة) أباح فيه الزنى والفجور.

---

(1) يذهب المجوس إلى أن الله تعالى هو النور الأعلى وهو (يزدان) وإن الشيطان من جنس الظلمة وهو (إهرمن) انظر: **رسائل المرتضى**، 2/ 284 . وقد عرف المجوس نكاحهم للمحارم كالأم والأخت.

وكان أصحابه يبيحون حُرَمَهم، بناتهم وأمهاتهم وأخواتهم وكلَّ ما يحرّم نكاحه مما حَرّمته الشريعة، بمعنى أنهم كانوا بقيادته يمارسون الجنس المشاعي.

2 ـ بين العزاقري وأنطون لافي:

وذكروا أن ابن أبي العزاقر (وهو الشلمغاني نفسه) كان يَدّعي أنه حقُّ الحق وأنه إله الآلهة والأول القديم، الظاهر، الباطن، الخالق، الرزاق، التام، الموصى إليه معنًى ويدعى بالمسيح.

وكان يقول إن الله عزّ علاه يحلُّ في كل شيء على قدر ما يحتمل، وأنه خلق الضدّ ليدلَّ به على ضدّه، فمن ذلك أنه تجلّى في آدم ﷺ لـمّا خلقَهُ وفي إبليس وكلاهما لصاحبه يدل عليه لمضادّته إياه في معناه. وإن الله إذا حلّ في هيكل جسد ناسوتي أظهر من القدرة المعجزة ما يدل على أنه هو (أي هو الله).

أقول: ومن الغريب أن نجد هذا المعنى يتردّد في بعض أقوال أنطون لافي لأصحابه: (الإنسان هو الله والله هو الإنسان)(1):

Man is God، God is Man

وقوله الآخر: (الله الذي تضمُّهُ من المحتمل أن يكون أنت)(2):

The God you Save may be Yourself

3 ـ فلسفة خلق الأبالسة:

ثم يمضي الشلمغاني بالقول: ولما غاب آدم ﷺ ظهر اللاهوت في خمسة ناسَويَّةٍ، كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه غيره وفي خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة. ثم يُعَدّدُ بعد ذلك الأنبياء وأبالستهم إلى أن يقول: اجتمعت اللاهوتية في عليّ بن أبي طالب وإبليسه، وتفرقت بعدها إلى أن اجتمعت في ابن أبي العزاقر وإبليسه.

ثم يقول: إن الله يظهر في كلّ شيء بكلّ معنى وإنه في كل أحدٍ بالخاطر الذي يخطر بقلبه فيتصور له ما يغيبُ عنه كأنه يشاهده. وإن الله اسمٌ لمعنى ومن احتاج إليه

---

(1) The Santanic Rituals, P. 88،89

(2) The Satanic Bible, P. 144

الناس فهو إلههم ولهذا استوجب كلُّ كفيٍّ (أي الذي يقوم بأمرك) أن يسمى الله. ولهذا كان كلّ واحدٍ من أتباعه يقول: إني رَبُّ فلان، وفلان ربُّ فلان، حتى الإنتهاء إلى ابن أبي العزاقر فيقول: أنا ربُّ الأرباب وإله الآلهة، لا ربوبية لربٍّ بعدي. وهم لا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن من اجتمعت له اللاهوتية لم يكن له والد ولا ولد.

4 - تبادل الزوجات بين العزاقريين:

وجاء أن العزاقريين يغتفرون ترك الصلاة والصيام والاغتسال وأنهم لا يتناكحون بتزويجٍ على السنّة ويبيحون الفروج، فروج حرمهم. وأن لا شيء عندهم في ملامسة الرجلٍ نساء ذوي رحمه وحُرم صديقه وأبيه بعد أن يكون على مذهبهم، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته ويردُّها إليه فيبعث بها إليه بطيب نفسه.

5 - محاكمة العزاقري وقتله:

وقد اتبعه من الطبقة الشعبية رجالٌ ذكر منهم (مرزوق الثلّاج) الذي كان بائع ثلج وآخر يعرف بـ(ابن شيث الزيات) وكان بائع زيت. كما اتبعه من طبقة المثقفين (إبراهيم بن محمد بن أبي عون الكاتب) وكان من أهل الأدب وله عدة كتب منها: كتاب النواحي في أخبار البلدان وكتاب الجوابات المسكتة، وكتاب التشبيهات، وكتاب بيت مال السرور، وكتاب الدواوين، وكتاب الرسائل.

واتبعه من طبقة الخاصة الوزير حسين ابن الوزير القاسم بن عبد الله بن وهب وزير المقتدر وبسطام وإبراهيم ابنا أبي عون فطلبوا فتغيّبوا. فلما كان في شوال من سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، ظفر الوزير ابن مُقلة بهم واستفتى القضاة والفقهاء في أمر ابن أبي العزاقر وصاحبه إبراهيم بن أبي عون وسائر من على مذهبه ممن وُجدت له كتب ومخاطبات، فأفتى من استفتي منهم بقتلهم وإباحة دمائهم، وكتبوا بذلك خطوطهم فأمر أمير المؤمنين الخليفة الراضي بالله بإحضار ابن أبي العزاقر وابن أبي عون وأمر بأن يجلدا، ثم أوعز الخليفة بصلبه وصلب ابن أبي عون فصلبا في أحد جانبي مدينة السلام ثم قتلا ونصب رأساهما وأحرقت جثتاهما.

وذكر أن الوزير لما أحضر العزاقري وابن أبي عون أمر ابن أبي عون أن يصفع العزاقري، فمدّ إليه يده فارتعدت ثم قبّل لحيته ورأسه وقال: إلهي ورازقي وسيدي.

فقال الراضي للعزاقري: زعمت أنك لا تدعي الألوهية فما هذا؟ قال: وما عليّ من هذا؟ والله يعلم أنني ما قلتُ له إنني إله قط. فقال ابن عبدوس: إنه لم يدَّع الألوهية وإنما ادعى أنه (الباب) إلى الإمام المنتظر[1].

محاكمات معاصرة للشواذّ أشباه العزاقريين

جاء في إعلان رئيس محكمة أمن الدولة العليا بمصر المستشار (محمد عبد الحكيم) بأن من أسباب الحكم الذي أصدره في قضية الشواذ التي تضم (52) شاباً من المنتمين إلى جماعة (عبدة الشيطان) في مؤتمر صحافي (15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2001)، أن عقاب (23) متهماً بينهم طبيبان يرجع إلى إدانتهم بإباحة عرضهم لغيرهم من الرجال «وانتمائهم إلى جماعة تدعى (أنصار قوم لوط) ووصفوهم بأنهم قومٌ طيّبون وذوو علاقة حميمة كما اعتبروا (البحر الميت) قِبلةً لمريديهم يصلّون ويحجون إليه كل عام» ومعروف عن البحر الميت أنه كان مساكن قوم لوط فخَسَفَ الله أرضهم عقاباً لهم فصار بحراً مَيّتاً ليس فيه حياة. وكان قوم لوط يتبادلون الفاحشة مع بعضهم، الرجال مع الرجال والنساء مع النساء. كما الحال عند العزاقريين وعند اللاقيين عبدة الشيطان المعاصرين.

وفي البحرين قال عضو كتلة المِنبر الوطني الإسلامي إنه يبحث (مع أعضاء آخرين) عن مدخل قانوني لمنع تنظيم حفلات الشاذين في الفنادق، مُشيراً إلى أن القانون لا يوضح تصنيفات حول الجنس الرجالي، وبالتالي لم نتمكن من منع الحفلات المشبوهة قبل حدوثها. والظاهر أنه يقصد بالحفلات المشبوهة ما أشيع في البحرين عن وجود طائفة تضم أكثر من (150) شخصاً من عبدة الشيطان أقاموا ثلاث احتفالات تضمّنت الرقص العاري وتناول المشروبات الكحولية أو المخدرات على وقع موسيقى صاخبة قبل أن يدخل الجميع في حالة هيجان عامة تؤدي إلى الإِغماء فيما يتخلّل ذلك من ممارسات لا أخلاقية شاذة[2].

---

(1) **المصادر**: **الفرق بين الفرق**، ص 249 – 250، **وفهرست ابن النديم**، ص507، **ومعجم الأدباء**، 1/ 234 – 253، **ومعجم البلدان**، 3/ 359.

(2) تقرير على الأنترنت، **العربية**، الأربعاء 4 ربيع الأول 1436 هـ، 13 أبريل/ نيسان 2005م.

ويتبين لنا من خلال تقرير آخر أن احتفاليات للزواج بين رجل ورجل تُعقَد في فنادق (المنامة) . . وقد حضر شهود سعوديون كمتفرجين بينما شارك بعض المنحرفين في ممارسات شاذة.

وقد ذكر التقرير أن ثمة حفل زفاف جماعياً لعدد من الشواذ أقيم في البحرين على مرأى من أشخاص بحرينيين وأشخاص من جنسيات مختلفة أخرى. وقد شوهد أحد الشواذ ماشياً بملابس نسائية في أحد شوارع العاصمة البحرينية[1].

ولا بدّ لنا أن نشير إلى أنه ليس كل اللّواطيين هم من عبدة الشيطان، فاللواط معروف عند جميع الأُمم منذ القدم وقد اشتهر به قوم لوط النبيّ وجاء ذلك في القرآن الكريم وقد اشتق الفعل من اسم النبيّ وكانت عندهم مجالس شبيهة بالنوادي يمارسون فيها إتيان الذكور من أدبارهم. قال تعالى يخاطبهم: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]

وكان (المأبُونُ) وهو الذي يؤتى ويُفعل به الفاحشة ويسمى (المؤاجَر) يُبرقعُ لحيته أي يتزيّا بزيّ مَن لَبِسَ البرقع فكان يُعرف بهذه السِّمة وكذلك سمات المنحرفين الشيطانيين المعاصرين تعرف أيضاً بلحاهم التي يُنسب ابتكارها إلى أنطون لافي. وقد ذكرنا شكلها سابقاً.

من خفايا المجتمعات الشيطانية

فعل الإناث بالإناث وتعدُّد أسمائه والكنايات عنه:

الإناث بالإناث: كناية عن السُّحق، بضم السين، وهو عبارة في عرف الشرع عن فعل الأُنثى بالأنثى كما أن اللواط عبارة عن فعل الرجال بالرجال[3].

وعرف عن النساء في المجتمع الشيطاني أنهن يفعلن كما يفعل الرجال مع بعضهم حيث يقمن بإطفاء شهوتهن بتلك الوسيلة ويكتفين بها، حيث إن المبدأ

---

(1) تقرير على الأنترنت، **العربية**، الأربعاء 4 ربيع الأول 1436 هـ، 13 أبريل/ نيسان 2005م.

(2) سورة العنكبوت،الآية: 29 وما بعدها.

(3) **السرائر**، ابن إدريس الحلي، 3/ 463، ط. الثانية 1411هـ، قُم.

عند الجميع واحد هو مبدأ إشباع الجسد في الدنيا، فليس في ديانة الشيطانيين جنة بعد الموت ولا نار سَجَّرها جبارها لعقابهم (لذا توجب على العضو أن يسمو بنفسه وقدراته إلى قمة العاطفة والتلذذ والتأثر والانفعال . . . الحياة عندهم هي الشهوات والملذات . . والموت هو الذي سيحرمنا منها، اغتنم الفرصة الآن للاستمتاع بهذه الحياة فلا حياة بعد الحياة ولا جنة ولا نار، العذاب والنعيم هنا. ارتبط مع من تحب جنسياً، خذ شهوتك ممن تحب فعابد الشيطان لا يتقيد في رغباته الجنسية بأحكام للبشر أو قوانين . . الشيطان هو الذي سيحرز النصر على الله في آخر الزمان)[1].

ولا شك أن هذه الدعوات والوصايا تجتذب المنحرفين من المرضى بالشذوذ الجنسي ذكوراً وإناثاً وتفتح الباب الموصد أمامهم للشروع في اجتناء الملذات قبل الأوان والانغمار بها، ويتطور الأمر بهم إلى حدّ أن يتزوج الرجل رجلاً وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابق، ويصير الأمر أيضاً إلى أن تقترن الأنثى بالأنثى ويحدث بينهن نوع من الاتحاد والاقتصار أشبه باقتصار الزوج على زوجته. وقد يحدث ذلك في السّر وقد يحدث ذلك في العلن كما سنرى، ولا يمتنع أن يكون الفعل بين البكر والبكر أو بين الثّيب والثّيِّب، أو بين الثّيب والبكر وهذا هو الأخطر إذا كانت الثيب ذات زوج يلامسها حيث تؤدي المساحقة إلى حمل العذراء.

وقد كثرت الأسماء التي أطلقت على الفاعلات منذ أول ما عرفن في التاريخ وحتى هذا اليوم، وسنذكر بعض ما وقفنا عليه من أسماء ونبدأ بأقدمها ذكراً في التاريخ.

الأسماء العربية

1 - الرَّسيات

نُسب السُّحق في المأثورات الإسلامية إلى المكان الذي كان يمارس فيه وهو مدينة (الرَّسّ) فأطلق على السحاقيات اسم (الرَّسّيات). وكانت نساء أهل الرَّس يتعاطين هذا الفعل ويشتغلن بالنساء عن الرجال، وكان الرجال يستحسنون منهُن هذا الفعل، وكانت نساؤهم كلهن سحّاقات فعاقبهم الله تعالى بالهلاك بريحٍ عاصفة شديدة الحر[2].

---

(1) **عبادة الشيطان وشيطان القديسين**، مكتبة الكتب المسيحية، موقع شبكي.

(2) **تفسير القرطبي**، 33/ 136.

وزاد بعضهم بأن الله تعالى جعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد وأظلتهم سحابة سوداء مظلمة فانكسفت عليهم كالقبة جمرة تلهث فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار[1].

ويبدو لنا من خلال هذا الوصف أن الله تعالى أهلكهم بانفجار بركان وأن أرضهم كبريتية كثيرة الجبال. وقد اختلف المفسرون في موقعها، فقال بعضهم إن الرسَّ قرية باليمامة يقال لها (فَلج). وقيل الرَّسُّ وادٍ في أذربيجان يقال كان هناك ألف مدينة، فبعث الله إليهم نبياً يقال له موسى-وهو غير النبي (موسى) نبي اليهود- فكذبوه فدعا عليهم فحوّل الله إليهم جَبَلَي (الحارث) و(الحويرث) من الطائف فيقال إن أهل الرسّ تحت هذين الجبلين. وهناك أقوال أخرى أكثرها يقع في مجال الأساطير[2].

2 - اللّواتي باللّواتي

كناية مستورة عن الرّسيات شاعت في العصر العباسي وذاك أن رجلاً سأل الإمام الصادق (80-148هـ/ 69-765م) عن الآية ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾[3] من هم أصحاب الرس؟ فأشار بيده هكذا: مَسَحَ إحداهما على الأخرى وقال: هنّ اللّواتي باللّواتي. يعني: النساء بالنساء[4].

وتذكر رواية أخرى أن امرأة دخلت على الصادق فقالت: ماذا تقول في اللواتي مع اللواتي؟ فقال: هنّ في النار. فقالت: فليس هذا في كتاب الله. قال: بلى. قالت: أين؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾[5].

ويظهر لنا من خلال كلام المرأة أن مصطلح (اللواتي باللواتي) كان معروفاً بين الشعب في ذلك العصر ويعني السحاقات. وقد جاء في مجمع البحرين عن تفسير عليّ بن إبراهيم: أهل الرسّ هن اللواتي باللواتي وهنّ الرّسّيات أي السحاقات[6].

---

(1) **مستدرك الوسائل**، الميرزا النوري، 8/ 86.

(2) ينظر: **دائرة معارف البستاني**، مادة: رس. **ومعجم البلدان** لياقوت، مادة: رَسّ

(3) سورة ق، الآية: 12.

(4) **تفسير الثقلين**، الشيخ الحويزي، 5/ 106.

(5) سورة الفرقان، الآية: 38.

(6) **مجمع البحرين**، 4/ 75

3 ـ الظريفات

وفي العصر العباسي ظهرت عنهن كناية (الظريفات) ابتكرنَها هُن لأنفسهنّ، فإذا قلن: فلانة ظريفة، عُلِمَ بينهن أنها سحّاقة. وكنّ يتعاشقن كما يتعاشق الرجال بل أشد. وتنفقُ إحداهن على الأخرى كما ينفق الرجل على عشيقته، بل أكثر أضعافاً مضاعفة حتى يبلغن فيه على الإنفاق الألوف والملايين[1]. وهو ما ستجده حاصلًا اليوم بين المتعاشقات في بعض البلاد العربية[2].

وظهرت في العصر نفسه كنايات أخرى عنهن كان الشعب يتداولها، ومن هذه الكنايات يقولون: فلانة ترقع الخرق بالخرق، وتتقي التِّرس بالتِّرس[3].

4 ـ أُمهات الباجيات

كناية شعبية عراقية معاصرة عنهن تدور بين النساء بخاصة فإذا قالت واحدة: إن فلانة تحبّ باجيّات، عرف أنها تحب السحق. والكلمة مأخوذة من لفظة (باجي) التركية أو الفارسية، ومعناها الأخت الكبرى، وتدل على الاحترام وتستعمل الكلمة بمعنى الاحترام في التخاطب بين امرأتين متفاوتتين في العمر تقولها الصغرى للكبرى أو على معارفهن، ولا تزال قيد الاستعمال في محيطنا على هذا الأساس. وكنت في صغري أطلقها على جارتنا المرحومة نجيّة فأقول (باجي نجيّة) احتراماً لها.

إلا أنه صار لها استعمال آخر في الكنايات لتعطي معنى السحّاقة، وجمعها (باجيات) بمعنى المساحقات فإذا قيل عن واحدة إنها (أم الباجيات) كان ذلك يعني أنها تحب السحق.

وقال الشيخ جلال الحنفي: إن اللفظة من التركية بمعنى الرفيقة وقيل إنها فارسي. وباجيتي أي أختي. والباجيّة المرأة تتخذها الأخرى رفيقة لها والباجيات: المتعاشرات[4].

---

(1) **نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب**، التيفاشي، ص 236 وما بعدها.

(2) انظر: البويات في دول الخليج ص 222.

(3) **الكنايات**،الجرجاني،ص 33.

(4) **معجم اللغة العامية البغدادية**، الشيخ جلال الحنفي، 428/1.

5 - الزبقچيات

وفي بغداد يطلقون على المساحقة اسم (زبقچية). يقول القاضي المحقق عبود الشالجي: ولم أستطع أن أرد الكلمة إلى أصلها على أن لفظة (المساحقة) مُوَلَّدة على ما ذكر لسان العرب.

ويضيف الشالجي: ويبدو أن السحق كان منتشراً بين نساء الطبقة الأرستقراطية في المجتمع البغدادي. وعندما جاءت (سلطان بَخْت) ابنة تيمورلنك إلى بغداد أفسدتها النساء البغداديات فصارت من السحّاقات. ذكر هذا (القَرَماني) في تاريخه[1].

6 - الحكّاكات

ويطلق العامة في العراق أيضاً على السحاقات اسم (الحكاكات) واحدتهن حكّاكة. وتحاككن بمعنى صنعن ذلك الفعل. والمصدر التحكك وهو في الفصحى (الحكّ) ومعناه إمرارُ جرمٍ على جرمٍ صكّاً. وتحاكّ الشيئان: أصكَّ جرماهما فحَكَّ أحدهما الآخر[2]. وهو أصدَق وصفٍ للفعل.

7 - الحَبْلات

كناية أردنية عن السحاقات واحدتها (الحَبْلة). ولم أجد لهذه اللفظة أصلاً في القواميس. ولعلها جاءت من المجاز في قولهم: وصَلَ حَبْلهُ بفلان أي صادقَهُ وخالَه. وقد تكون أخذت من فعل (الحَبْلَة) وهي نبتة اللبلاب التي من طبيعتها أنها ترتفع بالالتواء لولباً على نبات آخر[3].

8 - العذارى بالعذارى

وفي عصرنا أيضاً ابتدع الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري النجفي اسماً جديداً للمساحقات هو: العذارى بالعذارى. يمكننا أن نضّمه إلى قائمة الأسماء. يقول:

بدا الفجرُ وضّاح السنى من ورائه ... بدتْ صفحةٌ تزهو بعشق الحبائب

غرامُ (العذارى بالعذارى) ولم يكن ... غرامٌ كهذا ثَم إحدى العجائب

---

(1) **موسوعة الكنايات العامية البغدادية**، 2/ 116. **وتاريخ القرماني**، ص 291.

2) **لسان العرب**، مادة حكَّ.

3) **تكملة المعاجم العربية**، دوزي، مادة: حَبَل.

الأسماء الأجنبية

اللِّسبيانيات والسافويّات:

اعتادت الفتيات في مجتمع أنطون لافي أن يجهرن بانتمائهن إلى (الأخوية الشيطانية) عن طريق ارتداء الملابس المعلّمة بالرموز الشيطانية وكتابة كلمات ذوات مداليل رموزية تشير إلى ذلك الانتماء، ومن هذه الكلمات قُرئت كلمة (Lesbian) على قميص (T. Shirt) ارتدته إحدى المراهقات وراحت تخطر به بلا وَجَل أو حياء بين الناس. والكلمة هذه تعني أن الفتاة (سحّاقة)، تطلب فتاة أخرى تتساحق معها.

وقد اشتقت هذه الكلمة من (Lesbos) وهي جزيرة تقع في بحر (إيجة) غرب اليونان مقابلة للساحل التركي وكانت من ضمن الإمبراطورية العثمانية.

وقد عرفت هذه الجزيرة منذ القدم بأن نساءها يتعاطين السحق كأخواتهن نساء مدينة (الرس) ولذلك صار الشذوذ المثلي الأنثوي في الغرب ينسب إلى هذه الجزيرة فقالوا عنه (Lesbianism) وأطلقوا عليه أيضاً اسم (Sapphism) نسبة إلى الشاعرة اليونانية السحاقية المشهورة سافو (Sappho) التي نشأت في هذه الجزيرة وأنشأت فيها صالونات للأدباء والفلاسفة والمثقفين يجتمعون عندها[1]. يعني أنها أنشأت نوادي كنوادي أهل لوط التي مَرّ ذكرها.

ولدت سافو في الجزيرة المذكورة سنة (610 ق.م) وتوفيت سنة (570ق.م) ونبغت بصفة خاصة في الشعر الغنائي، وقد أثارت الإعجاب بقصائدها وأسلوب كتاباتها في جميع العصور اللاحقة، وعُدت مرتبتها في الشعر بمنزلة (أركيلوكيوس) و(الكايوس)[2]. وقد وصفها الفيلسوف اليوناني أفلاطون بعد قرنين من وفاتها بأنها (الميوسة العاشرة) (The Tenth Muse)[3].

وقد انتشرت في الجزيرة ديانة يطلق عليها اسم (ديانة ثياسوي) (Theasoi) وهي عبارة عن تجمعات نسائية تقيم طقوس الديانة داخل غُرف تعرف بـ(الصالونات

---

(1) **Ency. Brita**. Lesbianism Item.

(2) **Ency. Brita**. Sappho Item.

(3) في الأساطير اليونانية أن ملهمات الفنون تسعة ميوسات (Nine muses) وهن جميعاً أخوات ووالدهن كبير الآلهة (Zeus) وقد عشّرهن أفلاطون بسافو تكريماً لها.

Saloons) تقتصر على النساء دون غيرهن، وقد لعبت هذه الديانة دوراً كبيراً في ديانات أوروبا القديمة وبخاصة الديانة اليونانية. وليس من المستبعد أن يكون من جملة هذه الطقوس ممارسات للحب بين النساء واستخدام التساحق بينهن، ونساء الجزيرة كما ذكرنا مهيئات لهذه العادة.

اعتنقت شاعرتنا الجميلة سافو هذه الديانة وهيأت صالونها الخاص بها وراحت تجمع فيه النساء والفتيات المؤهلات للزواج، فتدربهن على وسائل ترشيق أجسامهن ليصرن مؤهلات من أجل الحبّ وتعلمهن الرقص والغناء وكذلك فن التمثيل بأن تجعلهن يُقمن بأدوار مركزية في المسرحيات الشعرية وغير ذلك من فنون محيطها المترع بجمال الطبيعة الساحرة ومناظر الجبال والوديان والشلالات، حيث نجد هذه الصور في قصائدها المتبقية، نجدها تحتوي على وصف الأوراد والأكاليل الزهرية ووصف المناظر الخَلويّة ومحاريب المعابد المضمخة بدخان البخور والعطور والأدهان العطرية، وهي تُرشُ على الأجساد التَّرِفة وتغتسل الفتيات بها. وكانت هذه الوسائل هي مجموعة الطقوس التي تستعمل في عبادة (أفروديت) إلهة الحب وتمارس في صالونات الديانة الثياسَويّة.

وكانت سافو الخادمة والصديقة لهذه الإِلهة وقد جعلت نفسها الوسيطة بينها وبين البنات، فإذا أرادت إحدى الفتيات أمنية خاصة توسلت بالإِلهة بشفاعة سافو.

وقد أحبت الشاعرة إحدى الفتيات المشاركات في صالونها حباً شديداً. ظهر ذلك في قصيدة لها عنوانها (إلى أفروديت) تتوسل بواسطتها بالإلهة أن تتجلّى وتظهر كما كانت تفعل في الماضي لتساعدها في إقناع تلك الفتاة على معاشرتها، ويبدو أن الفتاة كانت لا تريد هذا النوع الشاذ من الحب ، الحب السافوي.

انتهت حياة الشاعرة بالموت انتحاراً بسبب عشقها غير المتبادل مع شاب بحّار يدعى (فاون Phaon) فتسلقت صخرة (لوكاديان) في البحر وقفزت منها إلى الماء فماتت غرقاً، ولكن اسمها بقي رمزاً لفعل السحق الذي ينتشر الآن بين المراهقات المحدثات في العالم وكذلك في العالم العربي وهو ما سنبحثه فيما يأتي.

أولاد المساحقات:

وطبيعي لا ينتج عن فعل المساحقات أولاد إذا كن عذراوات، ولكن إذا ساحقت امرأة ذات بعل أخرى عذراء فقد تحبل العذراء من ماء زوج صاحبتها. وفي هذه الحالة لا تحدث مشكلة في المجتمع الشيطاني الغربي، ولكنها إذا حدثت في المجتمع الإسلامي فستكون فيه مشكلة عويصة تستوجب إقامة الحدّ على الطرفين وهذا يقرره الفقه الشرعي. وقد جاء أنه في خلافة الإمام علي حدثت مثل هذه المشكلة إذ جاء ناسٌ إليه ليسألوه عن امرأة جامعها زوجها فلما قام عنها قامت بِحَموتها (بحرارتها) فوقعت على جارية بِكر فساحقتها فوقعت النطفة فيها فحملت، فطلب هؤلاء الناس رأي الإمام فيها ولم يكن الإمام حاضراً في ذلك الوقت فأجابهم عنه ابنه الحسن قائلاً:

«يُعمد إلى المرأة فيؤخذ منها مَهرُ الجارية البكر في أول وهلة لأن الولد لا يخرج عنها حتى تشق فتذهبُ عذرتها ثم ترجم المرأة لأنها محصنة وينتظر بالجارية حتى تضع ما في بطنها ويردُّ الولد إلى أبيه صاحب النطفة ثم تجلد الجارية الحد».

وعندما حضر الإمام علي واطلع على فتوى ابنه الحسن أقرّها[1].

وكانت بعض النساء يلجأن إلى هذا النوع من الاكتفاء الجنسي خوفاً من الحبل وتحمُّل أعباء الذريّة.

وقد حَدَّث إسماعيل بن محمد قال: حدثتني (قُرَيش القوّادة) قالت: قلت لجارية مرَّةً: فلان يحبك. قالت: وأنا أحبُّهُ. قلت: فلم لا تزورينه؟ قالت: خوفاً من أن نصير ثلاثة. كنّت بذلك عن أنها يمكن أن تحبل فيصيرون ثلاثة.

وكان بعض الرجال يعلمون بصنع زوجاتهم ويشجعونهن عليه من أجل عدم الإنجاب، وقد قيل لرجلٍ: امرأتك تساحق. قال: إذن أعفتني من الذي يعمل الفِطام في الجوف. دعها تفعل ما أحبّت.

وقالت إحداهن:

شربتُ النبيذ لحبّ الغَزَل ... وملتُ إلى السُّحق خوف الحَبَل

---

(1) **مجمع الفائدة**، المحقق الأردبيلي، 13/ 121، الناشر جامعة المدرسين، قم.

فضاجعتُ في خلوةٍ حِبَّتي ‏‏ وِفقت الرجال بطيب العمل

إذا كان سحقي لها مقنعاً ‏‏ غَنيتُ به ورَفضتُ الرجل[1]

وللمساحقات طبائع وأذواق سجلتها الكتب وتناقلها الرواة بالمشافهة مع كبارهن. فمن سُننهنَّ أنهن لا يتناولن ما فيه مشابهة من (هَنِ الرجال) أي ذكورهم، فلا يأكلن القِثاء ولا الجزر ولا الباذنجان لأجل ذَنَبه ولا يشربن من الكأس لطوله ولا من القناني لمكان عنقها ولا من الأباريق لوجود البُلبلة ولا يتناولن المراوح لذَنبها، ولا يقعدن في مجلسٍ فيه ناي ولا طنبور لعُنقها، ولا يأكلن العصب ولا المبعَر المحشوّ (الممبار). والكبار منهن لا يصلين لأجل الركوع ولا يتخذن الديوك ولا الحمام لسفاده، ولا يكتحلن لدخول المِيل في العين[2]. وهذا يعني أنهن لا يقربن من كل شيء يشبه عضو الرجل.



(1) نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، التيفاشي، ص 242 وما بعدها.

(2) محاضرات الأدباء، الراغب الأصبهاني، 3/ 247.

على هامش المجتمعات الشيطانية
مجتمع المسترجلات

توطئة

من خلال العودة إلى الأبيات السالفة التي قالتها إحدى المساحقات عن نفسها وتأمّل قولها:

وفقتُ الرجال بطيبِ العمل

يتبين لنا أن ثمة متعة جنسية كانت تقودها إلى ذلك العمل. وهذه المتعة هي متعة أن تكون رجلاً، وبمعنى أوضح رغبتها في اتخاذ صفة الرجل طبعاً لها، أي أن تكون (مسترجلة) حسب التعبير الشعبي الشائع بيننا ويقابله في الإنكليزية لفظة (Manish) والمسترجلة من طبيعتها أنها (ترفض الرجل) اكتفاءً بصاحبتها وقد صرّحت هي بذلك وقالت:

إذا كـــان سُحقي لـــها مقنعـــاً   غنيــتُ بـــه ورفضـــت الرجـــل

وليس هذا مقصوراً على المرأة وحدها، بل يشاركها الرجل فيه، فنجد من الرجال من يميل إلى التشبه بالأنثى في سلوكياتها في التصرفات وفي التفكير والمظاهر الحياتية الأخرى من لباس أو زينة أو طريقة المشي والحركة أو الكلام مما يبدو واضحاً بأنه أقرب للأنثى منه إلى الذكر. فيقال عنه حينذاك إنه (مُخَنَّث). والكلمة معروفة في تعابيرنا الشعبية وهي صفة مستنكرة محتقرة وتقابلها في الإنكليزية (Womanish) ولها عندهم صفة الاحتقار الاجتماعي نفسها التي عندنا.

وتعرف تلك الحالات في علم النفس بـ(ثنائية الجنس) وهي صفة مغروسة في بايولوجية البشر منذ أن خلقوا. وكان العالم (دارون Darwin) أول من استعمل

المصطلح ثنائية الجنس (Bisexuality) في كتابه (نزول الإنسان) بقوله: إن البداية السحيقة القدم للمملكة الحيوانية كلها تبدو أنها كائنات (خُنثى). وكان من رأي دارون أن الحلقة المفقودة في هذه الثنائية الجنسية هو الحيوان البحري (اسكيديان) وعدّه الأصل الذي تطورت منه الحيوانات الفقرية. وقد كان لملاحظة دارون أثرها القوي في توجه اهتمام العديد من العلماء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى بحث موضوع ثنائية الجنس. فقاموا بدراسات مهمة في هذا الجانب ومنها دراسة استبيانية دقيقة قامت بها (شارلوت ولف) سنة 1979 على مجموعة من الذكور والإناث في مراحل مختلفة من العمر فتبين لها بأن (20 %) من الذكور المشاركين في الدراسة أبدوا رغبةً في أن يكونوا منتمين إلى الجنس الآخر، بينما أبدت (6,7 %) من الإناث الرغبة في الانتماء إلى الجنس الآخر.

وأفادت الدراسة نفسها بأن (29,3 %) من الذكور المشاركين لهم ارتباطات ذات طابع جنسي مثلي مقابل (58 %) من الإناث. بينما أفاد (59 %) من الذكور بانشغال عاطفي غالب نحو جنسهم مقابل (81,3 %) من الإناث. وهذه الدراسة تبين بأن ثنائية الجنس هي أوسع في الناحية الشعورية منها في الممارسة الفعلية. وأن هذا يبدو واضحاً في حياة الإناث أكثر منه في الذكور[1].

ويحتم الرسُّ الطبعي على أصحاب هذين الفصيلين أن يمارسوا متطلبات رسِّهم بحرية، ولكن يقف حائلاً أمامهم التقاليد الاجتماعية والحضارية المكتسبة في المجتمع وهي لا أساس لها في طبيعة الإنسان، فيحاربهم (مجتمع الأسوياء) (Heterosexuals)، فعند ذلك إما أن يجاهروا بسلوكهم أو يلجأ الكثير منهم إلى المكانات التي توفر لهم الحرية وهي المكانات القصّية كالمقابر والكهوف في الجبال والأبنية المهجورة. وقد استغلَّ أنطون لاڤي هذه الخصيصة عند هؤلاء، فوفّر لهم ممارسة طبعهم بكامل الحرية في كنيسته (كنيسة الشيطان) التي انتشرت في غالبية البلدان.

ولكن لا يمكننا أن نُعَمِّمَ ونقول إن كلَّ أصحاب تينك المملكتين هم من عبدة الشيطان، فغالبيتهم ناسٌ لا علاقة لهم بالشيطان، وقد ظهر منهم نوابغ ومبدعون – رغم

---

(1) **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**، د. علي كمال، ص40، طبع دار واسط . لندن .

الثنائية الجنسية الموجودة في طبعهم - نذكر منهم على سبيل المثال (سافو) الشاعرة اليونانية المشهورة في الحضارة الإغريقية، وقد ذكرناها سابقاً ومنهم الكاتبة ساكفيل وست (Sackvile West) وفرجينيا وولف (Virginia Wolf) والكاتب سومرست موم (Maughain) وفلوبير (Flaubert) ودستوفسكي وغيرهم من الفنانين والأدباء الذين استطاعوا أن يصوّروا دقائق الحياة النفسية للجنس المخالف لهم[1].

يقول الدكتور علي كمال: وقد ينقضي وقت طويل قبل أن يستطيع العلم إثبات هذه الهوية الثنائية في حياة كل واحدٍ منا، وإلى أن يصبح ذلك ممكناً فإن افتراض وجود هذه الثنائية لا يمكن دحضه لمجرد حرص الواحد منا على أن يكون واقعه الجسمي مطابقاً لواقعه الجنسي، وحتى بدون البينة العلمية فإن هنالك نسبة غير قليلة من الذكور والإناث مِمَّن يتمنون العكس وذلك في أن يكون واقعهم الجسمي مطابقاً لواقعهم النفسي[2].

الزَّنَ مَرْدَات

جمع (زَنَ مَرْده) في الفارسية ومعناها (المرأة الرجل) والمصطلح هذا شائع بين الفرس يطلق على المرأة التي تتصرف كما يتصرف الرجل، وقد انتقل إلى العربية قديماً، فجاء في شعر لشاعر من المجاهيل اسمه (يَسار الكواعب)[3] يبدو أنه (جاهلي) قال فيه:

بُليتُ بورهـــاء (زَن مردةٍ)	**تـكــاد تُفَـطِّـرهـا الغُلَمَـه**
تِنَــمُّ وتعضِـهُ جـاراتـهــا	**وأقود في الليل من ظُلَمَـه**
فمـن كـلِّ سـاعٍ لها ركلـةٌ	**ومن كـلِّ جـارٍ لهـا لطمه[4]**

---

(1) **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**، د. علي كمال، ص46، طبع دار واسط . لندن

(2) المصدر نفسه، ص 47

(3) جاء في **لسان العرب** (مادة: يَسر) أن يساراً كان عبداً وكان يتعرض لبنات مولاه فجُبَّت مذاكيره ودخلت حادثته في أمثال العرب وجاءت في شعر للفرزدق يخاطب جريراً قائلاً:

وإني لأخشى إن خطبت إليهمُ عليك الذي لاقى يسار الكواعب

يقصد أنهم سوف يجبّون مذاكيره . **الأعلام**، الزركلي، 7/ 296، ط. الخامسة.

(4) قوله: ورهاء: حمقاء والغُلمة: شدة الشبق . تعضهُ جاراتها: تقول فيهن قولاً قبيحاً ، بالإضافة إلى أنها قوادة تقوم بالقيادة متسترة بالظلام .

وتدل أخبار التاريخ على أن المتشبهات بالرجال وكذلك المتشبهين من الرجال بالنساء كانوا ظاهرين في المجتمع العربي قبل الإسلام وحتى ظهور الإسلام فلعنهم رسول الله ﷺ وقال عن اللواتي يتشبهن بالرجال إنهن ينكحن بعضهن بعضاً[1].

وذكر أن هناك نوعين من التشبّه: التشبه في الطبيعة والتشبه في اللباس، فتقوم المرأة من التَّشبهُ الأول بإبراز العضلات وتربية الجسم القوي وحمل الأثقال والقيام بالأعمال الشاقة بينما تقتصر المرأة في النوع الثاني على اللباس الخاص بالرجل كأن ترتدي السراويل الرجالية والقمص أو العقال والكوفية وغير ذلك مما سنبينه لاحقاً في سيرة (مسعود العمارتلي) المغنية العراقية المسترجلة.

وفي الإنكليزية نجد عديداً من المصطلحات عندهم للمسترجلات منها الـ(بوييش Boyish) وهي الفتاة التي تتصرف كالبوي (Boy) أي الولد. وانتقل هذا المصطلح إلى الشعبية العربية فعرفن باسم (البويات) كما سنفصله فيما يلي. ولديهم كذلك مصطلح (Tom Boyish) ومعناه الفتاة الصخّابة التي تحبُّ أن تلعب ألعاب الصبيان، وقد سموها باسم (Tom) وهو اسم ذكوري، وتعتبر في المجتمع فتاةً غير محترمة. كما نجد عندهم للفتاة المسترجلة مصطلح (Manish) ومعناها الفتاة التي تتصرف كالرجل وكذلك الـ(Masculine Woman).

البويات في دول الخليج

يطلق في دول الخليج اسم (البويات) على اللواتي يتخذن صفة الرجولة سِمة لهن والواحدة (بويه) من الإنكليزية (Boy)، ومعنى المصطلح بالضبط اللواتي يتشبهن بالغلمان وذلك حسب ما أوصلته إلينا القنوات المرئية والشبكات الفضائية عن انتشار هذه الظاهرة في مجتمعات تلك المناطق في مدارس البنات بخاصة.

وهذه الظاهرة ليست مختصة بدول الخليج فحسب، بل هي ظاهرة موجودة في جميع مجتمعات العالم منذ القدم وحتى هذا اليوم، وما قيل عن زواج البنات بالبنات في بعض مدارس البنات بالكويت هو موجود بحرية أوسع في كثير من الدول الأوروبية.

---

(1) **جامع المدارك**، السيد الخوانساري، ص 34.

تجري العلاقة بين (البوية) التي هي فتاة مسترجلة وبين حبيبتها الأنثى - وتسمى (بنّوتة) - كالعلاقة بين الرجل وامرأته في العلاقة الزوجية، حيث تكون (البوية) هي المسيطرة والآمرة الناهية وتنفق على (بنّوتتها) وتغدق عليها الأموال.

يقول (التيفاشي) - من أعلام القرن السادس عشر - وتنفق إحداهن على الأُخرى كما ينفق الرجل على عشيقته بل أكثر أضعافاً مضاعفة[1].

والاغتصاب شائع في عالم البويات مثلما هو شائع في عالم الرجال. وقد تحدثت الباحثة الاجتماعية الدكتورة (بَنَه بوزبون) عن حادثة يقف لها شعر الرأس على حدّ تعبيرها روتها لها طالبة مفادها أن إحدى البويات قامت باغتصاب فتاة لأنها رفضت الخضوع لها. وفي المقابل تحدثت فتاة أخرى وهي حبيبة لبوية قالت لي: لقد أحببتُ هذه البوية من كل قلبي فهي تعطيني العطف والحنان بالإضافة إلى عامل الأمان، لأنها مهما حدث بيننا فإنها لن تقوم بفضح ما حدث بيننا مثلما يفعل الشباب. ومن جهة أخرى فإن علاقتي معها رائعة جداً وإنها تريحني من كل النواحي، فسهولة دخولها إلى منزلي وغرفتي تمنحني نوعاً من الراحة وخصوصاً أن أهلي لن يمانعوا علاقتي معها بعكس ما لو كنت أرتبط بشاب وعرفوا بالأمر فستكون هذه مصيبة ولا أشعر بأنها بنت بل إنها ولد.

وفي الواقع إن هذا التصريح خطير يدل على أن الأهل يتساهلون في حدوث هذا العمل الذي تقوم به ابنتهم خوفاً عليها من أن تنجرَّ إلى علاقة مع فتى فتكون فضيحة منكرة أمام المعارف والجيران.

ومثلما تحدث الخيانة الزوجية في عالم الرجال تحدث الخيانة (الزوجية) في عالم الاسترجال كذلك، فذكرت إحدى الطالبات للباحثة (بوزبون) أنها في أحد الأيام شاهدت محاسبة عسيرة بين بوية وحبيبتها فقد كانت تصرخ وتشتم والأخرى تبكي، وكان سبب كل ذلك لأن البنت خانتها مع بوية أخرى.

ومثلما تحدث مراسيم الزواج بين الرجل وامرأته تحدث كذلك مراسيم للزواج بين البوية وبنوتتها، فيقمن لذلك حفلة وعقد قران وتبادل (دبلات) وشهود ثم دُخلة.

---

(1) كتابه: **نزهة الألباب**، مصدر سابق، ص 237.

وقد روت إحدى الطالبات زيجة من هذا النوع حدثت في مدرسة ثانوية للبنات في إحدى دول الخليج قالت:

«اتفقت إحدى البويات على الزواج من حبيبتها بعد قصة حبٍّ عنيفة جمعت الاثنتين معاً، فما كان من (البنوتة) إلا إعلان العصيان والتمرد على القوانين العائلية خصوصاً بعد تدخل الأهل ومنعها من التواصل مع (البوية)، فما كان منها إلا أن تقدم دليل الوفاء والتضحية وتوافق على الزواج من البوية متحدية أهلها. وقد أقيم الزواج في المدرسة حيث تمّ عقد القران بواسطة بوية أخرى بالإضافة إلى الشهود على العقد وكانوا أيضاً من البويات. وبعد ذلك تمَّت إجراءات الزفاف وتبادل (الدبل) (الخواتم) واختتمت الحفلة بالدخلة في حمام المدرسة. وقد كان الزفاف على مرأى من جميع الطالبات»[1].

وفي العادة تتخذ الفتاة المسترجلة اسماً ذكورياً لتأكيد جنسها المتسلط وشخصيتها القوية الرجولية وهذه (رانيا) الطالبة الخليجية أطلقت على نفسها اسم (ريّان) تقول: لا أرغب في مناداتي باسمي المتعارف عليه في المنزل فهو يشعرني بالضيق، وقد اشتهرت في المدرسة وبين قريباتي باسم (ريّان)، وهو الاسم الذي اختارته لي إحدى المعجبات بي في المدرسة. وتقول (ريّان) وهي طالبة عمرها 22 عاماً إنها بدأت تكتشف منذ الصغر معالم الرجولية في مشيتها وحديثها وسلوكها ولذلك تقمّصت السلوك الذكوري لكي تكون قوية وقادرة على صدّ الأذى عن نفسها بعد مشاهدة والدتها وهي تتعرض لصنوف الأذى والعنف الجسدي من قبل والدها[2].

أقول: وبهذا الأسلوب عالجت (رانيا) الأمر فانتصرت لأمها المسكينة الضعيفة أمام والدها بتقمص شخصية (ريّان) الذكر القوي لتردّ على أبيها وتواجهه بالعنف نفسه الذي واجه به والدتها. ولما لم يكن بمقدورها ذلك، وجهت عنفها نحو بنات جنسها الضعيفات كتعويض ولكنه تعويض سلبي انحرافي. وفي (العمارة) غيّرت المغنية العراقية المسترجلة مسعودة العمارتلية اسمها إلى (مسعود العمارتلي).

---

(1) انتشار البويات في المدارس، **T.V. Bulletin**، شبكة عنكبوتية.

(2) صحيفة **البيّنة الجديدة**، العدد 140، الأربعاء 22/ 9/ 2010م. (انتشار ظاهرة النساء المسترجلات في الخليج).

وتشير المصادر إلى أن الفتيات اللواتي ينجرفن إلى مثل هذا السلوك يقمن باختيار فتيات أخريات ضعيفات الشخصية وغير قادرات على الدفاع عن أنفسهن ليفرضن عليهن سيطرتهن ويمارسن عليهن التسلط الذكوري[1].

وتفيد التقارير الباحثة في خطورة انتشار هذه الظاهرة أن من الأسباب الأخرى التي أدت إلى اتساعها ترجع إلى الانفتاح على العالم الخارجي من خلال الفضائيات والأنترنت وضعف العلاقة بين الطالبات والهيئة التعليمية، وهو ما يعكس عدم تواصل هذه الفئة مع الفتيات المسترجلات مع مجتمع المدرسة ومجتمع الأسرة.

كما يؤكد مراقبون أن موقع (فيس بوك) يضمُّ عدداً كبيراً من المجموعات الخاصة بالمسترجلات من دول الخليج كمجموعة (بويات قطر) التي يبلغ عدد أعضائها 21 و (بويات الكويت) التي تضم 160 عضوة في حين يصل عدد المنظمات لمجموعة (بويات وليديات) في مدينة الرياض وحدها لأكثر من مئة عضوة.

ويؤكد المحلّل النفسي الدكتور هاني عبد الله الغامدي أن انتشار الاسترجال بين الفتيات سبَبَهُ الحرمان العاطفي، وهو الدافع الأبرز لظهور مثل هذه الحالات. ويرى أنه ينبغي على أولياء الأمور الالتفات لبناتهم والاهتمام بمعالجتهن مع ضرورة عرضهن على الاختصاصيين، فقد يكون وراء هذه التصرفات إفراط هرموني وقد يكون وراءها ظروف أسرية دفعت بهن لسلوك هذا المسلك، والعلاج هنا يختلف تبعاً لدواعي ومسببات الحالة[2].

مشاهد من ظاهرة الاسترجال في أهوار العراق

أهوار العراق . . هذا الفردوس المائي الواسع الممتد على مرأى البصر والذي ولد منذ نشأة الأرض واستمرّ بجماله وجلاله وهيبته وغموضه وتوحد ناسه إلى عصرنا هذا، قد فتن السائحين الأجانب من جميع الجنسيات، فرحلوا إليه من أقطارهم البعيدة ليستكشفوا أسراره وطبائع ناسه، فانضمّوا إليهم وعاشوا معهم وتعلّموا لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفضحوا مستبطناتهم، وسجلوا كل ذلك في كتب أفادتنا معرفة

---

(1) صحيفة البينة الجديدة، العدد 140، الأربعاء 2010/9/22 م.

(2) المصدر نفسه.

بجيران قريبين منا نجهل عنهم الشيء الكثير، كما أفادوا العلم الذي يبحث في شؤون الإنسان.

ومن أشهر هؤلاء المؤلفين السائح الإنكليزي (ولفريد ثيسيغر) (Wilfred Thesiger) الذي قضى جُلّ حياته في الجولات في الأرض، فزار معظم الأقطار العربية وبعض البلدان الآسيوية، إلا أن إقامته في العراق أخذت منه حصة الأسد وقد دوّن دراسته عن أهوار العراق في كتاب مهم هو (The Marsh Arabs) وترجمه الدكتور سلمان عبد الواحد كيوش بعنوان (عرب الهور)، وقال عنه: إن هذا الكتاب يمكن أن يعدّ سجلاً توثيقياً لشعبنا في الأهوار فهو يصف كل شيء، بكاءهم وضحكهم ورقصهم وغناءهم مأكلهم ومشربهم ومنامهم وبيوتهم ويصف خوفهم ورجاءهم وباختصار إنه يصف كل شيء يراه ويعتقده مهماً بأسلوبه البسيط الشيّق مكملاً تلك التسجيلات الدقيقة بالصور التي توضح طبيعة تلك الحياة[1].

وكان من جملة الأمور التي اكتشفها ظاهرة رآها غريبة في مجتمع الأهوار هي ظاهرة كثرة النساء المسترجلات من صنف (البوييش Boyish) وكذلك من الصنف الآخر الذي يطلق عليه اسم ثنائية الجنس (Bisexual) أي (الخنثى) التي تمتلك أعضاء الذكورة والأنوثة معاً في جسدها. اسمعه يقول:

وذات مرة عند العصر، بعد أيام من مغادرة (الدَّبن) وصلنا إلى قرية في البَر. كان الشيخ غائباً لتفقد مزروعاته. أُدخلنا إلى مضيفه من قبل فتىٍ يلبس عقالاً وعباءة وفي حزامه خنجر. يبدو في الخامسة عشرة من عمره. ذو وجه جميل لافتاً للانتباه بجديلتين على جانبي رقبته. كان المعدان في الماضي يطيلون شعورهم على هذه الشاكلة وما زال البدو يفعلون.

---

(1) انظر: الورقة (ح) من مقدمة المترجم. والمؤلف ولد في أديس أبابا في الحبشة في 8 حزيران/ يونيو 1910م بدأ تعليمه في مدارسها وكان أبوه مندوباً سامياً من قبل الحكومة البريطانية في أديس أبابا. ثم واصل دراسته في كلية (ماكدالين) في جامعة أوكسفورد. زار شمال العراق ثم اتجه نحو الأهوار في أكتوبر/ تشرين أول 1950م لتستمر إقامته فيها إلى يونيو/ حزيران 1958م تخللتها زيارات متقطعة إلى أفغانستان وبعض البلدان الآسيوية وإلى بلده بريطانيا. ألف كثيراً من الكتب أبرزها هذا الكتاب (عرب الهور) الذي ترجمه وحققه الدكتور سلمان عبد الواحد كيوش تحقيقاً ميدانياً. توفي ثيسيغر بشقته في لندن 24/ 8/ 2003. وأبّنته الإذاعة البريطانية صباح يوم 25/ 8/ 2003م بقولها: مات صديق العراق..مات صديق الأهوار فإلى رحمة الله.

انسحب الشاب الصغير بعد أن قدّم لنا القهوة. سألني (عمارة):

- هل أدركت أن (هذه) مسترجلة؟ (يقصد الفتى)[1].

لقد سمعت عنهن بشكل غامض لكني لم أُقابل إحداهن من قبل. أوضح (عمارة):

- المسترجلة تولد امرأة لكنها لا تطيق ذلك ولها قلب رجل لذا تعيش كما يعيش الرجال.

- هل يتقبلها الرجال؟

- بالتأكيد فنحن نأكل معها وتجلس في المضيف وحين تموت نطلق الرصاص إكراماً لها في الوقت الذي لا نفعل ذلك مع المرأة مطلقاً. توجد واحدة في قرية (مجيد) قاتلت بشجاعة ضد (حجي سلمان)[2].

- هل يحتفظن بشعرهن مضفوراً دائماً؟

- المعتاد هو أن يقصصنَ شعرهن كالرجال.

- هل تتزوج المسترجلات رجالاً؟[3]

- لا . . إنهن يقترنَّ مع النساء كما نفعل.

وعلى أية حال ففي ذات مرة كُنّا في قرية لحضور حفل زفاف وكانت العروس

---

(1) **عرب الهور**، ص 240.

(2) المرأة هي (طاگة) بنت مولى الأزيرجاوي ، عملت مختاراً لقطاع 56 في مدينة الثورة ببغداد وتوفيت سنة 1990 تقريباً . (المترجم)

(3) ثمة لِبسٌ في سؤال المؤلف وجواب (عمارة) . فالمؤلف يسأل عن زواج المسترجلات، ولكن لم يتضح إن كنَّ يتزوجن باعتبارهن نساءً أم بوصفهن رجالاً، وكذلك جاءت إجابة عمارة ، ففي شطرها الأول يقول: لا، أي لا يتزوجن لا بوصفهن نساءً ولا رجالاً ، ثم يكمل بأنهن ينمن مع النساء كما نفعل ، وفي ذلك إشارة كاملة إلى أنهن يرتضين تمثيل دور الرجل، وأوضح مثال لذلك هو زواج (مسعود العمارتلي) الفنان المعروف من امرأتين رغم كونه امرأة مسترجلة. والغريب أن عمارة لم يستشهد بمسعود رغم شهرته الواسعة في تلك الحقبة على الأقل كتعزيز لإجابته (المترجم) . أقول: وسنفصل حالة مسعود العمارتلي في الصفحات اللاحقة ، كما أود أن أضيف: لو أن القارئ الكريم راجع حالة المسترجلات الخليجيات من ناحية الزواج من جنسهن ، ولو تزوجن من الجنس الآخر لما اعتبرن من المسترجلات طبعاً .

في الحقيقة مسترجلة مما أثار دهشة الجميع. لقد وافقت في هذه الحالة على لبس ملابس النساء والنوم مع زوجها ولكن على شرط ألا يطلب منها ما يطلب من النساء. إن النساء المسترجلات محترمات جداً وأقرب مرادف لهن على ما يبدو هن (الأمازونيات) الموغلات في القدم[1]. لقد قابلت عدداً من نساءٍ مسترجلات أخريات خلال السنوات اللاحقة. جاءني رجل من مَنْ حسبته ابناً له بعمر الثانية عشرة يعاني من مغصٍ وحين أردتُ فحصه قال الأب: إنها مسترجلة.

وفي مناسبة أخرى كنتُ أقف على خدمة رجلٍ (يعني تمريض رجل) يعاني من كسرٍ في الجمجمة كان قاتل مسترجلةٍ أعرفها وتغلَّبتً عليه[2].

وبينما كنُت جالساً مع (حمود) أخو (مجيد الخليفة) في ديوانيته[3]. دخلت امرأة متينة البنية في أواسط عمرها تلبس (چوخ) أسود شائعاً فطلبت علاجاً. لها وجه يوقع أثراً من حيرةٍ في النفس ذو مسحة ذكورية، رفعت طرف ثوبها كاشفة عن عضو ذكوري كامل وبالحجم الطبيعي[4].

---

(1) الأمازونيات Amazons: تزعم الأساطير الإغريقية أن الأمازونيات وهن نساء من عرقٍ خرافي كن محاربات شديدات يقطعن أثداءهن اليمنى لكي تسهل عليهن عملية توتير الأقواس (المترجم).

(2) كان ثيسيغر ـ بالإضافة إلى ما يمتلك من معلومات تاريخية عن أصل الهور وطبيعة ناسه ـ يمتلك دراية ومعرفة بالأمراض الشائعة فيه، فكان يأخذ معه أدوية كثيرة ينقلها في صناديق يدور بها أينما رحل، فكان الناس يأتون إليه ليعالجهم من التهابات الجروح التي تخلفها في أجسادهم عضات الخنازير والأفاعي والتهابات الختان وغير ذلك. وكان الناس يعتقدون أنه يفعل كل شيء حتى إنه يستطيع تحويل الخنثى إلى ذكر أو أنثى، فكان المبتلى يكشف له عن جميع جسمه لإطلاعه على عورته كما فعل ذلك (نعيّم بن غضبان).

(3) الديوانية: غرفة استقبال الضيوف وهي مستعملة في جنوب العراق ودول الخليج.

(4) هو نعيّم بن غضبان من خدم بيت منشد من شيوخ البو محمد وأُمه هي دريبيّة وصيفة حمديّة بنت وَجِر بن كبّاشي. ولد حوالي سنة 1912. شديد السمرة قصير القامة كنت أراه بكثرة في السبعينيّات وهو يتصدّر النساء اللواتي يتجمعن متشحات بالسواد لكي يقدمن التعازي ليتولى نعيّم تهيئة الأهزوجة ومجموعة الأشعار التي تردّد في مثل هذه المناسبات سواءً كان المتوفى رجلاً أو امرأة. ما زال على قيد الحياة ويسكن مدينة الثورة (ببغداد) يتميز نعيّم بخفة دم وانعدام التحفظ بشكل طاغ على سلوكه. فقد حكى لي أحدهم ممن يعرفه أنه وقف ذات يوم في باب مضيف مجيد الخليفة وحين سُئل عن مرامه قال بلهجته الخفيفة الأنثوية الموغلة في جنوبيتها إنه يرجو من (بخت) المضيف وأهله أن يحبل!! وأغلب الظن أن طلبه هذا من المؤلف لا يعدو أن يكون دُعابة من دعاباته الكثيرة المنفلتة غير العابئة بشيء. (المترجم) أقول: إن أمنيته بأن يحبل دليل على غلبة الرسّ الأنثوي على طبعه وليست من الدّعابات.

- هل لك أن تقطع هذا عنّي وتحيلني إلى امرأة تامة حقيقية؟

عليّ الاعتراف أنه ناشدني بعملية ليست بمقدوري. وحين غادر سأل (عمارة) بما يشبه الرحمة والشفقة:

- هل يستطيع إجراء مثل تلك العملية في البصرة؟ إنه امرأة حقيقية لولا (ذاك) يا للبؤس[1].

بعد ذلك رأيت هذا الرجل نفسه يغسل الصحون على شاطئ النهر مع امرأة. يبدو أنه مقبول تماماً من النساء في البيت، فهؤلاء الناس أكثر عطفاً عليه مما نفعل نحن في مجتمعنا[2] لكنهم مع ذلك قساة جداً بشكل أو بآخر.

(مسعود العمارتلي) مسترجلة عراقية للمقارنة

كان اسمها (مسعودة) فلما استرجلت أسمت نفسها (مسعود). والحال هذه خصلة متعارفة في عالم الاسترجال، حيث تفضل الفتاة المسترجلة أن تغير اسمها الأنثوي إلى اسم رجالي كما شاهدنا ذلك عند الطالبة (رانيا) التي عندما استرجلت حوّلت اسمها إلى (ريّان). وكذلك الطالبة الخليجية الأخرى هند (25 عاماً) التي أسمت نفسها أيمن[3].

ثم لم تكتف مسعودة بذلك بل استخدمت الخصلة الثانية من خصال المسترجلات وهي اتخاذ مظهر (المانيش) أو (البويات)، فقصت شعرها على طريقتهن واعتمرت كوفية رجال الجنوب مع العقال العماري، وجالست الرجال وهي بهذا الزّي وصيَّرت دارها (صالوناً) للمغنين وهواة الغناء مثلما فعلت (سافو) بدارها، مع فارق أن (سافو) قصرتها على النساء بينما مسعودة قصرتها على الرجال.

ثم راحت مسعودة تردّد في أغانيها قصائد التغزل بالأسماء الذكورية كاسم (حْميِّد) و (محمد) وغير ذلك.

---

(1) اعتاد الناس النظر إلى مثل هذه الحالة باستخفاف واحتقار واشمئزاز، أما موقف عمارة فغريب حقاً، لعله كان يحاكي صاحبه الإنكليزي الذي ربما أبدى ملاحظة تفيد تعاطفه معه. (المعرجم).

(2) يقصد المجتمع الإنكليزي أو الأوروبي على العموم.

(3) **صحيفة البيّنة الجديدة**، العدد 140، 12/ 9/ 2010م.

وكان سبب تحوّل مسعودة إلى مسعود حادثة أثَّرت في حياتها جعلتها تنقلب على ذاتها الأنوثية والتمسك بالشخصية الرجولية. ويبدو أن الشخصية الرجولية كانت كامنة في أعماقها منذ طفولتها، ففجّرتها تلك الحادثة وذلك أنها اعتادت أن تأخذ كل يوم قطيع غنم الشيخ إلى المراعي وحدها، وكانت في ربيعها الثامن عشر قد نضجت ونَهدَتْ فطفقت تفرغ شوقها إلى الحب عن طريق ترديد أغاني الحب المعروفة في ذلك الزمان، وكانت النتيجة أن ابتكرت من خلال هذه الأغاني ألحاناً خاصة بها لم تكن قد سمعها أحد.

وفي أحد الأيام بينما كانت مسعودة في طريقها إلى المرعى تبعها اثنان من الشباب فتحرشا بها لاغتصابها، فما كان منها إلا أن تصدَّت لهما بقوتها الرجولية فسيطرت عليهما وربطتهما مع بعضهما بحبل وقادتهما إلى الشيخ فاعترفا بذنبهما.

ثم شاعت بين الناس هذه الحادثة فأعجبوا بالبطلة التي دافعت عن شرفها، وربما أضافوا إليها بطولات أخرى، فلما سمعت مسعودة بهذه الأحاديث الدائرة حولها قررت أن تحلَّ العقدة الحبيسة في داخلها وتصبح رجلاً، فقصت شعرها ولبست العقال والكوفية والدشداشة والسترة الرجالية. وهكذا ظهرت أمام الناس وأمام عدسات التصوير ثم حَذَفت تاء التأنيث من اسمها لتقطع بذلك آخر خيط يربطها بالإناث.

ولإكمال العملية بشكل دقيق هربت من قريتها (الكحلاء) بتشجيع أختها إلى مدينة العمارة (ميسان حالياً) لتغنّي في مقاهي المدينة باسم (مسعود العمارتلي).

وقد صادف أن أقيمت حفلة لأحد شيوخ العمارة فسمع صوتها أحد أصحاب التسجيلات فأعجبه فأخذها معه إلى بغداد باسم (مسعود العمارتلي) وسجل له (لها) عدة أسطوانات.

وفي بغداد أسس مسعود صالونه الذي ذكرناه، وفيه التقى بالمغني الشاب (حضيري أبو عزيز) القادم من الناصرية فأصبحا ثنائيين مشهورين بأطوارهما الغنائية المبتكرة، وصارت أغانيهما تتردد على أفواه العامة.

ثم استدعي مسعود إلى (حلب) في سورية وهناك سجَّلَ عدة أغانٍ اشتهرت منها أغنية (گصّة المودة) يقول فيها:

گصَّة المودة يبويه گصة المودة

راسي أرد أگصّه عليك . . گصة المودة

والأغنية تعبّر كلماتها عن الواقع الذي دفعها لأن تترك (موضة) الشَّعر التقليدية للنساء الجنوبيات وهي الشعر الطويل المضفور فتقصه لتلتحق بركب الرجال. وأذكر في هذا المجال أن المرحومة والدتي كانت تتشاءم من هذه الأغنية، فكانت تطلب إقفال الراديو عندما تسمعها تذاع، وعندما كنت أرددها في البيت كانت تنهرني بشدة وتأمرني بإقفال فمي قائلة (إنچب).

واشتهرت كذلك أغنيتها التي سارت على الأفواه وهي أغنية (ذبّي العباية) أي (ألقي العباءة) فشقت بها التقليد الذي كان يقدس لبس العباءة، ولا شك أن هذه الأغنية فيها كشف صريح لما كانت مسعودة تبتغيه حيث انبرت هي بنفسها وقادت موجة السفور التي دعا إليها الشاعر جميل صدقي الزهاوي عندما قال:

أسفري فالحجاب يا ابنة فِهرٍ　　　هـو داءٌ في الاجتماع وخيـم

كـلُّ شيء إلى التجدّد مـاضٍ　　　فلمـاذا يقـرُّ هـذا القـديـم

وقد تزوج مسعود من إحدى النساء في الناصرية ولكن سرّه انكشف لزوجته عندما علمت أن من تزوجته هو أنثى مثلها فدَسّت له السُّم فمات وكان ذلك سنة 1944 [1].

أما لماذا تزوج وهو يعلم أنه أنثى، فيبدو لنا أن الدافع الرجولي الذي كان يعمل في ذاته هو الذي دفعه إلى ذلك لغرض إكمال الحلقة المفقودة بينه وبين عالم الذكورة، وهو الدافع نفسه الذي رأيناه يفعل في التكوين النفسي للمسترجلة الخليجية (رانيا) أو (ريّان).

---

(1) ملخص من مواقع شبكية بعنوان (مسعود العمارتلي).

مجتمع المخنثين

الوصف والتعريف

المخنثون هم الجنس النقيض للمسترجلات. هم رجالٌ اتخذوا صفات الإناث سلوكاً، وهذه الصفة أطلقت في المأثورات الإسلامية على صنف من الناس يمكن أن يكونوا صبياناً أو فتياناً أو كهولاً اتخذوا تلك الصفة توظيفاً لميلٍ شاذ عندهم إلى تقمّص جنس الأنثى وبعضهم لم يتخذوها وإنما هي (طفرة) عندهم في تكوينهم الفسلجي.

والاسم جاء من لفظة (الخَنَث) وهو الذي لا يخلص لذكر ولا أنثى حسبما جاء في (اللسان)، وهذا التعريف يقابله في الإنكليزية (Shemale) وهو تعريف أطلقه البايولوجيون بالخصوص على إنسان له تركيبة أنثوية في الجزء الأعلى من جسمه وذكورية في الجزء الأسفل من جسمه وهي خلقة من الله.

قال النووي: المخنثون ضربان: **أحدهما** من يكون خلقةً لله لا يتكلّفُهُ ولا صنع له فيه، فهذا لا إثم عليه ولا ذمّ ولا عيب، إذ لا فعل له به. **والثاني**: من يتكلف ذلك فليس ذلك بخلقةٍ فيه فهذا هو المذموم الآثم الذي جاءت الأحاديث بلعنه.

وقال الجزيري: المخنّث هو الذي يشبه في كلامه النساء تكسُّراً وتعطّفاً، أو الذي يتشبه بالنساء في ثيابهن وزينتهن كما يفعل الشباب في هذا العصر من ترك الشعور وإرخاء السوالف، ولِبس حلّي النساء أو بعض ثيابهن وترقيق أصواتهم وغير ذلك.

وقال الطريحي: المخنث هو من يوطأ في دبره لما فيه من الانخناث والتكسُّر والتثني. وقد انصرف التعبير إلى طبقة من سفلة الناس يتكسبون ببيع أنفسهم لطلاب اللّذة أو القيادة[1].

وللخنثى أحكامٌ في الفقه الإسلامي مفصلة تفصيلاً طويلاً في المعاملات والمواريث وغيرها منها مثلاً:

إذا خلّف الإنسان وارثاً تشبه حاله بحال الذكر والأنثى لأن له فرجين أحدهما فرج الرجال والآخر فرج النساء وجب أن يعبّر بالبول. فإن بال من أحدهما دون الآخر قضي له بحكم ما بال به . . إلخ.

وهناك تفصيلات أخرى لا مجال لذكرها[2].

المخنثون في عصر صدر الإسلام:

وكان المخنثون في مجتمع عصر صدر الإسلام كثيرين وبخاصة في المدينة، وكانوا من كلا النوعين: المتشبهين بالنساء سلوكاً ومظهراً ،والنوع الآخر الذي هو حاصلٌ خلقةً لهم. وغالبيتهم كان يمتهن الغناء وقليل منهم كان يستعطي.

وذكر أبو هريرة، أن النبي ﷺ أُتي إليه بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء. قال النبي: ما بال هذا؟ قالوا: يا رسول الله إنه يتشبّه بالنساء فأمر به فنفي إلى (النقيع)[3]، قالوا: يا رسول الله ألا نقتله؟ قال: إني نُهيتُ عن قتل المسلمين[4]. كما ذكر أيضاً أن النبيّ ﷺ أخرج رجلاً من هذا الرعيل من المسجد دون أن يعاقبه.

ويبدو أن هؤلاء كانوا يؤمون المساجد للاستجداء فكانوا يطردون منها، وقد روي أن الإمام علياً أمر بإخراج رجل من المسجد كان مزيناً بزينة النساء[5].

---

(1) **النفي والتغريب في مصادر التشريع الإسلامي**، نجم الدين الطَبسي، ص 36.

(2) ينظر: **المقنعة**، الشيخ المفيد، ص 698.

(3) النّقيع (بالنون): موضع على ليلتين من المدينة كان حماه رسول الله بخيله وكذلك فعل عمر وكان مرتعاً لأفراس المسلمين (**معجم البلدان**، 5/ 301).

(4) **المجموع**، النووي، 3/ 13.

(5) **مصباح الفقاهة**، السيد الخوئي، 1/ 336.

أما الغالبية من المخنثين فكانوا يمتهنون الغِناء، كانوا عندما يقومون بالدور يلبسون ملابس النساء. وذكر أن (ابن سُريج) لما غنى في إحدى الاحتفاليات استعار حُلَّةً من امرأةٍ قرشية وغنّى بها[1].

وكان ابن سُريج من أشهر مغني المدينة وكان مخنثاً أحول أعمش يلقب بـ(وجه الباب)، وصَلُعَ فكان يلبس جُمّةً (شعراً مستعاراً)، وكان لا يغني إلا مقنعاً يسبلُ القناع على وجهه، وقد غنى في زمن عثمان ومات في خلافة هشام بن عبد الملك[2]. وشوهد في (ذي طوى)[3] وعليه ثياب مصبغة وفي يده جرادة مشدودة الرّجل يطيّرها ويجذبها بالخيط كلما تخلّفت، وعندما لامه من رآه على ذلك. قال: وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي؟[4].

وقد اعتاد (طويس) المغني المشهور الآخر أن يخضب بالحنّاء يديه إلى المرفقين[5] وكان هذا التقليد من تقاليد النساء. كما اعتاد ابن سُريج إذا أراد أن يختضب ذهب إلى البساتين واختضب فيها[6].

وكان المغنون أولئك يستخدمون الدفوف في غنائهم ويستعملون طبلاً خاصاً يسمى (الكوبة)، وهو نوع من الطبول فسّروه بقولهم: هو الطبل الذي يضرب به المخنثون في وسطها ضيّق وطرفاها واسعان[7].

مشاهير مخنّثي العصر

واشتهر من المخنثين في عصر صدر الإسلام ثلاثة: ماتِع (وقيل مانِع) وهَدْم (وقيل هَرِم) وهيت. وكان ماتع لفاختة بنت عمرو بن عائذ، خالة رسول الله ﷺ، وكان يغشى بيوت النبيّ ويدخل على أزواجه، حتى إذا حاصر (الطائف) سمعه رسول

(1) **الأغاني**، 2/ 365، مط. دار الكتب.

(2) المصدر نفسه،ص 249.

(3) موضع قرب مكة.

(4) **الأغاني**، 2/ 256.

(5) المصدر نفسه، 4/ 219.

(6) المصدر نفسه، 4/ 274.

(7) **اللسان**، مادة كوب.

الله يقول لخالد بن الوليد: إذا اقتحمت الطائف فلا تفلتن منك (بادية بنت غيلان) فإنها تُقبِلُ بأربع وتُدبِرُ بثمانٍ. - يقصد تفاصيل جسدها عندما تتعرّى - وزاد صاحب الأغاني عبارة (وبين رجليها كالإناء المكفوء)[1]. فقال رسول الله: لا أرى هذا الخبيث يفطن لهذا. فقال لنسائه: لا يدخل عليكن هذا. ثم منعه الدخول إلى المدينة، فكُلِّم فيه وقيل له: إنه مسكين ولا بدّ له من شيء. فجعل له رسول الله في كل سبت يدخل فيسأل (يستجدي) ثم يرجع إلى منزله[2].

ويبدو لنا من خلال هذا الخبر أن أمثال هذا المخنث لم يكونوا يمتهنون حرفة، بل كانوا يخدمون في البيوت ويدخلون على النساء دون أن يحتشمن منهم لكونهم ليسوا بذوي إربة، (شهوة) إلى النساء. ولذلك كانت بعض النساء لا يجدن بأساً في الاغتسال أمامهم والتعري، ويبدو أن (بادية) اليهودية كانت تفعل ذلك أمام الخبيث (ماتع) ففطن لجمال جسمها وأغرى خالداً أن يستبيها عندما يفتح المسلمون الطائف، فوصل الخبر إلى رسول الله فنفاه إلى مكان خارج المدينة ثم عطف عليه وجعل له يوماً يدخلها فيرتزق بالتسول ويعود إلى بيته.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ نفى مخنثين كانا بالمدينة يقال لأحدهما هيت وللآخر ماتع، ويحفظ في أحدهما أنه نفاه إلى (الحمى) وأنه كان في ذلك المنزل في حياة النبي وحياة أبي بكر وحياة عمر، وأنه شكى الضيق فأذن له بعض الأئمة أن يدخل المدينة في يوم الجمعة يتسوق ثم ينصرف[3].

وكان الرسول يطلب من الناس أن يخرجوا المخنثين من بيوتهم، وأخرج هو مخنثاً وأخرج عمر رضي الله عنه مخنثاً[4]. وهذا هو كل ما كان يفعله الرسول بهم، وسبب ذلك أن بعضهم كان يفطن إلى أجساد النساء ويشهرون بهن وصفاً أمام الرجال وهذا لا يجوز في شرع الإسلام.

---

(1) **الأغاني**، مصدر سابق، 3/ 30.

(2) **السنن الكبرى**، البيهقي، 8/ 224، مط. دار الفكر، بيروت.

(3) **الأمُّ**، الإمام الشافعي، 6/ 651، ط. الثانية، 1403هـ/ 1983م، بيروت.

(4) **السنن الكبرى**، مصدر سابق، 8/ 224.

ويظهر لنا من خلال (حكاية أبي القاسم البغدادي) لأبي المطهّر الأزدي أن شقاة بغداد كانوا يعاشرونهم من أجل تعلم فنونهم، جاء ذلك في حديث أبي القاسم المذكور وهو شقي أفّاق قال فيه إنه توصّل إلى الشقاوة بعدّة أمور منها: (معاشرة المقامرين والنبّاذين) (الذين يصنعون النبيذ) والتخلّق بأخلاق المخانيث والقرادين (الذين يلعبون بالقرود)[1].

وقد أصبح التخنث في هذا العصر وسيلة للعيش. فمن ذلك ما أورده أبو الفرج الأصبهاني من أن طبيباً جَرّاحاً يقال له (نُصير) كان يداوي الجراحات وكان مخنثاً، فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين، وإذا لم تكن عالج الجراحات، فهجاه الحسين بن الضحاك الشاعر وكان جاراً له قائلاً:

نُصير ليس المُردُ من شأنه	نُصير طبٌّ بالنكاريش
يقول للنكريش في خلوةٍ	مقال ذي لطفٍ وتجميش
هل لك أن تلعب في فرشنا	تقلب الطير المراعيش

يقصد (المبادلة) فكان نصير بعد ذلك يصيح به الصبيان:

(يا نصير تلعب تقلب الطير المراعيش) فيشتمهم ويرميهم بالحجارة[2] ويتبين لنا من خلال هذه الأبيات الفاضحة أن الرجل هجي بممارسة الشذوذ الجنسي السلبي (Catamite) بطريقة المبادلة وهي خصلة من خصال أتباع أنطون لاڤي وتسمى في الشعبية العراقية (عَوَز بَدَل).

وكانت مجالس الغناء والشراب لا تطيب إلا بوجود واحد من المخنثين على الأقل يسقي القوم كؤوس الطلا ويتغنَّجُ ويتثنى وهو بملابس النساء، وكان الضَّيف إذا حضر المجلس ونظر إلى الساقي لم يعرف هل هو رجلٌ أم امرأة. فمن ذلك ما يحدثنا أبو الفرج الأصبهاني[3] عن مجلس عقد في بيت (ابن أُذين) وكان فيه أبو نواس

---

(1) **الرسالة البغدادية**، أبو حيان التوحيدي، ص٥١، تحقيق عبود الشالجي، ط. الأولى، 1400هـ/ 1980م، مط. دار الكتب ـ بيروت ـ لبنان.

(2) **الأغاني**، 7/ 214 . والـمُرد: الغلمان الصغار والنكاريش: الملتحون . والتجميش: المداعبة الجنسية. والطير المراعيش: نوع من الحمام يتقلب في الهواء وعندما يطير.

(3) **المصدر نفسه**، 4/ 87.

المخنثون في العصر الأموي ومشاهيرهم

وبعد وفاة الرسول ﷺ اقتضت سياسة بني أمية أن يغرقوا (المدينة) بالمغنيات والمغنين لإلهاء الناس بالسماع والطرب والانتشاء عن التطلع إلى الحكم، وبذلك انتشر المخنثون بالمدينة لأن غالبية المغنين كانوا من المخنثين وأشهرهم (طُويس) (11-92هـ/ 632-711م)[1].

وكان اسمه طاووس وصُغِّر فلقِّب بطويس. وقيل إنه أول من ألقى الخنث في المدينة. وكان ينقر بالدُّفّ وقد وصفه من رآه بأنه كان كامرأةٍ في ثياب مصبغَّة مصقولة (أي مضروبة أوتي حسب تعبير هذا اليوم) وكان يمشط شعره ويختضب.

وكان (الغريض) من أشهر مغني المدينة، وكان كذلك من المخنثين. والغريض في اللغة هو جُمَّارُ النخلة وقد وصف به لبياض جسمه ورقّته، وذكر من شاهده بأنه كان وضيئاً جميلاً ويُصَنِّعُ نفسه أي يقوم على تزيين نفسه ويُحسِّنها ويُبَرِّقها.

ومع كون هؤلاء من المخنثين، والتخنث صفة ذميمة في المجتمع فإنهم كانوا يتمتعون بسمعة طيبة بين الناس ومكانة محمودة دون أن يُساء إليهم إلا في بعض الحالات، الأمر الذي أدى إلى جذب باقي المخنثين في الأطراف ممن يحسن الغناء فيسكن المدينة، وكان من هؤلاء (زرجون) الذي التزم (طويس) وأخذ غناءه منه. وكان أئمة المخنثين يأخذون غناءهم من كبار المغنين وأشهرهم (عجاجة المخنث) الذي أخذ بعض غنائه من المغني الشهير مالك بن أبي السَّمح الطائي[2].

ولما كثر المخنثون في المدينة جاء الناس إلى سليمان بن عبد الملك ـ وكان غيوراً ـ فقالوا له: إن المخنثين قد أفسدوا نساء المدينة، فكتب إلى أبي بكر عمر بن حزم عامله على المدينة أن أحص من قبلك المخنثين. يريد أن يعرف عددهم، فصحَّفَ كاتبُهُ الحاء (أي جعل فوقها نقطة) فقرأه عامله (اخصِ). فدعا بهم فخصاهم وخصى (الدلال) فيمن خصى، وكان مِن المخنثين الموجودين في المدينة آنذاك بالإضافة إلى المخنث المدعو (بِرْد الفؤاد) والآخر (نؤومة الضحى) والمغني المشهور (طويس)[3].

---

(1) ينظر: **الأغاني**، مصدر سابق، 3/ 27 و 4/ 219.

(2) المصدر نفسه، 5/ 108.

(3) **أخبار المصحفين**، العسكري، ص53، ط. الأولى 1406 بيروت، لبنان.

ويلاحظ القارئ أن اثنين من المخنثين تسميا بأسماء أنثوية، وهما برد الفؤاد ونؤومة الضحى، وهذا عكس ما تفعله المسترجلات، فإنهن يتسمين بأسماء ذكورية كما رأينا في حالة المسترجلة مسعودة العمارتلية التي سمت نفسها (مسعود العمارتلي) والخليجية (رانيا) التي سمت نفسها (ريان).

المخنثون في العصر العباسي ومشاهيرهم

وفي هذا العصر وجد المخنثون والمنحرفون وأصحاب المعتقدات والمذاهب الشاذة في البلاد من الحريّة مجالاً واسعاً ليجهروا بآرائهم دون تحفظ، ويمارسوا رغائبهم النفسية الحبيسة بانعتاق في البيوت الخاصة وفي المجالس والدواوين وحتى في قصور الطبقة الحاكمة. فكان أن تسلَّل المخنثون إلى هذه المكانات عن طريق الغناء الذي أصبح سمة من سمات العصر.

وقد سجل أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) تفاصيل عن تلك الفئات الكثيرة.

وأورد فيه من غرائب الأخبار التي جرت في مجال التخنيث ما يدهش العقل منها مثلاً، أن كبير شعراء ذلك العصر وهو (أبو العتاهية) كان في أول أمره يتخنث ويصاحب المخنثين ويحمل زاملتهم[1]. أي الخرج الذي يضعون فيه أدواتهم من طبول ودفوف ومزامير. وكانوا يتنقلون جماعات يستأجرهم الناس للإطراب والرقص في مناسبات الأفراح.

وفي ذات يوم رأى الشاعر أبو الشَّمَقْمَق أبا العتاهية وهو في هذه الحال فعنّفه بقوله: أمثلك من يضع نفسه في هذا الموضع مع سِنّك وقدرك وشعرك؟ فقال له: أريدُ أن أتعلَّم كِيادهم وأتحفظ كلامهم[2].

ويبدو من خلال كلامه هذا أنهم كان لهم كلام خاص أو رموز يتفاهمون بها فيما بينهم لا يعرفها سواهم. كما كان لهم كِيادٌ أي (حِيَلٌ) يجذبون بواسطتها الناس إليهم.

---

(1) **الأغاني**، 4/ 7.

(2) المصدر السابق.

والشمقمق، فدخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث فظنّ أنه جارية، فقال لابن أُذين متى استطرفت هذه الجارية، فقالَ: قريباً يا أبا إسحاق. فقال: قُل فيها ما حضر. فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال:

مَدَدْتُ كفّي نحوكم سائلاً ماذا تردّون على السائل؟

المتوكّل مُخَنَّثاً

وقد انتشر الشذوذ الجنسي بكافة أنواعه في هذا العصر بين الخاصة. فلم يكن يعيب القاضي أن يكون لواطاً ويقاضي بين الناس والخليفة يعرف ذلك عنه ولا يعزله.

والقاضي هذا هو (يحيى بن أكثم) الذي قال فيه الشاعر أحمد بن أبي سلمة الكاتب:

وكنا نُرجّي أن نرى العزل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

وهل تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط؟

ومعروف أن الدنيا إذا فسد فيها القضاء فاقرأ عليها السلام.

وقال فيه أحمد بن نعيم:

يا ليت يحيى لم يلده أكثمه ولم تطأ أرضَ العراق قَدمه

ملعونة أخلاقه وشِيمُه أي دواة لم يَلُقها قلمه

وأي جحر لم يلجه غيلمُه

أما التخنث فقد ازدهر أيام الخليفة جعفر المتوكل على الله (247-206هـ / 821-861م) وكان قبل أن يستخلف يتزيا بزي المخنثين مِمّا أغضب أخاه الخليفة الواثق فكان يطيل شعر قفاه مثلهم، وقد كتب محمد بن عبد الملك الزيات إلى الواثق حين خرج جعفر من عنده: يا أمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرِّضى عنه في زي المخنثين له شعر قفا، فكتب إليه الواثق: ابعث إليه وأحضره ومُر مَن يجزّ شعر قفاه ثم مُرْ من يأخذ من شعره ويضربُ به وجهه واصرفه إلى منزله. فذكر عن المتوكل أنه قال: لما أتاني رسوله لبست سواداً لي جديداً وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضى عني فأتيته (يقصد محمد بن عبد الملك) فقال: يا غلام

ادعُ لي حجّاماً فدعي به فقال: خذ شعره واجمعه. فأخذه على السواد الجديد ولم يأته بمنديل فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه[1].

وعندما بويع بالخلافة كان يستطيب مجالس المخنثين ومجالستهم، وكان قد بسط نديمه (عبادة المخنث) الـمُجاهر بالعُهر والبغاء بحيث أباح له أن يدخل عليه وهو نائم مع نسائه. وكان له مضحكان اسم الأول (شِعره) واسم الثاني (بَعره). ولاطف أحد ندمائه يوماً فأمر أن يدخل في إسته فجلة[2]. ويبدو لي أن هذا تعويض عما كان يشعر به الخليفة من شوقٍ كَبِيتٍ لممارسة الشذوذ السلبي.

وكان يحلو له أن يرى عبادة المخنث وهو يشد على بطنه مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يديه والمغنون يُغنون بين يديه (قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين) يقصد الإمام علياً[3].

المخنثون المعاصرون في كربلاء وبغداد

ولا يختلف المخنثون في العصر الحديث عن أسلافهم السابقين في التقاليد والعادات والسلوكيات. فكل ما ذكرناه عنهم آنفاً نجده عند اللاحقين حذو النعل بالنعل، فكأنما التخنث ثقافة يمكن أن تورث على مبدأ (إذا كان ربُّ البيت . .) كما يمكن أن تُقلد، يقلدها من فيه ميل فطريّ للتأنث حسب نظرية الخلق الخنثوي للإنسان، كما يمكن أن يكون نتيجة شذوذ في تكوين الذكر يصعب تغييره.

وقد ألفتهم في كربلاء عندما كنت صغيراً (بحدود أربعينيات القرن الماضي) وكانوا يرافقون فرق الغناء الشعبية التي تستأجر لمناسبات الأفراح، فكان في كل فرقة واحد على الأقل يطلق عليه اسم (شَعّار) - بفتح الشين وتشديد العين - كان يقوم بمهمة الرقص على نغمات الغناء، وكان كامرأةٍ طويل شعر الرأس يرسله على كتفيه ويحركه بحركات رأسه يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً وقد حَمّر خديه وكحّل عينيه

---

(1) **تاريخ الأمم والملوك**، ابن جرير الطبري،7/ 344، تحقيق نخبة من العلماء، الناشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(2) **الهفوات النادرة**، رقم 218 ، ص 23.

(3) **شجرة طوبى**، محمد مهدي الحائري، ص 157، ط. الخامسة 1385هـ.

وزجّج حاجبيه ويلبس الملابس الحمراء ثم يأخذ بالدوران الشديد فينكشف ثوبه عن سروال أحمر ضيق كسراويل النساء. وكان منظره غريباً علينا نحن الأطفال، ولكن الجميع كان يهيج ويفقد شعوره ويندفع إلى مشاركة الشعّار في رقصه.

أما كلمة (الشعّار) التي أطلقها الناس على المخنث فلم أعثر على مصدرها، ولعلها جاءت من إثارة الشعور أو من شكل شعره الطويل المسترسل على كتفيه.

أما في بغداد فيطلق على المخنث الاسم نفسه. قال أمين المميّز: الشعّار عند البغداديين هو المخنث الذي يتشبه بالنساء زياً ومظهراً، وهو غلام منحرف جنسياً ويقوم بدور الراقصة أيضاً في المناسبات والأفراح.

ثم يحدثنا عن شعّار اشتهر في زمانه في بغداد اسمه (جميل الشعّار) وقد وصفه وصفاً دقيقاً يمكن أن يكون كوثيقة يعرف بواسطتها هؤلاء الناس. قال:

«وجميل الشعّار هذا كثيراً ما يشاهد في شارع الميدان وأسواقه ومحل إقامته الاعتيادي ونطاق عمله في (الكلچية) أي دار القحاب فهو مومسٌ ذكر. وإذا خرج إلى الشارع يلفت النظر. شاهدته مراراً وأنا في طريقي من وإلى الصرافية (محلة في بغداد) يلبس العقال واليشماغ وله (گذلة)[1] تبرز تحت اليشماغ[2] على الطرف الأيمن من جبينه مْپُودر ومْسَبدج الوجه[3] مكحّل العينين محمّر الوجنتين والشفتين، وفي جيده قلادة وفي معصمه أساور وعلى أصابعه خواتم وفي أذنيه أقراط ذهب. يخفي في صدره قطناً مكوّراً ليبرز الصدر وكأنه الثديان ويلبس (سكارپين) واطئ الكعبين[4]. وعندما يمشي يتمرقص ويتغنج كما تفعل الغانيات والمومسات. يلبس في الصيف دشداشة چيناوي (صينية) ويلبس في الشتاء زبون وحزام ودشداشة بازه وچاكيت أو (بالطو) طويل. إن مثل هذه الطبقة من المنحرفين يجب أن تصنّف بصنف خاصٍّ بهم وهو صنف الشعارين أو المخنثين. وهؤلاء الشعارون عندما يكبرون ويذهب رونق

---

(1) الگُذلة: كلمة عراقية معناها الشعر الذي يرسل على الجبين.

(2) اليشماغ: الكوفية باللغة العراقية ولغة دول الخليج.

(3) مپودر: وضع الپودر الأحمر. ومسبدج: وضع مسحوق السبداج الأبيض على وجهه وهو مسحوق الطلق.

(4) السكارپين حذاء نسائي له كعب حسب ذوق المرأة.

جمالهم يصبحون قوادين يعملون في المباغي، واشتهر منهم القواد (محمد الأسود) الذي كان يعمل في (گوگ نزر) أي محلة القحاب[1].

المخنثون المعاصرون في القرى والأهوار

ذلك ما كان يجري بحريّة مطلقة في المدن العراقية دون اعتراض من قبل السلطات أو من المرجعيات الدينية. وليس يعني ذلك أنها كانت راضية عنه، وإنما كانت تتغاضى تطبيقاً للحكمة التي تقول: لا أرى لا أسمع لا أتكلم.

وفي القرى والأرياف القريبة من الأهوار وفي الأهوار نفسها كانت حفلات الأعراس ومناسبات الأعياد تعجّ بهؤلاء الشعّارين الذين يعرضون فنّهم وأجسادهم أيضاً كانوا يتجولون في هذه المكانات.

يقول السائح البريطاني (ولفريد ثيسيغر)[2]:

«ويعيش أكثر ممتهني الرقص في القرى الواقعة خارج منطقة الأهوار ويتجولون في الأرياف لإحياء حفلات الزواج ومناسبات الأعياد. وقد شاهدت أحد هؤلاء المخنثين وكان عمره حوالي عشر سنوات وقد تزيّا بزي راقصة غجرية، وكانت حركاته خلال الرقص ضعيفة ومع هذا جذابة، وكانت خليعة وشهوانية. وأغلب الممتهنين لا يتجاوزون الثامنة عشرة ويسمون (ذكراً بأنثى) أي مخنثين. وهي تسمية تدل على الازدراء والاحتقار، ويتزيون عند الرقص بزي البنات، وعادة ما يكون لباسهم قرمزي اللون[3]. وحواجبهم ملقوطة ونهودهم مصطنعة ووجوههم مُحَمَّرة، ويلبسون أحياناً ألبسة موشاة باللؤلؤ الاصطناعي، ويضعون في آذانهم أقراطاً، ويرسلون شعورهم التي قد تصل إلى أسفل أقدامهم ويعتنون بها عناية فائقة ويضعون فيه بعض الدهون المعطرة، ويحركونه أثناء الرقص يميناً وشمالاً، ويمسكون الصنوج بأطراف أصابعهم[4]. وتسمى هذه الصنوج في الشعبية العراقية (چمپارات)».

---

(1) كتابه، **بغداد كما عرفتها**، ص 291.

(2) ولفريد ثيسيغر: سائح بريطاني مَرّت ترجمته عند الحديث عن المسترجلات في أهوار العراق.

(3) اللون القرمزي هو الأحمر وهو السمة التي يتميز بها المخنثون وكان الخليفة المخنث المتوكل العباسي يلبس الثياب الحمر ويعجبه اللون الأحمر ويأمر بالفرش الأحمر. ولا يرى الورد الأحمر إلا في مجلسه (**الأعلام**، الزركلي، 2/ 127، ط. الخامسة.

4) كتابه: **المعدان أو سكان الأهوار**، ترجمة: باقر الدجيلي، ص236 و237.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا الاستعراض أن هذه الشريحة الاجتماعية لم تتعرض خلال التاريخ إلى مضايقات أو اضطهاد عدا ما ذكرناه في حادثة (الإخصاء) التي لم تكن مقصودة وإنما كانت هفوة كاتب وهي من الهفوات النادرة. وقد ذكرنا كذلك أن الرسول ﷺ لما جيء له بأحد المخنثين وأشار عليه أحد الصحابة بقتله قال: لا يجوز قتل المسلمين.

ولكن الحال لم تطل بهم على هذا التسامح، ففي السنوات الماضية من هذا القرن الحادي والعشرين تعرضت شريحة منهم في العراق يطلق عليها اسم (الإيمو) إلى أبشع أنواع الإبادة من تقتيل وذبح وبتر أيدٍ وتهشيم رؤوس بحجارة الكونكريت على مرأى ومسمع من الناس الحائرين ومن الحكومة الناشئة الضعيفة، حيث اعتبرت هذه الشريحة عند بعض المتطرفين الدينيين أنها موجة شيطانية من عبدة الشيطان تجتاح العراق ويجب إبادتها بتلك الوسائل. فنفذ الدهماء والسوقة أوامر أولئك المتطرفين، فكانت المأساة التي سنفصلها في الفصل الأخير من كتابنا هذا.

الشيطانية الجديدة تغزو العراق (شباب الإِيمو)

التعريف وأسباب الانتشار

في الحقيقة إن الذي انتشر في العراق بين بعض الشباب المراهق وأثار حفيظة السلطة ورجال الدين المتطرفين ليست الشيطانية التقليدية المنسوبة إلى مدرسة (أنطون لاقـي)، وإنما الذي انتشر هو قناة من قنواتها أو مدرسة من مدارسها. إذ إن مدرسة الكاهن الشيطاني أنطون لاقي قد انشقت إلى مدارس كما ذكرنا[1] وراحت هذه المدارس الجديدة تندد بالتقاليد الشيطانية السابقة التي تعتمد على العنف كتعذيب الأطفال وقتلهم أو ذبح الحيوانات كأضاحٍ، فاتخذت المدارس الجديدة تقاليد خاصة بها تركز على الحرية الشخصية في الحياة دون المساس بحريات الآخرين، والانصراف إلى تحقيق رغبات الذات بتطبيق مبدأ يؤمن بأن اللذة هي الخير الرئيس، وبعبارة أخرى إن المنفعة أو اللذة هي الخيرُ الأوحد أو الرئيس في الحياة.

فانحاز إلى هذا المبدأ طائفة من الشباب أطلق عليهم اسم (شباب الإِيمو) وهم الذين انتشروا في بغداد وسائر المحافظات. واتهموا بعبادة الشيطان وقد أشارت إليهم الصحف كصحيفة (الحياة) فكتبت تحت عنوان:

(الإِيمو يظهر في بغداد . . عبدة شيطان أم مجرد مراهقة بائسة؟)

«بأشكالهم اللافتة وإكسسواراتهم التي تجذب الانتباه، يجلس شباب (الإِيمو) في أحد النوادي الحديثة في مدينة الكرادة المكتظة بالشباب والمحال التجارية والعائلات.

---

(1) انظر ص 182.

فظاهرة (الإيمو) المعروفة في الغرب بدأت بالانتشار في أوساط الشباب العراقي في مدارس بغداد وجامعاتها، وأصبح من الطبيعي رؤيتهم بملابس يغلب عليها اللون الأسود وسراويل الجينز الضيقة متزينين بإكسسوارات على شكل جماجم وتسريحات شعر غريبة». وتستمر الجريدة بالقول:

«وتنتشر ظاهرة (الإيمو) أو كما يطلق عليها اسم (البلاي بوي) أو يسميها آخرون (عبدة الشيطان) بشكل كبير بين الشباب من الجنسين، لدرجة دفعت المحال التجارية لطرح الكثير من الملابس والإكسسوارات الفضية الضخمة التي تكون غالبيتها على شكل جماجم ويحب شباب الإيمو ارتداءها. ويلتقي الشباب في مساءات عدّة من الأسبوع عند أطراف منطقة الكرادة مقابل مبنى الشروق بجمعهم حبُّ الاعتناء بالمظهر الغريب والجدل حول آخر تقليعات الملابس وتسريحات الشعر والأوشام». انتهى قول الصحيفة.

ولأجل التعرف على الإيمو نقول اعتماداً على موسوعة (ويكيبيديا): إن الإيمو (Emo) مصطلح اتخذته هذه المدرسة اختصاراً من الكلمة الانكليزية (Emotional) ومعناها: حسّاس أو عاطفي ذو مشاعر متهيجة أو حساسة.

والإيمو ليس ديانةً وإنما هو تنظيم خاص بالمراهقين يتيح لهم التعبير عن أنفسهم بحرية تامة، فيعبِّر المتشائم بطريقة تستدعي وصفه كإنسان حزين كئيب، صامت خجول، مثلاً: عندما يقال لشخص: لا تتصّرف كإيمو. أي لا تجعل نفسك منعزلة غير منخرطة في المجتمع.

أما المتفائل فيعبِّر عن نفسه بالانصراف إلى الاستماع إلى نوع من الموسيقى التي يقال عنها (Scremo) ومعناها: الصارخة. وهي نوع من الموسيقى ينتمي إلى موسيقى (الروك) تقوم على استخدام آلات الضجيج، ويستطيع الإنسان خلالها أن يطلق لنفسه العنان بالصراخ والرقص العنيف بِهَزّ الجسم والتمرغ على الأرض وإلصاق جسمه بأجسام الإناث اللواتي يفعلن كذلك.

من جانب آخر يُعرَف (الإيمو) بأزيائهم حيث يلبسون في العادة ملابس قاتمة سوداء وحمراء، وهذه الألوان هي الألوان نفسها التي يرتديها الشيطانيون ويلبسون سراويل ضيقة جداً أو فضفاضة جداً ورباط في المعصم. وهذه الملابس تحمل كلمات من أغاني الروك التي يعشقونها.

وقد يقلد بعض المراهقين هذه الأزياء دون أن يكونوا من الإيمو ولا يعلمون عن الإيمو شيئاً. كما نجد الكثير منهم يصنع لحية كلحية أنطون لافي ويسميها (اللحية الشيطانية) وهو لا يعرف أنطون لافي مؤسس هذا الأسلوب من اللحى ولا يعرف شيئاً عن الشيطانية. وقد يعبّر بعض الإيمو عن نفسه بالغناء بمقاطع من (السكريمو) والبعض الآخر يحاول أن يجسّد مشاعره بالرسم.

وقد اشتهر عنهم كتابة الأشعار الحزينة بشكل خاص، حيث يصفون الجانب الكئيب من الحياة، فهم لا ينظرون إلى النصف الممتلئ من الكأس وإنما ينظرون إلى النصف الفارغ. ولذا فإن كثيراً منهم لهم ميول انتحارية ويعانون من الاضطرابات النفسية والعزلة وقد يقومون بجرح أجسادهم. كما يلجأ البعض الآخر إلى الاستغراق في المخدرات.

وعندما ينظر الإنسان إليهم وهم في زيهم المشابه لأزياء الشيطانيين وخاصة الطوق الذي يحلي خصُورهم وعليه النجمة الخماسية أو جمجمة بشرية مصغرة يحسبهم من الشيطانيين ولكنهم ليسوا كذلك.

ويتهمهم البعض بالشذوذ الجنسي حيث ينتشر اللواط والسحاق بينهم، ولكن المدافعين عنهم يقولون إن هذا ليس صحيحاً إذ يوجد الشاذ بينهم كما يوجد المستقيم وهذا سائر بين البشر ودائر في كل المجتمعات.

وبمناسبة هذا الاتهام وُصفوا بأنهم (جراوي) جمع (جرو) وهو الكلب الصغير، وهذا اسمٌ من أسماء اللاطة لم يكن معروفاً سابقاً.

وقد اتهموا كذلك بأنهم مَصَّاصو دماء استناداً إلى العرف الشائع في طقوس الشيطانيين، وهو شرب دماء الأضاحي البشرية أو الحيوانية كما ذكرنا ذلك سابقاً، وهم في الواقع ليسوا كذلك.

أما تعاطيهم المخدرات فيمكن أن يكون صحيحاً حيث الفراغ الذي يعيشونه والحاجة إلى الحياة المستقرة السعيدة التي ينشدونها غير متيسرة لهم، لذلك راحوا يبحثون عنها في الخيال عن طريق استخدام الحشيش الذي يجعل (المحشِّش) يعيش في الجنة. بالإضافة إلى عقّارات الهلوسة الأُخرى.

كما قيل إن الشابات من الإِيمو يقمن بتجريح معاصمهن بشفرات الحلاقة على اعتبار أن هذه الممارسة هي من صُلب تقاليد الشيطانيين. وهو في الواقع من جملة تعاليم (أنطون لافي) حيث كان يُحفِّز أتباعه على القيام بذلك من أجل توطينهم على تحمّل الآلام ورؤية المشاهد البشعة غير المريحة، وهو في الحقيقة عن فتيات الإيمو اتهام غير مؤكد.

إن كل هذه الاِتهامات هي مجرد روايات وأقاويل قد يكون بعضها صحيحاً، لأن الإيمو حركة شبابية منتشرة في جميع أنحاء العالم، فهي عبارة عن وسائل تعبيرية لهؤلاء الشباب تفصح عن رفض واقع وليست لها علاقة بالشيطانية اللافية التي هي ديانة من الديانات المتطرفة هدفها تقويض الديانات الموحدة السائدة في المجتمعات، إلا أن الجهل بهذه الحقيقة والتسرع في إصدار الأحكام من قبل المتطرفين الدينيين أوعز للدهماء والسوقة أن يتصدّوا لهم بإنذارهم أولاً، وإذا لم يفد فيهم ذلك توجب اغتيالهم في أي مكان يرونهم فيه، فامتلأت الشوارع بضحاياهم على مرأى من الناس الخائفين، حيث كان النظام منفلتاً آنذاك ورجال السلطة في صراع على المكاسب والسرقات.

مذابح شباب الإِيمو

يصوّر لنا المقطع الآتي من قصيدة شعبية شاعت بين الناس وتناقلتها شبكات الأنترنت بشاعة القتل الذي تعرّض له شباب الإيمو في بغداد، قال شاعرها المجهول:

صِعَد سِعْر (البْلوك) وهِسَّه أگلك ليش

لِأَن راس الحلـو بـ(بلـوكـه) يتهشَّـم

واحَذْرك على (الإيمو) حمله إمسوين

وانصحـك يـا حلـو من تِطْـلَع إتْلَثّـمْ [1]

إنه في الواقع مقطع ساخر الظاهر مأساوي الباطن، حيث يشير إلى أن أحد شباب الإِيمو قد هشموا رأسه بـ(بلوكة) والبلوكة طابوقة إسمنتية ضخمة تُستعمل في

---

(1) البلوك: كتل كونكريتية تستعمل في البناء بدل الطابوق، مفردها (بلوكة). هِسَّه: الآن. الحلو: يقصد الشاب من الإيمو الذي يمتاز بجماله وحسن هندامه.

البناء. وقد نشرت الصحف صورة هذا الفتى الجميل وهو بملابس الإيمو، ثم نشرت صورته وهو ملقى على الرصيف ميتاً مهشم الرأس والذباب يتهاوى على دمه يمتصّه.

وحينها أثيرت قضيته مع قضايا المئات من مثله وقد تعرضوا للقتل بوسائل بشعة أخرى كالطعن بالخناجر وفري البطون بالسكاكين ورميهم في الطرقات، وذلك خلال حملة مسعورة قامت بها زُمر منفلتة من غوغاء المتدينين المتطرفين. وقد جاء في الأخبار الصحفية بعض تلك المذابح كهذا الخبر:

لقي عدد من الشباب العراقيين مصارعهم على أيدي جماعات مجهولة يعتقد أنها جماعات متطرفة تكِنُّ كرهاً للإيمو والمظاهر الغريبة التي تبدو على بعض الشباب. إلى ذلك كشف مصدر مسؤول في وزارة الداخلية العراقية عن مقتل (56) شخصاً مِمّن يعرفون بـ(الإيمو) في جميع محافظات العراق، لافتاً إلى محافظة بغداد وبابل تصدرت لائحة المحافظات التي قتل فيها هؤلاء.

وأضاف المصدر أن بغداد قتل فيها حتى ظهر يوم أمس (2012/8/3) ما يقارب (13) شخصاً غالبيتهم في مناطق شعبية مثل مدينة الصدر وجسر ديالى. أما بابل فقد قتل فيها (12) والديوانية (8) وذي قار (6) والبصرة (5) وواسط (2) والمثنى (2) واثنين في قضاء بلد بصلاح الدين وآخر قتل في مدينة العمارة[1].

وحَمّل (الموسوي) أحد أعضاء البرلمان رجال الدين والسياسيين والجهات المعنية الأُخرى مسؤولية ما يحصل قائلاً:

«كان على رجال الدين والسياسيين والجهات المعنية الأخرى أن تبحث هذه الظاهرة للوصول إلى الأسباب الحقيقية التي دفعت الشباب باتجاهها قبل أن تنتشر وقبل أن يتحول الأمر إلى هذا الواقع المأساوي».

وإلى ذلك نشرت بعض وكالات الأنباء قائمتين تمّ وضعهما في عدد من الشوارع الرئيسية لمدينة الصدر شرق بغداد، ضمَّت أسماء المنتمين لظاهرة الإيمو في قطاعات المدينة تتوعدهم بالقتل من قبل (المجاهدين) في حال عدم تركها، ووصفتهم بـ(الجراوي) في إشارة إلى كونهم من المثليين جنسياً.

---

(1) **عن منتديات عراقية، ظاهرة قتل الإيمو في العراق**، ماجد فاضل، 2012/8/3.

وضمَّت القائمة الأولى (50) اسماً لأشخاص مع رقم معين في إشارة إلى القطاع الذي يسكنه داخل مدينة الصدر، كما تضمنت القائمة تهديد المنتمين للإيمو بالتعرض لأقصى العقوبة الإلهية على يد المجاهدين في حال عدم تركهم الظاهرة خلال أربعة أيام.

وقد أكدت معلومات تجاوز عدد ضحايا الإيمو إلى (100) قتيل بعد أن تمّ العثور أمس على أكثر من (15) جثة منهم في بغداد. وأكدت معلومات على أن بعضهم قد أحرق.

وأشار بعض المخبرين أن ظاهرة الإيمو لم تعد تقتصر على الشباب وإنما انخرط فيها العديد من الشابات العراقيات حيث يقمن بجرح معاصمهم بشفرات الحلاقة. وقالوا إن أتباع هذه الظاهرة يؤكدون أنهم يريدون ممارسة أي شيء يرغبون فيه بعيداً عن كلمة (العيب)[1].

وفي كربلاء انتشرت ظاهرة الإيمو بين البنات في المدارس. وقد حدّثتني حفيدتي (شهدة) الطالبة في الصف الثالث المتوسط أن إحدى صديقاتها أخذت ترتدي الـ(تي شيرت) الأحمر والتنورة المحزَّمة بحزام معلق بإبزيمه جمجمة صغيرة مصنوعة من النحاس الأصفر، وتطوّق معصمها بحزام أسود مزيّن بنجمة خماسية كالنجمة اللاقية، وتضع على صدرها بروشاً فيه هيكل عظمي. وعندما سألتها الطالبات عن هذا الزيّ أجابت (أنا إيمو) ولما استفسرن منها عن معنى الإيمو قالت: لا أدري، لقد شاهدت هذا الزي في المسلسلات التلفزيونية ثم عثرت عليه يباع في محلات الألبسة النسائية فاشتريت منه. أقول: إنها في الواقع (إيمو) بالتقليد وليست بالانتماء.

والحال تلك لاحظتها عند الشباب أيضاً، إذ شاهدت أحدهم قد حلق لحيته على طريقة الشيطاني (أنطون لاڤي) بجعل شعرها يحيط الشفتين والحنك، فسألته عنها فقال: يسمونها لحية شيطانية وهي معروفة بهذا الاسم بين الشباب وكذلك بين بعض الحلاقين. ثم عدت أسأله: هل تعرف أن مبتدعها يسمى (أنطون لاڤي)؟ قال: لا أعرفه.. أقول: إنه كذلك إيمو بالتقليد وليس بالانتماء. ولابدّ أن أشير إلى أنه لم يقتل أحد من الإيمو في كربلاء حتى في أوج محنتهم.

---

(1) **المدى**، 2012/3/3.



شاب من الإيمو وقد سحق رأسه بالبلوك

المواقف الرافضة وانتهاء المأساة

كان الاتهام بتلك الجرائم الفظيعة قد وُجِّه إلى المرجعيات الدينية المتشدِّدة، وأول هذه المرجعيات مرجعية السيد مقتدى الصدر حيث سار على أفواه الناس أن أتباعه هم الذين قاموا بقتل شباب الإِيمو بطريقة الرَّضح بحجارة البلوك الكونكريتي، وذلك لأن أسماءهم علقت على الشوارع في مدينة الصدر - كما ذكرنا - الأمر الذي دعا السيد مقتدى الصدر أن ينفي تورط أتباعه في القتل.

وحَرّم أكبر مرجع في العراق وهو السيد علي السيستاني قتلهم. ونقل عنه قوله: إن استهداف شباب الإِيمو عمل إرهابي واعتبره ظاهرة سيئة على مشروع التعايش السلمي في العراق.

وجاء في جريدة الاتحاد - وهي جريدة يومية سياسية - بعنوان: الدم الضائع بتاريخ 2012/3/12:

أفتى المرجع الديني بشير النجفي بحرمة قتل الشباب المقلدين لظاهرة الإيمو. وقال المتحدث باسمه نجله علي النجفي لـ(السومرية نيوز): إن الموقف الشرعي تجاه الإيمو ليس بالقتل بقدر ما هو الحفاظ على شبابنا من خلال إصلاحهم وتوجيههم وإرشادهم، مبيناً أن المرجعية لم تجز وتسمح وتعط إذناً بإراقة هذه الدماء.

واعتبر النجفي أن العمل بهذا الشأن مسؤولية الشرائح الثلاث الرئيسية، وهي المجتمع والمؤسسة الدينية أن تبلغ وترشد وتبعث نصائحها، والمؤسسة الحكومية من خلال وزارات الشباب والرياضة والتعليم العالي والتربية والثقافة، وعليها أن تبيّن ثقافة العراق وطبائعه وتنشرها في الشارع العراقي.

وحرَّم المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي قتل شباب الإيمو، مؤكداً أن الواجب الديني تجاههم يكمن في النصح والإرشاد، فيما اتهم جهات لم يسمها بالوقوف وراء هذه الضجة المبالغ بها بالاشتراك مع جهات لها مشاكل مع النظام السياسي الجديد في العراق لتشويه صورة الملتزمين دينياً.

هذا وقد بقي الاتهام ملصقاً بأتباع السيد مقتدى الصدر بسبب ما نقل قوله عنهم: إنهم شباب سفهاء ومجانين وآفة المجتمع وطالب المختصين بإنهائهم قانونياً، وعلى هذا فإن نفيه عن أتباعه ارتكاب الجريمة لم يقنع الناس.

وقد وصلت أخبار المذابح إلى أسماع الأمريكان فهالتهم واستنكروها على لسان (مايكل مكليلان) المتحدث الرسمي باسم السفارة الأمريكية في العراق، فصرّح لـ(السومرية نيوز): ندين بشدة أعمال العنف الأخيرة وعمليات القتل في العراق التي نفذت من قبل جماعات يبدو أنها تستهدف أفراداً على أساس ميولهم أو هويتهم الجنسية أو طريقتهم في التعبير، لافتاً إلى هذه الأعمال التي تدلّ على التعصب لا مكان لها في المجتمع الديمقراطي. وأضاف مكليلان: نرقب الوضع عن كثب في العراق وفي واشنطن وقد أعربنا للحكومة العراقية عن قلقنا بشأن هذا الموضوع.

وإزاء هذا التصريح الخطير من قبل المتحدث الرسمي باسم الحكومة الأمريكية، اهتزت الحكومة العراقية فزعاً وهلعاً من غضب أمريكا على هذه الحكومة المؤسسة من قبلها، فسارعت وزارة الداخلية العراقية إلى نفي حصول المذابح وتقليل شأنها وتهوين أمرها. فقال المفتش العام في وزارة الداخلية (عقيل الطريحي) لـ(السومرية نيوز): إن العراق لا يشهد وجوداً لظاهرة الإيمو، وربما هناك حالات فرديّة محدودة جداً، مبيناً أن العراق ما يزال بعيداً كل البعد عنها، كون الشباب العراقي شباباً وطنياً ومتمسكاً بتراثه وتقاليده. واعتبر الطريحي أن التماشي مع الموضات والأساليب الحديثة شأن شخصي وقال الطريحي: إن وزارة الداخلية ليس لها تعليمات بالاعتداء على الشباب الذين يرتدون ملابس معيّنة أو لديهم شكل معين.

ثم بيّن أن المعلومات الرسمية المتوفرة لدينا التي تحدّث عنها أعضاء في مجلس النواب والجهات التنفيذية، لا يوجد قتلى.

وبعناد نفى وجود القتلى في الوقت الذي تناثرت جثثهم في الشوارع وتعفنت وأخذت لها الصور، وقد اتُّهم الجيش بقتلهم وكذلك الشرطة حسبما جاء في مقطع آخر للقصيدة الشعبية التي ذكرناها سابقاً قال شاعرها المجهول:

صعَد سعر البلوك وهِسّه أگلّك ليش

لأن راس الحلو ببلوكه يتهشّم

أحذرك على الإِيمو سَوّه حَمله (الجيش)

وانصحك يا حلو من تطلع اتلثم

وهكذا ذهبت دماءُ أولئك الشباب هدراً ولم يأسف عليهم أحد غير أهليهم وذويهم. إلّا أنّهم اعتبروا أبطالاً، فتحوا لِلّاحقين من الشباب سبيل الحرية الشخصية فصار الواحد من الشباب اليوم لا يعاني خوفاً ولا يجابه ردعاً إذا سار في الشارع وعليه سمة من سمات (لاقي) وخاصة رأسه الحليق ولحيته الشيطانية.